al-Maraghi, Abu Bakr ibn al-Husayn



تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة

Tahqiq al-nusrah bi-talkhis ma'alim dar al-hijrah

للإمام العالم العلامة زين الدين
أبى بكر بن الحسين بن عمر أبى الفخر المراغى
المتوفى سنة ٨١٦ هـ

صححه وحققه
محمد عبد الجواد الأصمعى
بدار الكتب المصرية

الطبعة الأولى
١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

الناشر

المكتبة العلمية بالمدينة المنـــورة

لصاحبها : محمد النمنكاني وولده

ترجمة المؤلف

نقلا عن « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » للعلامة المؤرخ الناقد السخاوى

أبو بكر بن الحسين المراغى

« أبو بكر بن الحسين بن أبى حفص عمر بن أبى عبد الله محمد بن يونس بن أبى الفخر بن محمد بن عبد الرحمن بن نجم بن طولو الزين أبو محمد القرشى العبشمى الأموى العثمانى المراغى المصرى نزل المدينة النبوية . ويقال : اسمه عبد الله ؛ ووجد بخط الكمال الشمنى : والمشهور أن اسمه كنيته ، ويعرف بابن الحسين المراغى، وربما يقال العثمانى .

ولد فى سنة سبع وعشرين وسبعمائة بالقاهرة ونشأ بها ،واشتغل كثيرا عندالتقى السبكى وغيره ، ولازم الإسنوى حتى مهر وأذن له فى الإفتاء .

وتحول قديما من القاهرة إلى الحجاز فآستوطن المدينة نحو خمسين سنة بل رأيته سمع فيها على ابن سبع والبدر بن فرحون فى سنة سبع وخمسين « البخارى » ، وعلى ثانيهما فقط اليسير من الأنباء المبينة ؛ ووصفه كاتب الطبقة : « بالشيخ الفقيه الإمام العالم العامل ، مفتى المسلمين ، المدرس والمتصدر بالحرم الشريف »اه .

وتزوج فيها وولد له عدة أولاد ، وولى قضاءها وخطابتها وإمامتها فى حادى‌عشر ذى الحجة سنة تسع وثمانمائة عوضا عن البهاء محمد بن المحب الزرندى،فسار فيها سيرة حسنة ، ثم صرف بعد سنة ونصف فى صفر سنة إحدى عشرة بزوج ابنته الرضى أبى حامد المطرى . ولعل سبب إهانة جماز بن نعير له حين مانعه عن فتح حاصل الحرم ولم يلتفت لمنعه بل ضرب شيخ الخدام بيده وكسر الأقفال ونهب ما أراد .

وانتفع به أهل المدينة والوافدون إليها ، وحدث فيها وفى مكة حين جاور بها فى سنى أربع عشرة وخمس عشرة ، وبمنى والجراعنة بالكثير ، سمع منه أولاده

وسبطه المحب المطرى وشيخنا والفاسى ومن لا أحصيهم كثرة،وأصحابه بالإجازة الآن معدودون، ولا أعلم بالسماع منهم أحداً سوى أبى الفتح بن علبك بالمدينة ،وأبى بكر ابن فهد بمكة ، بل آخرهم بالحضور أبو بكر بن على بن موسى القرشى .

ومات سنة خمس وتسعين ، وقيل لى فى سنة ثمان وتسعين ، وجود بعضهم بالمدينة ، وكتب عنه ابن الملقن قديما فكتب بخطه : أنشدنى الشيخ زين الدين بن الحسين ، فذكر شعراً من نظمه .

وعمل للمدينة تاريخا حسنا سماه : «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة»(١) فرغ من تبييضه فى رجب سنة ست وستين وسبعمائة .

وقرأه عليه ابن الجزرى فى صفر سنة ست وثمانين وسبعمائة بسعيد السعداء من القاهرة ، وأثنى على كل من المؤلف والمؤلَّف فقال : إنه ملأ العيون ، وشنف المسامع ، وجمع مؤلفه محاسن من تقدمه وزاد ؛ فلو قيل : ما الفرق ؟ قلنا : الفرق الجامع ، فهيج لى بذلك المغنى طربا ، وجدد الأشواق أربا ، وأدار على مسمعى مدامة توشحت حببا ، فقلت والقلب يقيم شوقا ويقعد أدبا :

أقول لصحبى عند رؤية طيبة * وقد أطرب الحادى بأشرف مرسل
خليلى هـذا ذكره ودياره * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ووصفه بالإمام العالم العامل ، العلامة الحبر البحر ؛ الفريد الحجة، المحقق القدوة مفتى المسلمين ، زين الدين والملة ؛ جمال العلماء العاملين، شرف الأعيان والمدرسين.

وقرضه أيضا محمد بن أحمد بن خطيب بيروذ ، وعلى بن يوسف بن الحسن الزرندى ، وإبراهيم بن أحمد بن عيسى بن الخشاب . وقرأه عليه غير واحد بالمدينة، بل قرأه عليه ابن سكر بمكة ، والبرهان القيراطى ، وعبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله بن نصر بن المعمر الواسطى ، وأحمد بن يوسف بن ملك الرعينى الغرناطى، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى ،وهما الأعمى والبصير إذ وقف عليه كل منهم بالمدينة .

واختصر الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم وسماه :«روائح الزهر»وكذا اختصر «الحرز المعد لمن فقد الولد»لأبى القاسم عبد الغفار بن محمد السعدى وسماه : « منافع الحرز ».

---

(١) هو هذا الكتاب النفيس .

وعمل منسكا صغيراً مفيداً جامعاً سماه : « مرشد الناسك إلى معرفة المناسك »
وأكمل شرح شيخه الإسنوى للمنهاج سماه : « الوافى بتكملة الكافى » ، يقال : إنه شرع فيه فى حياته .

وكذا شرح « الزبد » للبارزى وسماه : « العمد فى شرح الزبد » إلى غيرها.

ووصفه البرهان الأبناسى فى إجازته لولده : « بالشيخ الإمام العالم العلامة ذى الفوائد الجسيمة ، والفرائد اليتيمة ؛ صدر المدرسين ، زين المفتين » ، بل وصف والده : « بالشيخ الصالح المربى ، كهف الفقراء والمساكين » ، وكلا من جده واللذين فوقه : « بالشيخ الصالح » .

مات بعد أن تغير على المعتمد يسيراً فى مستهل ذى الحجة ، ومن قال فى سادس عشرة فقد وهم ، سنة ست عشرة بالمدينة النبوية،ودفن بالبقيع رحمة الله وإيانا .

وقد جزم شيخنا فى معجمه بأنه تغير وتعقبه ابن الخياط والأبى ورد عليهما التقى بن فهد . ولكن قد قال شيخنا فى أنبائه : « وكان بعض من يتعصب عليه ينسبه إلى الخرف والتغير » ، ولم يقع ذلك ، فقد سمعت منه بمكة فى سنة خمس عشرة وهو صحيح . وأخبرنى من أثق به استمر على ذلك .

وقد ترجمه شيخنا فى المعجم والأنباء ، والفاسى فى الذيل ، والمقريزى باختصار فى عقوده ، وأنه صحبه سنين ، وابن قاضى شهبة فى الذيل فى آخرين . ومن نظمه:

حمدت إلهى على فضله * وتجديد إنعامه كل عام
بلغت الثمانين وبعضها لها * وأمثال عصرى قضوا بالحمام
وقد نلت تسميع حديث بها * ويا حبهذا ببيت حـرام
وما كنت أهلا له قبلها * وأرجو من الله حسن الختام »اهـ.[1]

---

(١) راجع الجزء الحادى عشر (ص ٢٨ — ٣١) طبع مصر سنة ١٣٥٥ هـ .



كتاب
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة على الحال بها افضل الصلوة
والسلام والرحمه تصنيف الشيخ الامام العالم العلامه
مفتي المسلمين ابو محمد زين الدين ابن الشيخ الامام العالم
المقرى بدر الدين الحسين ابن الشيخ سراج الدين عمر المراغي
العبشمي العثماني عفا الله عنه

عمومية ١٦٨٧ — تاريخ — خصوصية ١٦٤١

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة بخط قديم ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤١ تاريخ ، وقد رمزنا لها فى الهوامش بالحرف (ب)

وعلى الال ابرار آله سرج الهدى ، احبب بعترته ومن والاها

وكذا السلام عليه ثم عليهم ، وعلى عصابته التي زكاها

والحمد لله الكريم وهذه ، نجزت وظني انه يرضاها

تمت وبتمامها تم كتاب التحقيق والنصره ، والحمد لله اولا واخرا وصلواته
وسلامه الطيبان الاكملان على زين خلقه محمد وعلى اله وصحبه فاسئلك اللهم
ان يحقق لي به ولوالدي ومشايخي واحبابي سعادة الدارين وان يجعله قرة
عين لي بحضرة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وان يجعلني من جيرانه المفلحين
بجواره المخلصين في الانتما الى ذلك معاهده الشريفه واثاره وان يدخلني
بلطفه في خصوص شفاعته وان تهديني بالنجوه والاستغاثه بجنابه الى
دوام الاحتما به انه انت اللطيف الرحيم المنان ذو الجلال والاكرام
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل
قال ــــــ مولفه عفا الله عنه فرغت من تبييضه يوم السبت ثاني عشر رجب
الفرد عام سته وستين وسبع مايه ... وتمت هذه النسخه المباركه
يوم الاربعا تاسع عشر رجب الفرد سنه سبع وستين وسبع مايه
على يد العبد الفقير الى الله تعالى عبد الله بن عبد الكافي بن علي الحسني
الطباطبي الشافعي الصوفي نزيل حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة المكتوبة سنة ٧٦٧ هـ بعد تأليف الكتاب بعام واحد ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩ تاريخ ، وقد رمزنا لها في الهوامش بالحرف (ا)

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام العالم العامل المحقق زين الدين مفتى المسلمين أبو بكر بن الحسين المراغى العثمانى الشافعى المدرّس بالحرم [الشريف[1]] النبوى [على ساكنه أفضل الصلاة والتسليم[1]] :

الحمد لله الذى جعل المدينة الشريفة دار هجرة رسوله ، وأظهر بها بدرَ الملة الحنيفيّة فلا مطمع فى أفوله ، وسمّاها طابةَ وطَيْبَة ، لطيب عيشها كثيره وقليله[2] ، وحقّق البركة فى صاعها ومُدّها فأَكْرِمْ بدعوة صفيّه وخليله ؛ وشرّفها بتأصيل نوره الساطع بحُجرتها ، وجعل ما ضمّ جَسَدَه الشريفَ أفضل بقاع الأرض بإجماع الأمّة وناهيك بحُجّتها ، وخصّها بالروضة الشريفة المقدّسة والمنبر الشريف[3] مع مضاعفة الصلاة فى مسجدها ، فالسعيد من اُلتجأ إلى مَحجّتها .

(أحمده) على أن جعلها مهبط الوحى ومأزَرَ الإيمان ، وأشكره على أن جعل فتحها بالقرآن ، وأسأله المزيد من نعمةٍ فيها ثم الموت بها وذلك تمام

---

(١) الزيادة من النسخة المخطوطة المكتوبة سنة ٧٦٧ هـ المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩ تاريخ ، وقد رمزنا لها بالحرف (ا) .

(٢) كذا بالأصل والنسخة الأخرى المخطوطة بخط قديم المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤١ تاريخ ، وقد رمزنا لها بالحرف (ب) . وفى نسخة (ا) « قليله وجليله » .

(٣) فى نسختى (ا) و (ب) : « المشرف » .

الإحسان ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أرجو بركتها فى الميزان ، وأشهد أن سيدَنا محمداً عبده ورسوله المخصوص بالبيان ، وكتابه بالتبيان ، المؤيد بإحياء الأنصار والمهاجرين من عدْنان ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم ما بقى الفرقدان وتعاقب الملوان .

(وبعد) فإن فضل المدينة الشريفة لا يُنكَر ، والقائم بنشر ما طُوِىَ من فضائلها يُنصَر ويُشكَر .

ولما كان من أحسن الموضوعات وأجمعها ، وأكثرها تحقيقا وأمتعها ؛ من الإعلام بمعالمها ، وتحصيل دلائلها ؛ تاريخ الإمام الحافظ محبّ الدين بن النجّار الموسوم : بـ « الدرّة الثمينة فى أخبار المدينة » . وقد حدّثنى [به[1]] الإمام شهاب الدين أحمد بن على بن يوسف بن الحسن إمام مقام الحنفية بمكةَ المشرّفة قال : حدّثنا الإمام تاج الدين أبو الحسن على بن أحمد الحسينى العراقى . قال : حدّثنا الإمام الحافظ جمال الدين محمد بن أحمد المطرىّ أبو عبد الله محمد بن النجّار — تغمدها الله وإيانا بفضل رحمتـه — وقد حدّثنى به ولده الإمام شيخنا أبو السيادة عفيف الدين قال : حدّثنا والدى فهو وإن حرّر بسبب تأخره ما أهمله ابن النجار من معاهده ، قد أخلّ بكثير من مقاصده ؛ فاستخرت الله تعالى فى جمع مقاصدها بحذف الإسناد ، مقرّبا بذلك طريق الإبعاد ؛ تابعاً فى الغالب لفظ [مَن ذَيّل مع تحرير[2]] عبارة ، وتفيبح إشارة ؛ وقد أثبتُ فى بعض المواضع ما لم يذكراه لاختصاره أو غرابته ، ليحمل من سلمت جلدته من الحسد على تحصيله بعنايته ؛ وضممتُ إليه من اقتناص[3] سوانح الشوارد ، وفوائد الفوائد

---

(١) الزيادة من نسخة (ا) .

(٢) الزيادة من نسختى (ا) و (ب) وبها يستقيم المعنى .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « اقناص » وهو تحريف .

ما عظم عند الخاصّة وقعه ؛ وربما ألجأ الأختصار والمناسبة إلى تقديم وتأخير ، وحذفٍ وتطويل وتكرير ؛ ليعمّ[١] العامّة نفعه، منبها فى أوّل الزيادة بقولى : قيل كذا ، أو نقل كذا ، أو نقل فلان كذا ، وينبغى كذا ، وفى آخرها والله أعلم ؛ ليكون هذا الفرع لما حواه الأصل جامعاً،منفرداً بفوائد جليلة لا تجد لها دافعا ؛ وسميته :

« تحقيق النُّصْرة بتلخيص معالم دار الهجرة »

مستعيناً بالله تعالى فيما أردت، آملاً من فضله إكماله ملخصاً بتحقيق ماقصدت ؛ فأسألك اللهمّ أن تنفعنى رب بالطارفِ والتليد ، وأن تلهمنى تسديد التمهيد ؛ وأن تنفع به المسلمين إنك خير مسئول ، وأكرم مأمول ؛ ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم . ورتبته على مقدّمة وأربعة أبواب وخاتمة وفى المقدّمة فصول :

---

(١) كذا فى الأصل . وفى نسختى (ا) و (ب) : « ليعلم » .

الفصل الأول

فى فَضْل المدينة و فَضْل سكانها

فضل المدينة وفضل سكانها

رو ينا فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت بقرية تأكل القُرى يقولون يَثرِبَ وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الـكِيرُ خَبَثَ الحديد » قيل: تأكل القُرَى لأنها مركز جيوش الإسلام . قال مالك : تفتح القرَى لأنها مركز جيوش الإسلام ، أو لأن أوّل الإسلام منها ، أو لأن أكلها[1] وميرتها تـكون من القُرَى المفتحة لأن الغنائم كانت تساق إليها والله أعلم .

وفى البخارى عن أبى حميد رضى الله عنه قال : « أقبلنا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم من تَبُوكَ حتى أشرفنا على المدينة فقال : هذه طابة » .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الإيمان ليأرِزُ إلى المدينة كما تأرِزُ الحيّة إلى جُحْرِها[2] » قيل : يأرِزُ : ينضمّ (وقيل : ينقبض[3]) والله أعلم .

وفيه عن سفيان بن أبى زهير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تفتح اليمن فيأتى قوم يَبِسُّون فيتحمّلون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون . وتُفتَح الشام فيأتى قوم يَبِسُّون فيتحمّلون بأهليهم ومَنْ أطاعهم والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون . وتفتَح العراق فيأتى

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وهو يتفق والسياق . وفى الأصل : « أهلها » .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) الزيادة من نسختى (ا) و (ب) .

قوم يَبِسُّون فيتحمّلون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون » .
قيل : يقال : بسست الإبل وأبسستها : إذا زجرتها وقلت : بسٍّ بسٍّ ، وقيل : البسُّ : السَّوْق اللّيِّن ، قيل : يبسون فيه ثلاث لغات : فتح الياء المثناة من تحت و بعدها باء موحدة مضمومة ومكسورة ، و يقال أيضاً : بضم المثناة مع كسر الموحدة والله أعلم .

وفيه عن أبي بكر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لايدخل المدينة رُعْبُ المسيح الدجّال ، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب مَلَكان » .

وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدّجّال إلاّ مكة والمدينة ليس من نقابها إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها ثم تَرْجُفُ المدينة بأهلها ثلاث رَجفات فيخرج إليه كلُّ منافق وكافر » .

وفيه : حدّثنا أبو سعِيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه قال : حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً طويلا عن الدجّال فكان فيما حدّثنا به أن قال : « يأتى الدجّال وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يَدْخُل نقابَ المدينة يَنزِل بعض السِّباخ التى بالمدينة فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خيرُ الناس ، أو من خير الناس فيقول : أشهد أنك الدجّال الذى حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثَه ، فيقول الدجّال : أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتهُ أتشكّون فى الأمر ؟ فيقولون لا ، فيقتله ثم يُحْيِيه ، فيقول حين يُحْيِيه : والله ما كنتُ قطُّ أشدَّ بصيرةً منّى اليوم : فيقول الدّجّال : أقتله فلا يُسلط عليه » .

وفيه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهمَّ اجعلْ بالمدينة ضِعْفَىْ ما جَعَلْتَ بمكة من البركة » .

وعن أنس بن مالك : « أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قَدِمَ من سفر فنظر إلى جُدْران المدينة أَوْضع راحلته ، وإن كان على دابّة حرّكها من حُبّها » . قيل : أوضع : أسرع والله أعلم .

وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وُعِكَ أبو بكر وبِلاَل رضى الله عنهما ، فكان أبو بكر إذا أخذته الحُمّى يقول :

كل أمرئٌ مصبح فى أهـله * والموتُ أدنى من شراك فعـله

وكان بِلاَل إذا أَقْلَعَ عنه (الحمّى[1]) يرتفع عقيرته ويقول :

ألا ليتَ شعرى هل أبيتنّ ليلةً * بوادٍ وحَوْلى إذخِرٌ وجليلُ
وهـل أردنْ يوماً مياه مَجَنّةٍ * وهل يبدونْ لى شامةٌ وطَفِيلُ

اللهم ألْعَنْ شَيْبَةَ بن ربيعة ، وعُتْبَةَ بن ربيعة ، وأُمَيّة[2] ، بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوَبَا ، ثم قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمّ حَبِّب إلينا المدينة كحُبّنا مكةَ أو أشـدّ ، اللّهم بارك لنا فى صاعِنا وفى مُدِّنا وصحِّحها لنا ، وأنقُل حُمّاها إلى الجُحْفَة » قالت : وقدمنا المدينة وهى أَوْبأُ أرض الله ، قالت : فـكَان بطحان يجرى نجلًا ، يعنى ماء آجِناً[3] . قيل : رفع عَقِيرته ، أى صوته لأن العَقِيرة الساق كأن الذى قطعت رجله رفعها وصاح ، ثم قيل لكل من صاح ذلك ، حكاه الجوهرىّ ، وأسم الجُحْفة : مَهْيَعة ، وقيل لها

---

(١) الزيادة من نسخة (ب) والسياق يقتضيها .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل « أبى » .
(٣) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون .

جُحْفة لأن السيل أجحفها ، وهى أحدُ المواقيت ، زاد ابن زَبَالة[١] : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريتُ فى المنام أن سوداء رُدِفَتْ خَلْفِى حتى بلغتُ الْجُحْفة فنزلتْ بها فأوّلتها حُمّى المدينة » .

وفى صحيح البخارى من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُ امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مَهْيَعة فتأوّلتُها أن وباء المدينة نُقِل إلى مَهْيَعة » والله أعلم .

وروينا فى صحيح مسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن إبراهيم حرّم مكة [ودعا لأهلها وإنى حرّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكة[٢]] وإنى دعوت فى صاعها ومُدِّها بمثلى ما دعا به إبراهيم لأهل مكة » :

وعن نافع بن جبير أن مروان بن الحكم خطب الناس فذكر مكة وأهلها وحُرْمَتها ، فناداه رافعُ بن خُدَيج فقال: مالى أسمعك ذكرتَ مكةَ وأهلها وحُرْمَتها ولم تذكر المدينة وأهلَها وحُرْمَتَها فقد حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بَيْنَ لابَتَيْهَا . وذلك عندنا فى أديمٍ خولانىّ إن شئتَ أقْرَأْتُكَه ، قال : فسكت مروان ثم قال : قد سمعتُ بعضَ ذلك . ونقل ابن زبالة فقال رافع : أيها المتكلم [إنك[٣]] لم تذكر مكةَ بشىء إلاّ وهى أفضلُ منه ، وإنى لم أسمعك ذكرت

---

(١) هو محمد بن الحسن المعروف بابن زبالة ، أحد أصحاب مالك ، وكان من المحدثين ، وزبالة كسحابة ، كذا فى وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودى الشافعى (الناشر) .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) وهى ناقصة من الأصل .

(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

المدينة ، وأشهدُ لسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المدينة خيرٌ من مكة » .

وفى رواية [له[١]] ولما أمره الله بالهجرة إليها قال : « اللهمَّ إنك أخرجتَنِي من أحبِّ بلادك إلىَّ فأسكِنِّي فى أحبِّ بلادك إليك » والله أعلم .

وفيه عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى أحرِّم ما بين لاَبَتِي[٢] المدينة أن تُقطَع عِضَاهُها أو يُقتَل صيدها » وقال: « المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، لايدعها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدلَ اللهُ فيها مَنْ هو خيرٌ منه ، ولا يثبت أحدٌ على لأوائها وجُهْدها إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيمة »[٣] .

وفيه عن سعد بن أبى وقّاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثم ذكر الحديث السابق وزاد فيه : « ولا يريد أحدٌ أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح [فى الماء[٤]] .

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دُبُرَ أُحدٍ ثم تصرف الملائكةَ وجهَهُ قِبَلَ الشام وهنالك يَهْلِك » .

دعاء النبى بالبركة للمدينة وثمرها

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه [قال[٥]] : كان الناس إذا رأوا أوّل

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) قوله : لابتى المدينة . اللابة : الحرة .
(٣) فى الحديث بشارة للصابر فى المدينة ولمن مات فيها بالموت على الإسلام .
(٤) التكملة من نسختى (ا) و (ب) . وهذا الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه .
(٥) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

التَّمر جاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهمَّ بارك لنا فى تَمْرِنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مُدِّنا . اللهمَّ إنَّ إبراهيمَ عَبْدُك وخليك ونبيُّك وأنا عبدك ونبيُّك ، وإنه دعاك لمكة وإنى أدعوك للمدينة بمثل مادعاك به لمكة ومثله معه » ثم يدعو أصْغَر وَليدٍ له يراه فيعطيه ذلك التمر .

وينبغى أن نورد ما رواه أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى على الناس زمانٌ يدعو الرجل لابن عمِّه أو قريبه : هَلمَّ إلى الرَّخاء ، هَلُمَّ إلى الرَّخاء ، والمدينة خَيْرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسى بيده لا يَخْرُج أحدٌ رغبةً عنها إلاَّ أخلف اللهُ فيها خَيْراً منه .. إلاَّ أن المدينة كالكِير يُخْرِج الخبيث لا تقوم الساعة حتى يَنْفِى المدينةُ شِرَارَها كما يَنْفِى الكِيرُ خَبَثَ الحديد » وفى رواية لابن زَبَالَة : « أن المدينة تَنْفِى خَبَثَ الرِّجال كما يَنْفِى الكِيرُ خَبَثَ الحديد » . وفى رواية صحيح البخارى فى غزوة أُحُدٍ من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنها طَيْبَةُ تَنْفِى الذُّنوبَ كما يَنْفِى الكِيرُ خَبَثَ الفضَّة » . وفى رواية : « كالكِير تَنْفِى خَبَثَهَا ويَنْصَع طِيبها » والله أعلم .

وروى ابن النجَّار[١] عن محمد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه فى قوله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) قال : جعل الله تعالى مُدْخَلَ صِدْقٍ المدينة ، ومُخْرَجَ صِدْقٍ مكة ، وسلطاناً نصيراً الأنصار .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل : « البخارى » وهو خطأ من الناسخ .

ونقل البَغَوِيّ عن ابن عباس فى قوله : (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً) إنها المدينة والله أعلم .

وذكر ابن النجّار تعليقاً عن أمّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : كل البلاد افتتحت بالسيف و [افتتحت[1]] المدينة بالقرآن .

وروى أيضاً عن مالك بن أَنَس رضى الله عنه عن يحيى بن سعيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً وقَبْرٌ يُحْفَرُ فاطَّلَعَ رجلٌ فى القبر فقال : بئسَ مَضْجَعُ المؤمن ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « بئسَ ما قُلْتَ » قال : إنى لم أُرِد هذا يارسول الله ، إنما أردت القتلَ فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا مِثْلَ أو لا شِبْهَ للقتل فى سبيل الله وعلى الأرض بقعة هى أحبُّ إلىّ أن يكون قبرى بها منها ثلاث مرّاتٍ[2] »

وبسنده إلى سالم[3] بن عبد الله بن عمر قال : سمعت أبى يقول : اشتدّ الجهدُ بالمدينة وغلا السعر فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « اصبروا يا أهل المدينة وأبْشِرُوا فإنى قد باركتُ على صاعكم ومُدِّكم ، كُلُوا جميعاً ولا تفرّقُوا فإن طعام الرجل يكفى الاثنين ، فمن صبر على لأوائها وشِدّتها كنتُ له شفيعاً ، وكنتُ له شهيداً يوم القيمة ، ومَنْ خرج عنها رَغبةً [عمّا][4] فيها أبدل اللهُ عزّ وجلّ

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) أخرجه الإمام مالك فى الموطإ .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « وبسند أبى سالم » وهو خطأ من الناسخ .

(٤) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

فيها مَنْ هو خَيْرٌ منه ، ومَنْ نعاها(١) أو كادها بسوء أذابه الله كما يذوب المِلْحُ في الماء » .

ونقل ابن النجّار أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أخافَ أهل المدينة ظُلْمًا أخافه الله وعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين »

وفي رواية : « مَنْ أخافَ أهلها فقد أخافَ ما بين هٰذين » ووضع يديه على جنبيه تحت ثدييه .

وفي رواية لابن زَبَالة : « مَنْ أخافَ أهل المدينة أو ظَلَمَهُم أخافه الله يومَ الفَزَعِ الأكبر وعليه لعنةُ الله » الحديث والله أعلم .

وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنّا بالسُّقيا التي كانت لسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائتوني بوضوء » فلما توضّأ قام واستقبل القِبْلَةَ ثم كَبَّر ثم قال : « اللهمّ إن إبراهيم كان عبدَكَ وخليلَكَ دعاكَ لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمدٌ عبدُكَ ورسولُكَ أدعوكَ لأهل المدينة أن تباركَ لهم في مُدِّهم وصاعهم مثل ما باركتَ لأهل مكة ومع البركة بركتين . ونقل أيضا من رواية « أحمد » والله أعلم . وبسند ابن النجّار إلى مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المدينة مُهَاجَرِي فيها مَضْجَعي » .

وفي رواية ابن زَبَالة : « فيها قَبْري وفيها مَبْعَثي ، حقيق على أُمَّتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر ، مَنْ حَفِظَهُمْ كنتُ له شهيدًا — أو شفيعًا — يوم القيامة ، ومَنْ لم يحفظهم سُقِيَ طينة الخَبَال » .

---

(١) كذا في نسختي (ا) و (ب) . ونعاها ، أي قبحها وعابها . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « تنعى على أمرأً أكرمه الله على يدي » أي تعيبني بقتلي رجلا أكرمه الله بالشهادة على يدي . يعني أنه كان قتل رجلا من المسلمين قبل أن يسلم (لسان العرب) وفي الأصل : « بغاها » بالغين المعجمة وهو تحريف .

مثل المُزَنِيّ عن طينة الخبَال قال : عُصَارة أهل النار .

ونقل [ابن زَبَالة(١)] عن سعيد بن المسيِّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف على المدينـة فرفع يديه حتى رُئى عُفْرة إبطية ثم قال : « اللهمّ مَنْ أرادنى وأهل بلدى بسُوء فعجِّل هلاكه » والعُفْرة (بالعين المهملة والفاء) : بياض ليس بالناصع ولـكن كلَوْن عَفَر الأرض ، وهو وجهها والله أعلم .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الفصل الثانى

فى أسماء المدينـــــة

أسماء المدينة

أعلم أن فيما حـــدث به ابنُ زَبالة عن إبراهيم بن أبى يحيى قال : للمدينة فى التوراة أحد عشر اسماً : المدينة ، وطَيْبَة[1] وطابَة ، و المسكينة[2] ، والجابرة[3] ، والمجبورة ، والمرحومة ، والمُحَبَّة ، والمحبوبة[4] ، والقاصمة[5] ، والهذراء[6] .

قيل : وفى المحكم لابن سيده : والعذراء (بالعين المهملة) وكذا رأيته فى ابن زَبالة والله أعلم .

وعن كعب قال : نجد فى كتاب الله الذى نُزِّل على موسى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قال للمدينة: « ياطَيْبَة ، يا طابة ، يامسكينة ، لا تقبلى الـكنوز أرفعُ أجاجيرَكِ[7] على أجاجير القُرَى » قيل : والإجار : السطح بلغة أهل الحجاز

---

(١) طيبة كهيبة لتكررها فى القرآن الـكريم فهو علم للمدينة النبوية .

(٢) نقل عن التوراة .

(٣) لجبرها الـكسير ، وإغنائها الفقير، وإضعاف البركة فى مدها وصاعها .

(٤) لحبه صلى الله عليه وسلم لها ، ودعائه به .

(٥) نقل عن التوراة ، وسميت كذلك لقصمها كل جبار عناها ، ومن أرادها بسوء أذابه الله .

(٦) سميت كذلك لشدة حرها ، أو لـكثرة مياهها .

(٧) قوله: أجاجير: السطوح ،وهى جمع إجار(بهمزة مكسورة فجيم مشددة)وفى الحديث :«من بات على إجار ليس حوله مايرد قدميه فقد برئت منه الذمة».

والشام والجمع أجاجير والله أعلم . قال عبد العزيز بن محمد: وبلغنى أنّ لها فى التوراة أربعين اسما .

ونُقل عن ابن خالوَيه أن من أسمائها : المَطِيّبة ، وطيبة (مشددة الياء) ، والمحبّبة ، والحبيبة ، ومن أسمائها : الدار والله أعلم .

كراهة بعض العلماء تسمية المدينة يثرب

وقد كَرِه بعض العلماء تسميتها يَثْرِب لقوله صلى الله عليه وسلم : «يقولون يَثْرِبَ وهى المدينة» . ولما فى مسند أحمد عن البَرَاء بن عازب قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سمّى المدينة يَثْرِبَ فليستغفر الله هى طابة هى طابة » وتسميتها فى القرآن « يَثْرِبَ » حكاية عن قول غير المؤمنين حتى قال عيسى بن دينار: ومن سمّاها « يَثْرِبَ » كتبت عليه خطيئة . وسبب الكراهة إما لكونه مأخوذاً من الثَّرْب وهو الفساد ، أو من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ، وكان عليه السلام يحبّ الاسمَ الحسَنَ ولهذا سمّاها صلى الله عليه وسلم : «طابة وطَيْبة» لما فى اسم طَيْبة من الطِّيب وهو موجودٌ فى المدينة حتى ذكروا أنه يُوجَد أبداً فى رائحة هوائها وتُرْبتها أو سائرِ أمورها ، أو لموافقتها من قوله تعالى: (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) أو لطهارتها من الكُفر لقوله تعالى : (الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبينَ)والطِّيب والطاب لغتان.

وقال أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنّى : يَثْرِبُ : اسمُ أرضٍ ومدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحيةٍ منها ، وهذا الاسم يطلق الآن على مشهد حمزة ابن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرقى الموضع المعروف بالبِرْكة مصرف عين الأزرق ، وتُسمِّيها الحجّاج عيون حمزة .

وكانت يَثرِبُ منازلَ بنى حارثة بن الحارث : بطن من الأوْس . وكانت قبل نزول الأوْس والخزْرَج أمَّ قُرَى المدينة وبها كان معظم [اليهود[1]] الغالبين على المدينة بعد العماليق .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

وكان بها ثلاثمائة صائغ من اليهود ، كذا نقله المطرىّ عن ابن زَبالة ، وفيه نظر ، لأن الثلاثمائة صائغ إنما كانت بزهرة ، وكانت من أعظم قرى المدينة هكذا حكاه ابن زَبَالَة ، قال : وكانت يَثْرِبُ أمَّ قُرَى المدينة وهى ما بين طرف قنَاة إلى طرف الجُرْف وسيأتى بيانهما .

ونقل أبو الحسن رُزَين بن معاوية بن عمّار العَبْدَرِىّ الأندلسىّ فى أخبار دار الهجرة : أن يَثْرِبَ اسمُ أبى عَبِــيل[1] . وقيل اسم موضع بالمدينة لقول الشاعر :

عَمَروا يثرباً وليس بها * شُفْرٌ ولاصارخٌ ولا ذو سَنَامِ

يقال : مابالدار شُفْرٌ ، أى أحدٌ ، حكاه الجوهرى .

وفى حديث أبى ذَرّ مِن قول النبى صلى الله عليه وسلم [لعلىّ[2]] : « إنى قد أمرتُ أنْ أسير إلى بلدة بين المسجدَيْن يقال لها يَثرِب وما أراكَ إلاّ صاحبى » إشعار بعدم كراهة تسميتها به ، ويقوّيه مافى الصحيحين هى المدينة يثرب والله أعلم ، لـكن ماحكى أن فى بنى حارثة نزل قوله تعالى فى يوم الأحزاب : (وإذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامُ لَكُمْ فَارْجِعُوا) يؤكّد ماتقدَّم . ونزل فيهم وفى بنى سَلِمَة يَوْمَ أُحُدٍ : (إذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) .

وقيل : إن الأَوْسَ والخَزْرَجَ أصلُ الأنصار ، قال بعضهم : وهو لقبٌ إسلامىّ وكانوا يُعرفون ببنى قَيْلَة . قال ابن النجّار : وكان يطلق عليهم أيضاً :

---

(١) أبو عبيل (كأمير) : اسم رجل من العمالقة .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

عمرو بن ثعلبة . قال رزين : وهم من ولد ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن أمرىء القيس ثعلبة بن مازن بن الأَزْد بن الغَوْث بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن قَحْطان ، فَوَلَدَ ثعلبةُ بنُ عمرو حارثةَ ، وولد حارثةُ الأَوْسَ والخَزْرَجَ وأُمُّهما قَيْلة ، فولد الأوسُ مالكا ومن مالك [قبائل(١)] الأَوْس كلّها ويقال لهم : أَوْس الله وهم الجعادرة(٢) ، سُمُّوا بذلك لقصرٍ فيهم ، أو لأنهم كانوا إذا أجاروا جاراً قالوا له : جَعْدِرْ حيثُ شِئْت أى إذهبْ حيثُ شِئْتَ كما حكاه ابن زبالة : وَوَلَدَ الخَزْرَجُ بنُ حارثة أخو الأَوْس خمسَ بنين وتفرّقوا بطوناً كثيرةً ، منهم رهط عُبَادة بن الصامت وبنو زُرَيْق و بنو بياضة و بنو سَلِمَة رهط مُعَاذ بن جبل ، وقبيلة جابر ، ورهط عبد الله بن رَوَاحة ، ومنهم بنو النجّار رهط أُبَىّ بن كعب ، ومنهم بنو سالم ، و بطون بنى ساعدة ، ورهط سعد بن عُبَادة . وثبت الأَوْسُ والخَزْرَجُ بالمدينة ما شاء الله وكلمتهم واحدة ، ومَلّكوا عليهم مالك بن عجلان ، لما رأوا نُبْلَهُ وجَلَدَه مع اليهود فى أمورٍ يطول شرحها .

ثم وقعت بين الأوْس والخزرج حروبٌ لم يُسْمَع قطّ فى قوم أكثر منها ولا أطول بسبب أمور لا يسعها هذا المختصر حتى قيل : كانت المدّة فى ذلك مائةً وعشرين سنة ، ثم جمع الله كلمتهم بسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهم نزل قوله تعالى : (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) الآية . فهذه نُبْذَةٌ من أخبار المدينة .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « الجآزر » .

الفصل الثالث

فى فضل المسجد الشريف

فضل المسجد الشريف

وفيه طرفان ، أحدهما : روينا فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مَساجد : مَسْجِدِى ، والمَسْجِدِ الحَرَام ، والمَسْجِدِ الأقْصَى » .

وفى صحيح مسلم رضى الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاةٌ فى مسجِدى هذا خيرٌ من ألف صلاة فى غيره من المساجد إلاّ المسجِدَ الحرامَ » .

وينبغى الإعلام بأن صلاة النَّفْل فى بيت الشخص [من المدينة[1]] أفضلُ لِمَا رويناه فى الأحكام الصغرى . وقال أبو داود من حديث زيد بن ثابت عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم : « صلاةُ المَرْء فى بَيْتِهِ أفضلُ من صلاته فى مَسْجِدى هذا » إلاّ المَكْتُوبَةَ ذكره قُبَيْلَ قولِه : ـ باب فى ركعتى الفجر ـ فلا عبرةَ بمن تَوَهّم خلافَ ذلك والله أعلم .

وفى مسلم أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنِّى آخرُ الأنبياء وإنَّ مَسْجِدِى آخرُ المساجدَ » .

وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها : « أنا خاتَمُ الأنبياء ومَسْجِدِى خاتَمُ

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

مساجدَ الأنبياء أحقُّ المساجد أن يُزَارَ وتَرْكَبُ إليه الرَّوَاحِلُ صلاةٌ فى مَسْجِدِى هذا أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سِوَاهُ إلاَّ المسجدَ الحرام » .

وفيه عن أبى سعيد الخُدْرِىّ قال : دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت بعض نسائه فقلت : يا رسول الله ، أىُّ المسجدين الذى أُسِّسَ على التقوى ؟ قال : فأخــذ كفاً من حَصْبَاء فضرب به الأرضَ ثم قال : « هو مَسْجِدُكم هذا مَسْجِدُ المدينة » . ونقل ابن زَبالة : « هو مَسْجِدِى هذا ، وفى كل خيرٌ » والله أعلم .

وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما يُسَافَرُ إلى ثلاثة مساجدَ : مَسْجِدِ الكعبة ، ومسجدى ، ومَسْجِدِ إيلياء » .

وينبغى أن نورد ما رويناه من حديث أحمد رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صَلَّى فى مَسْجِدِى أربعين صلاةً لا تفوته صلاة كُتِبَتْ له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرىء من النفاق » أورده الحافظ المنذرى رُوَاته رُوَاة الصحيح . وما رويناه من تحفة الزائر لابن عساكر من حديث عطاء عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاةٌ فى مسجدى أفضلُ من مائة ألف صلاة فيما سِوَاه إلاَّ المسجدَ الحرامَ وصلاةٌ فى المسجد الحرام أفضلُ من مائة ألف صلاة فيما سِوَاه » .

وفى رواية : « صلاةٌ فى مسجدى أفضلُ من ألف صلاة فى غيره إلا المسجدَ الحرامَ وصلاةٌ فى المسجد الحرام تَعْدِل مائة ألف صلاة » والله أعلم .

وبسند ابن النجّار إلى أبى أُمامة بن سهل بن حنيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ خَرَجَ على طُهْرٍ لا يريد إلا الصلاة فى مَسجِدِى حتى

يُصَلى فيه كان بمنزلة حِجَّة » . وبه إلى سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ دخل مَسْجِدِي هذا يَتَعَلَّمُ فيه خَيراً أو يُعَلِّمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ومَنْ دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يَرَى ما يُعْجِبه وهو لغيره » .

الطرف الثانى

فى فضل ما بين القبر والمنبر

فضل ما بين القبر والمنبر

روينا فى الصحيحين عن عبد الله بن زيد المازنىّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بين بَيْتِى وَمِنْبَرِى رَوْضَةٌ من رياض الجنّة » زاد البخارى من حديث أبى هريرة « ومِنبَرِى على حَوْضى » وفيهما من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بَيْنَ قبرى ومِنْبَرِى رَوْضَةٌ من رياض الجنّة » وبه إلى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بين حُجْرَتى إلى مِنْبَرِى رَوْضَةٌ من رياض الجنّة وإن مِنْبَرِى على تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجنّة » قيل : والتُّرْعَة : [الرَّوْضَة[1]] تكون على المكان المرتفع خاصّة ، وقيل : الباب ، وقيل : الدرجة والله أعلم .

وروى ابن زَبَالة وابن عساكر عن أمّ سلمة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قوائمُ المِنْبَرِ رَوَاتِبُ فى الجنّة » قيل : معناه ثوابتُ ، وأخرجه أحمد ، وقال الأئمة : لأنّ مَنْ لازمَ العبادة فى الرَّوْضة حصلت له رَوْضَةٌ وأن هذه البقعة الشريفة تُنقَل إلى الجنّة رَوْضة ، أو لأن العلم كان

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

يُقتَبَس من النبيّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك الموضع فسُمِّيَ روضة لأن فى الحديث « رياض الجنَّة حَلَقُ الذِّكر » .

وفى الحوض الأحتمالان الأوّلان ، فمن لازم طاعة الله تعالى عند المنبر سُقِيَ من الحَوْض ، أو أن المنبر يعيده الله تعالى على حاله فينصبه عند حوضه كما يعيد الخلق .

وما نقله رُزَين من حديث أمّ سلمة رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ـ [تَعْنِي[1]] وهو على المنبر ـ : « إنى لَعَلَى حَوْضى الآن » تَرَجَّحُ لأحَد الأحتمالين .

ونقل ابن زَبَالة أنّ ذَرْعَ ما بين المنبر ومُصَلّى النبيّ صلى الله عليه وسلم الذى كان يُصَلِّى فيه إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ذراعا ، ويقال وشبر ؛ وأنّ ذَرْعَ ما بين القبر المقدَّس والمنبر الشريف ثلاث وخمسون ذراعا .

وفى رواية له : أربع وخمسون وسدس ذراع . وقد أعتبرته فوجدته خمسين لا ثلثى ذراع ، ولعلّ نقصه عن المنقول بسبب ما دخل فى حائز عُمَر على الحجرة .

وينبغى أعتقاد كَوْن الروضة الشريفة لا تختصّ بما هو معروف الآن بل متسع إلى حدّ بيوته صلى الله عليه وسلم من ناحية الشام ، وهو آخر المسجد فى زمنه ، فيكون كله روضة ، وهذا إذا فرّعنا[2] على أن المفرد المضاف للعموم ، وقد رجّحه فى كتب الأصول جماعة ، فإضافة بيته المكرّم إلى نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم يعمّ كل بيت له ، وقد كانت بيوته خارجةً من المسجد مديرةً به إلاّ من جهة المغرب ، وكانت أبوابها شارعةً فى المسجد كما نقله ابن النجّار عن أهل السيرة والله أعلم .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « فرضنا » .

الباب الأول

فى بعض مقدّمات الهجرة ووروده صلى الله عليه وسلم المدينة وتأسيس مسجد قُبَاء وذكر مسجد الجمعة ثم مسجد المدينة وما يتعلّق به وذلك فى سبعة فصول

الفصل الأول

أول لقاء للنبى مع الأنصار فى موسم الحج

نقل أهل السير أنه لما أراد الله إنجازَ وَعْدِه ، وإظهارَ دينه ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المَوْسِم الذى لقى فيه الأنصار فعرض نفسه كما كان يفعل ، فبينا هو عند العقبة القُصْوَى لقى رَهْطاً من الخَزْرَج فسألهم فقالوا : نحن الخَزْرَج ، وهذا الاُسم كان غالباً على الأوْس والخَزْرَج جميعاً إذ ذاك فدعاهم إلى الله وإلى الإسلام وكانوا يسمعون ذكره من اليهود فى المدينة ، فقبلوا منه ، وكانوا ستّة نَفَرٍ ، ــ وقيل سبعة أو ثمانية ــ : أبو أمامة أسعد بن زُرَارة ، وعوف ، ومعاذ ابن الحارث ، وهما أبناء عَفْراء ، هؤلاء من بنى النجّار ، وسُمّى نجّاراً لأنه ضرب رجلا فنجره ــ واُسمه العِتْرُ فى قول الكلبى ــ ورافع بن مالك بن العجلان من بنى زُرَيق ، ومن بنى سلمة قطبة بن عامر ، ومن بنى حرام عُقْبة بن عامر ، ومن بنى عبيد على ابن جابر بن عبد الله بن رِئاب[1] ، وقيل : كلاهما حضرا ، فلما قدموا المدينة

أول من أسلم من الأنصار

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل . « رباب » وهو تحريف .

ذكروا ذلك لقومهم ودعوهم إلى رأيهم فلم تبق دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من أسلم من الأنصار فى السنة الثانية من موسم الحج

وفى السنة الثانية حضر منهم الموسم أثنا عشر رجلا ، وفى الإكليل : أحد عشر رجلا أنضاف إليهم عُبَادة بن الصامت ، وعباس بن عبادة بن نضلة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وحليف لبنى عمرو بن عوف ؛ فبايعُوهُ بيعة النساء على أن لا يشركوا بالله شيئاً إلى آخر الآية . وكان جميع هذا قبل نزول الفرائض ماعدا التوحيد والصلاة ،فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصْعَب بن عمير معهم ليفقِّهم فى الدِّين ويعلِّمهم الإسلام ويقرئهم القرآن،فلهذا سُمِّيَ المقرئْ ، وهو أول من سُمِّيَ به . وقيل : إنما أرسله بطلبهم مَنْ يُعَلِّمهم، فنزل على أسعد بن زُرَارة وكان يصلِّى بهم . قال عبادة بن الصامت : فلما كان العام المقبل أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعون رَجُلا و [معنا[1]] امرأتان من قومنا ، فيقال : أربعون مُسِنًّا وثلاثون شابًّا وأخذ بيده البَرَاء بن معرور ، ويقال : أسعد بن زُرَارة وهو أصغر السبعين ، ويقال : ثلاثة وسبعون ، وفى لفظ عن ابن إسحٰق : من الأوس أحد عشر رجلا ، ومن القبائل أربعة نَفَرٍ حُلَفاء الخزرج ، وكان من بنى الحارث اثنان وستون رجلا .

قال عُبَادة : وما تركنا فى المدينة بيتاً إلا وقد دخلهم الإسلام إلا دار أُمَيَّة ابن زيد وواقف ، فواعَدَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسجد شعب العقبة عن يسارك وأنت ذاهبٌ إلى مِنًى ، فلما توافينا عنده جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمُّه العباس وقال ــ يعنى العباس ــ : يا معشر الخزرج ، إن محمداً منّا حيث علمتم وقد منعناه كما بلغكم فإن كنتم تعلمون أنكم تقدرون على منعه وإلا

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

فَذَرُوهُ فهو مع قومه فى عِزٍّ ومَنَعَة، فقام البَرَاء بن معرور فقال: قد سمعنا ما قلتَ وإنَّا ما ضَرَبْنا إليه أكباد الإبل إلا وقد علمنا أنه نبيٌّ فبايِعْنَا يا رسولَ الله واشْتَرِطْ لنفسك ولربك ما شِئْتَ، فحَمِدَ الله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الله ورغَّب فى الإسلام ثم قال: « أنا أبايعكم على أن تمنعونى بما تمنعون نساءكم » فأخذ البراء بيده وقال: نعم والذى بعثك بالحق نبيًّا لنمنعنَّك مما[1] نمنع منه أزْرَنا ونحن أهل الحلقة والحصون والحروب، فقام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا و بين الرجال — يعنى اليهود — حِبَالاً و إنا قاطعوها، فهل عَسَيْتَ إن نَصَرَكَ الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنَا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بل الدم الدم والهدم الهدم — يعنى حُرْمتى مع حرمتكم — ومقبرى مقبركم، والمحيا محياكم، والممات مماتكم، أُحارب مَنْ حاربكم وأُسالم مَنْ سالمكم اخرجوا لى منكم اثنى عشر نقيبا يكونوا على الناس » فأخرجوا تسعة من الخزْرَج وثلاثة من الأوس، فصرخ الشيطان وقال: يا أهل الحباحب — يعنى المنازل — هل لكم فى الصباة قد اجتمعوا على حربكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هذا إزْبُ العقبة — يعنى الشيطان — لأفرغنّ لك » أى عدوّ الله، ثم إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتخرج معنا؟ قال: « ما أمرت به ».

ويقال: وقع بين قريش والأنصار كلام بسبب خروجه صلى الله عليه وسلم وقالوا: لا تخرج معكم إلا فى بعض أشهر السنة ولا يتحدَّث العرب أنكم غلبتمونا، فقالت الأنصار — وقد حضر من قومهم ذلك الموسم خمسمائة —: الأمر فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سامعون لأمره، فأنزل الله عزّ وجلّ: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ) فانصرف الأنصار إلى المدينة.

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب). وفى الأصل: « بما » وهو تحريف.

ثم أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام أن دار الهجرة المدينة ، فأذن لأصحابه أن يتقدّموا إليها حتى يأذن الله له ، فصاروا إلى المدينة إرسالا فتتابعوا ، فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا بدار النَّدْوَة ليأتمروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أبو جهل ، وقد زعم ابن دريد فى الوشاح أنهم [كانوا[١]] خمسة عشر رجلا .

وفى المولد لابن دحية كانوا مائة رجل ، ودخل معهم إبليس فى صورة شيخ نجدىّ فقال بعضهم : نخرجه من بين أظهرنا ، وقال آخرون : أولا يُطْعَم حتى يموت ، فقال أبو جهل : قد رأيت أصلح من رأيكم أن نعطى خمسة [رجال من خمس[٢]] قبائل سَيْفاً سَيْفاً فيضربونه ضربة رجل ، فيفترق دَمُه فى هذه البطون فلا يقدر لكم بنو هاشم ، فقال النجدىّ : لا أرى غير هذا ، فأَخْبَرَ جبريل النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى على نبيه : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْيُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ) فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لعلىّ : « نَمْ على فِرَاشِى وأَتَّشِحْ بِبُرْدَتى فلَنَ يخلص إليك منهم أمرٌ فتردّ هذه الودائع إلى أهلها » لأن كُفّار قريش كانت تودع عنده لأمانته عليه الصلاة والسلام ، ولهذا سمّوه الأمين ، وأتى أبا بكر فأعلمه وقال : « قد أُذِنَ لى » فقال الصحبة : يا رسول الله وقد كان حبس نفسه عليه لما ثبت فى الصحيح أن أبا بكر رضى الله عنه تجهّز قبل المدينة فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : « على رِسْلك فإنى أرجو أن يُؤْذَنَ لى » فقال له : وهل ترجو ذلك بأبى أنتَ وأمّى ، قال : « نعم » فحبس نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

ليصحبه ، وكان عمر قد تقدم إلى المدينة وعلف أبو بكر راحلتين كانتا عنده الخَبَطَ أربعة أشهر .

وفى طبقات ابن سعد : أن ثمنهما ثمانمائة درهم ، اشتراها من نَعَم بنى قشير وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم القصوى بثمنها وأهمل ذلك السهيلى ، فذهب أبو بكر إلى عبد الله بن أُرَيقط من بنى الديل فاُستأجره ، وكان هادياً ماهراً بالهداية وهو على دين الكفّار فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما وواعداه غارَ ثَوْرٍ براحلتيهما صبح ثلاث واُنطلق عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل .

قال اُبن النجّار : ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تُجّاراً قافلين من الشام فكسا اُلزُّبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابَ بياضٍ ، وسمع المسلمون فى المدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا يغدون كل غداةٍ إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردّهم حرُّ الشمس ، فرجعوا يوماً بعد طول اُنتظارهم ، فلما آووا إلى بيوتهم أوفى رَجُلٌ من اليهود على أُطُمٍ من آطامهم ، قال ابن زَبَالة : وهى عزُّ أهل المدينة ومنعهم التى يتحصّنون فيها من عدوّهم لأمرٍ ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيَّضين فنادَى بأعلى صوته : يامعشر العرب ، هذا جَدّكم الذى تنتظرونه ، يعنى حظكم ، فثار المسلمون إلى السّلاح فتلقّوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرّة فعدل بهم فى بنى عمرو بن عوف .

فقيل كان قدومه صلى الله عليه وسلم لهلال ربيع الأوّل ، وقيل لثمان خَلوْن منه . وفى الإكليل عن الحاكم : تواترت الأخبار بذلك ، وقيل ليلة الأثنين أوّل يوم منه،وقدم [المدينة][1] يوم الجمعة عشاء لثنتى عشرة ليلة مضت منه ،[وقيل لليلتين مضتا منه ، وقيل لثمان عشرة ليلة][1] وقيل لبضع عشرة ليلة . وعقد

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

البيهقى اثنتين وعشرين ليلة ، وعند ابن حزم : خرجنا من مكة وقد بقى من صفر ثلاثُ ليال ، وقال البرقى : قدما ليلا ، وقيل: قدم لثلاث عشرة ليلة مضت منه ، ومن العجب عدم موافقة ابن النجار لشيء من هذه الأقوال بل جزم بقدومه عليه الصلاة والسلام حين اشتدّ الضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل ووافقه جازماً بذلك النووىّ فى زوائده من كتاب السير من الروضة ، وأقام علىّ رضى الله عنه ثلاثة أيام بمكة بعده حتى أدّى للناس ودائعهم ثم لحقهم فأدركهم بقُباء فنزل معه على كُلْثوم بن الهِدْم أحد بنى زيد وهو يومئذ مشرك رواه ابن زبالة وقيل سعد بن خيثمة ، ونزل أبو بكر على خُبَيب بن يَساف، وقيل على خارجة ابن زيد ، وكلاهما من الخزرج ، وقال كُلْثوم لغلام له : يا نجيح أطعمنا رُطَبًا ، فقال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « أنجحت وأنجحنا » وكلثوم أوّل من مات من الأنصار بعد قدومه صلى الله عليه وسلم، وبعده بأيام مات أبو أمامة أسعد بن زُرَارة فيما نقله السهيلى [زاد][1] غيره : هلك بالذبحة ومسجد المدينة يبنى ، وهو أوّل من دُفن بالبقيع قاله رَزِين ، وبهذا يظهر أن عثمان بن مظعون أوّلُ من دفن به من المهاجرين جمعاً بين النقلين والله أعلم .

وكان لكلثوم بن الهِدْم مربدٌ أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسّسه وبناه مسجداً وصلى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتى المدينة ، قيل : وهو أوّل مسجد أسّس فى الإسلام ، فمسجد قُباء فى بنى عمرو بن عوف .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الفصل الثانى

فى فضل أهل قُبَاء ومسجدهم

فضل أهل قباء ومسجدهم

روى ابن النجّار بسنده إلى عويم بن ساعدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأهل قُبَاء : « إن الله قد أحسن الثناء عليكم فى كتابه العزيز فقال: فيه رجال يحبُّون أن يتطهروا الآية ما هذا الطهور ؟ » فقالوا: مانعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيرانٌ من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وروينا فى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قُبَاء راكباً وماشياً ، وفى رواية له: « يأتى » بدَل « يزور » فيصلى فيه ركعتين. وفيه أن ابن عمر كان يأتى مسجد قباء كل سَبْتٍ ويقول : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت ، وفى رواية لابن حبان كل يوم سبت، وللبخارى وكان ابن عمر يفعله. وحكى ابن النجار أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأتى قُبَاء كل يوم الاثنين و يوم الخميس فجاء يوما فلم يجد فيه أحداً من أهله فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وأصحابه ينقل حجارته على بطوننا و يؤسّسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريلُ صلى الله عليه وسلم يؤمُّ به البيت وفيه نظر لما سبق أنه صلّى فيه لبيت المقدس ، ومحلوف عمر : بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل . ونقل رَزِين فى تتمة ذلك ثم أخذ جرائد فجعل يمسح جدرانه وسطحه ، فقيل له : نكفيك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا تكفونيه أنا أريد أن أكفيكم أنتم مثل هذا وإن شئتم اعملوا مثل ما أعمل والله أعلم .

قال ابن النجّار : وروى البخارى فى الصحيح : كان سالم مولى أبى حذيفة

رضى الله عنه يؤمُّ المهاجرين الأوّلين من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم فى مسجد قُبَاء فيهم أبو بكر وعمر ولعلّ تقديمه لكونه إماما راتبا كما أفهمه بعض الروايات. وفى الصحيح: «خذوا القرآن من أربعة وسالم هذا أحدهم» وعن سهل بن حنيف عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من تَوَضَّأَ فأَسْبَغَ الوضوء وجاء مسجد قُبَاء فصلّى فيه ركعتين كان له أجر عُمْرة» ونقل الطبرانى فى معجمه عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من تَوَضَّأَفأحسن وضوءه ثم دخل مسجد قُبَاء يركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل رقبة» وفى رواية: «من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قُبَاء ويصلِّى فيه كان عدل عُمْرة» أخرجه أحمد والنسائى، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

وفى كتاب رَزِين عن محمد بن المنكدر: أدركت الناس يأتون مسجد قُبَاء صبيحة سبع عشرة من رمضان، ونقله يحيى من حديث جابر عن فعل النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم.

وروت عائشة بنت سعد بن أبى وقّاص عن أبيها رضى الله عنه قال: والله لأن أصلى فى مسجد قُبَاء ركعتين أحبُّ إلىّ من أن آتى بيت المقدس مرّتين ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل. ورَوَى نافع عن ابن عُمَر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى إلى الأسطوان الثالث فى مسجد قُبَاء التى فى الرحبة. ونقل ابن زبالة أنه كان على سبع أساطين وكانت له درجة لها قبة يؤذَّن فيها يقال لها النعامة حتى زاد فيه ابن الوليد، فيحتمل أن هذه صفة بنائه عليه الصلاة والسلام والله أعلم. ويؤكِّده قولهم: ولم يزل مسجد قُبَاء على ما بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند بناء مسجد المدينة على هذه الحالة التى هو عليها اليوم، فَتَشَعَّثَ على طول الزمان وتهدّم، فجدّده فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة الوزير جمال الدين محمد بن على بن أبى المنصور الأصبهانى المعروف بالجواد، وسيأتى ذكره فى الكلام على الأبواب

إن شاء الله تعالى ، والصحيح أن قُبَاءعلى ثلاثة أميال من المدينة ، وقال الباجى:على ميلين ، وقال القاضى عياض : بنو عمرو بن عوف على ثلثى فرسخ، قال ابن النجّار: ذرعت مسجد قُبَاء فكان طوله ثمانية وستين ذراعا يشف قليلا وعرضه كذلك وأرتفاعه فى السماء عشرون وطول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان وعشرون والمنارة على يمين المصلى وهى مربعة والله أعلم .

مسجد الضرار

أما مسجد الضرار فلا أثر له ولا يُعْرف له مكان فيما حول مسجد قُبَاء ولا فى غير ذلك من جهات المدينة وقد وهم فى ذلك ابن النجّار .

ونقل البكرى فى معجم ما أستعجم أن من العرب من يذكر قُبَاء ويصرفه ومنهم من يؤنثه ولا يصرفه، وإنما سميت قُبَاء ببئر كانت بها يقال لها قبّار فتطيّروا منها فسموها قُبَاء كما نقله ابن زبالة والله أعلم .

الفصل الثالث

فى بناء مسجده وتعيين مُصَلاَّهُ صلى الله عليه وسلم

بناء مسجده وتعيين مصلاه صلى الله وسلم

قيل : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقُبَاء فى بنى عمرو بن عوف اثنين وعشرين ليلة حكاه يحيى ، وفى صحيح مسلم : أقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ويقال إنه أقام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسّس مسجده ثم خرج من قُبَاء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعةُ فى بنى سالم بن عوف فصلاّها فى بطن وادى رانونا ، قيل : واسم المسجد الغُبَيث (١) والوادى صُلْب حكاه ابن زبالة ويحيى والله أعلم ، فكانت أوّل جمعة صلاّها فى المدينة ، قيل : وكانوا مائة رجل ويقال أربعين والله أعلم ، فلهذا سُمّى مسجد الوادى ومسجد الجمعة ، وهو على يمين السالك إلى مسجد قُبَاء وشماليّه أُطم خراب يقال له المزدلف ، أُطم عتبان بن مالك ، وهو مسجد صغير مبنىّ بحجارة قدر نصف القامة وهو الذى كان السيل يحول بينه وبين عتبان بن مالك لأن منازل بنى سالم بن عوف كانت غربى هذا الوادى على طرف الحرّة وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله صلى الله عله وسلم أن يصلى فى بيته فى مكانٍ يتخذه مُصلى ففعل وركب راحلته يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم متوجّها إلى المدينة ، فكان كلّ مارٍّ على دار من دُور الأنصار يدعونه إلى المُقَام عندهم : يارسول الله صلى الله عليك وسلم ، هلمّ إلى القوّة والمنعة ، فيقول : «خلّوا سبيلها ــ يعنى ناقته ــ فإنها مأمورة» وقد أرخى زمامها وما يحرّكها وهى تنظر يميناً وشمالا حتى إذا أتت دار مالك بن النجّار بركت على باب مسجده ، وهى يومئذ مربد لسَهْلٍ وسُهَيلٍ ابنى رافع بن عمرو بن مالك بن عباد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجّار .

---

(١) كذا فى الأصل ونسخة (ب) وفى نسخة (ا) « العبيب » .

فالمسجد الشريف اليوم وما يليه من جهة المشرق دار بنى غنم ، قيل : وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء ، ويقال أسعد بن زرارة وهو المرجّح و به جزم ابن النجّار ، وفى كتاب يحيى : يتيمين لأبى أيوب يقال لهما : سَهل وسهيل أبنا عمرو والله أعلم . ثم ثارت وهو عليها حتى بركت على باب أبى أيوب الأنصارى ، ثم ثارت منه و بركت فى مَبركها الأوّل وألقت جرانها بالأرض وأرزمت .

قيل : والجران : باطن العنق ، وقيل : مقدّم العنق من مذبح البعير إلى أمنحره ، وأرْزمت الناقة : صوّتت من غير أن تفتح فاها ، والحنين أشدّ منه والله علم . فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هذا المنزل إن شاء الله وأحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته . قيل : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع رحله » فمضت مثلاً . قال ابن زبالة : ونزل معه زيد بن حارثة والله أعلم . وكانت دار بنى النجّار أوسط دور الأنصار وأفضلها ، وهم أخوال عبد المطلب بن هاشم جدّ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، أمه سلمى ابنة عمرو بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدىّ بن النجار . وروى أبن بكار عن عبد الرحمن بن عتبة عن أبيه قال : اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينَيْه فنزل منزله وتخيّره وتوسّط الأنصار . قيل : وأنزله أبو أيوب فى السفل ثم سأله فى ذلك أستعظاماً له فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « السفل أرفق بنا وبمن يغشانا » فقال : والله لا أمشى فوقك أبداً . وقيل : إنما سأل ذلك لما أنكسر الحُبّ[1] فتقاطر الماء عليه فسأله فصعد حينئذ .(والحب بضم الحاء المهملة الخابية: والجمع حِباب فارسى معرّب) . ونقل بعض شيوخنا عن المبتدا[2] لأبن إسحاق أن هذا البيت الذى لأبى أيوب بناه تُبَّع الأوّل ، وأسمه تبان أسعد لما مرّ بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم وكتب

---

(١) الحب (بضم الحاء المهملة) هو الزير للماء .

(٢) المبتدا : اسم كتاب .

كتاباً للنبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فتداول الدار الملاك إلى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم .

قال : وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء ، فعلى هذا إنما نزل فى منزل نفسه لا منزل غيره ، قال أنس : صَعِدَت ذوات الخدور على الأجاجير(١) — يعنى عند قدومه — يَقُلْنَ :

غناء ذوات الخدور عند قدوم النبي المدينة

طَلَعَ البدرُ علينا * من ثَنِيَّاتِ الوَدَاع
وَجَبَ الشكرُ علينا * ما دعا لله داع

والغلمان والولائد يقولون : جاء رسول صلى الله عليه وسلم فرحاً به . وفى شرف المصطفى لما بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جَوَارٍ من بنى النجّار يَضْرِبْنَ بالدُّفوف ويَقُلْنَ :

غناء جوار من بنى النجار وهن يضربن بالدفوف لاستقبال النبي

نحنُ جَوَارٍ من بنى النجّار * يا حَبَّذَا محمدٌ من جارِ

فقال صلى الله عليه وسلم : « أتُحِبِبْنَنِي » ؟ قُلْنَ : نعم يارسول الله ، فقال : « وأنا والله أُحِبُّكُنَّ » قالها ثلاثا ، و بعد مَقْدَمه بخمسة أشهر ، وقال ابن عبد البر بثمانية ، آخى بين المهاجرين والأنصار — وكانوا تسعين رجلا ، من كل طائفة خمسة وأربعون ، وقيل مائة — على الحقّ والمواساة والتوارث ، وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر : (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ) الآية والله أعلم .

ولم يزل صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب ينزل عليه الوحى و يأتيه جبريل عليه السلام حتى بنى مسجده ومساكنه ، قيل : وكانت المدة عند

---

(١) الأجاجير . السطوح

أبي أيوب سبعة أشهر كما قاله ابن النجّار ، وقال رَزِين : من شهر ربيع الأوّل إلى صفر من السنة الثانية ، وقال الدولابي : شهراً ، وعند ذلك فرغ من بناء مسجده و بيتين لعائشة وسودة على صفة بناء المسجد من لَبِنٍ وجريد النخل ، ثم لما تزوّج عليه الصلاة والسلام نساءه بنى لهنّ حُجَراً وهي تسعٌ ، قال رَزِين : وما مرّتْ بهم ليلةٌ من نحو السنة إلاّ وتأتيه جَفْنة سعد بن مُعَاذ ثم سائر الناس يتناوبون ذلك نوباً . وفي كتاب يحيى عن زيد : ما من ليلة إلاّ وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منّا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت أبي أيوب ثم قال : وما كانت تخطئه جَفْنَة سعد بن عبادة وجَفْنَة أسعد بن زُرَارة كل ليلة ، وكانت أم سُلَيم تتأسف على ذلك وما كان لها شيء فجاءت بابنها أنس فقالت : يخدمك أُنيس يارسول الله ، قال : « نعم » والله أعلم ، لكن في الصحيح من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طلحة : « التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني » قال : فخرج بي أبو طلحة يردفني وراءه ، فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل الحديث . وأرسل رسول صلى الله عليه وسلم إلى ملإ بني النجّار لسبب موضع المسجد فقال : « يابني النجّار تأمِنوني بحائطكم هذا » فقالوا : لا والله ما نطلب ثمنه إلا إلى الله .

والحديث صحيح وظاهره أنهم لم يأخذوا ثمنه . وعن التاريخ الكبير لمحمد ابن سعد عن الواقدي : أنه صلى الله عليه وسلم اشتراه من أبني عفراء بعشرة دنانير ذهباً دفعها أبو بكر الصديق ، وعدم قبوله بلا ثمن لأنه لليتيمين . ونقل ابن عقبة أن أسعد عوّضهما عن مربدهما نخلا له في بني بياضة . وعند ابن زَبَالة أن أسعد مات قبل أن يبنى المسجد فابتاعه صلى الله عليه وسلم من وليّهما . وعن أبي معشر : اشتراه أبو أيوب منهما وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه مسجداً . قيل : وكان جداراً مجدراً ليس عليه سقف وكان أسعد بناه فكان يصلّي بأصحابه فيه

ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدمه صلى الله عليه وسلم ، والأشبه ما نقله رَزِين عن أنس أن مصعب بن عمير كان يصلى فى موضع المسجد قبل ذلك بطائفة من المهاجرين والأنصار قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بسنة . قال يحيى : فلما خرج مصعب إلى النبى صلى الله عليه وسلم صلَّى بهم أسعد بن زُرَارة والله أعلم .

ودار أبى أيوب مقابلة لدار عثمان رضى الله عنه من جهة القبلة وبينهما الطريق ، وقد أشترى عَرَصَتَها الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب بن شاذى ، وكانت دار مملكته ميَّافارقين وبناها مدرسةً ووقفها على المذاهب الأربعة من أهل السُّنَّة ، وفيها قاعتان صغرى وكبرى ، وفى الإيوان الغربى من الصغرى خزانة صغيرة مما يلى القبلة فيها محراب يقال إنها مبرك ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويلى المدرسة من جهة القبلة عَرَصَة كبيرة تحاذيها من القبلة كانت داراً لجعفر بن محمد بن على بن الحسين المعروف بالصادق رضوان الله عليهم ، وفيها قبلة مسجده وأثر محاريب ، وهى الآن ملك للأشراف والمنايفة بنى الأمير منيف .

وأعلم أن المربد[1] كان فيه خرب ونخل وقبور للمشركين فأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت ، وبالخرب فسُوِّيت ، وبالنخيل فقطع ، فَصَفّوا النخيل قبلة[2] وجعلوا عضادتيه حجارة ، وعمل فيه النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة ترغيباً لهم وهو يقول :

اللهمَّ لاخيرَ إلاَّ خَيْرُ الآخِرَهْ * فانْصُرِ الأنصارَ والمهاجِرَهْ

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللَّبِنَ فى ثيابه ويقولون :

---

(١) المربد : محل تجفيف التمر الذى يبسط فيه .

(٢) كذا فى الأصل ونسخة (ب) . وفى نسخة (ا) : « العيب » .

هــذا الحمال لاحمال خَيْبَرُ * هــــذا أبرُّ بنا وأطْهرُ

قيل : ووضع عليه الصلاة والسلام رداءه فوضع الناس وهم يقولون :

لَئِن قعدْنَا والنبيُّ يَعْمَلُ * ذاكَ إذاً لَلْعَمَلُ المضَلّل

وآخرون يقولون :

لا يستوى مَنْ يَعْمُرُ المساجدَا * يَدْأَبُ فيها قائماً وقاعدَا

* ومن يُرَى عن التراب حائدَا *

حتى نقل يحيى عن زيد: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حَجَرٌ فلقِيهُ أسيد بن الحضير فقال: يارسول الله أعطِنِيهِ ، فقال : « اذهبْ فاُحتملْ غيرَه فلَسْتَ بأفقرَ إلى الله منّى » والله أعلم .

و بنى النبيّ صلى الله عليه وسلم مسجده مُرَبَّعاً وجعل قبلته إلى بيت المقدس وطوله سبعون ذراعاً فى ستين أو أزيد ، ونقل عن يحيى قال : كان ذَرْعُه من القبلة إلى حدّه الشامى أربعة وخمسين ذراعاً وثلثى ذراع، ومن المشرق إلى المغرب ثلاثا وستين ذراعاً ، [فيكون ذلك مكسراً ثلاثة آلافٍ وأربعمائة وأربعة وأربعون ذراعاً][1] ، وهذا محمول على بنائه فى المرّة الأولى قبل أن يزاد فيه لأنه صلّى الله عليه وسلم بناه مرّتين كما سيأتى والله أعلم . وجعل له ثلاثة أبواب : باباً فى مؤخَّره ، وباب عاتكة، وهو باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو باب عثمان[2] ، وقيل : إن هذين البابين لم يغيَّرا بعد أن صرفت القبلة ، نقله يحيى وغيره والله أعلم .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) هو المعروف اليوم بباب جبريل .

ولما صرفت القبلة إلى الكعبة سدّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان خلفه وفتح باباً حذاءه ، فكان المسجد له ثلاثة أبواب : باب خلفه ، و باب عن يمين المصلّى ، و باب عن يساره .

وذكر ابن النجّار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مسجده مرّتين ، بناه حين قدم أقل من مائة [فى مائة][1] فلما فتحت خيبر بناه وزاد عليه فى الدور مثله ، ونقل ابن ز بالة أنه ترك ما يلى الشام من المسجد لم يزد فيه والله أعلم . وصلى فيه صلى الله عليه وسلم متوجّها إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم أمر بالتحوّل إلى الكعبة وأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأتاه جبريل عليه السلام وكشف له عن الكعبة وقال : يا رسول الله ، ضع القبلة وأنت تنظر ، فوضع وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شىء ، فلما فرغ قال جبريل : هكذا فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها ، فصارت قبلةً إلى الميزاب ، ونقل رَزِين عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان بناء مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالسميط لَبِنة على لَبِنة ، ثم بالسعيدة لَبِنة ونصف أخرى ، ثم كثروا فقالوا : يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ، فبنى بالذكر والأنثى وهى لَبِنتان مختلفتان، وكانوا رفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة، وجعلوا حوله ما يلى القبلة إلى مؤخّره مائة ذراع ، وكذا فى العرض فكان مربعاً ، وفى رواية جعفر ولم يُسَطَّحْ فشكوا الحرّ فجعلوا خشبه وسواريه جذوعا شقّة شقّة وضرب لَبِنه من بَقِيع الخَبْجَبة ، وهو عن يسار بقيع الغرقد عند بئر أبى أيوب بالمناصع . والخَبْجَبة : شجرة تنبت هناك قاله ابن ز بالة ويحيى ولا يعرف اليوم ذلك لكن فى حديقة تعرف بوقف رباط اليمنية بالقرب من الحديقة المعروفة بدار نخل بئر تعرف ببئر أيوب يتبرّك بها الفقراء ،وهى عن يسار بقيع الغرقد ، وهى عن يسار حديقة تعرف بأولاد الصفى ،ونصفها ملك

(١) التكاملة من نسختى (ا) و (ب) .

للأمير زيان بن منصور تعرف ببئر أيوب والله أعلم . ولعل الأولى أقرب إلى المراد والله أعلم .

قال : وظللوه بالجريد ثم بالخصف فلما وكف عليهم طيّنوه بالطين ، قال ابن النجّار بعد سؤاله فى ذلك: فقال عليه الصلاة والسلام : « عريش كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك » لكن نقل ابن زبالة عن أنس : كان بناء المسجد أوّل مابناه النبيّ صلى الله عليه وسلم بالجريد ، قال : وإنما بناه بعد الهجرة بأربع سنين والله أعلم . وجعلوا وسطه رحبة ، وكان جداره قبل أن يظلل قامة ، قيل : يزيد شبرا ، فكان إذا فاء الفيء ذراعا وهو قدمان يُصَلّى الظهر ، فإذا كان ضعف ذلك صلى العصر ، حكاه ابن زبالة ويحيى والله أعلم . وحُوِّلت القبلة بعد الهجرة بستة عشر شهراً فى مسجد بنى سلمة الذى يقال له : « مسجد القبلتين » فى صلاة الظهر . قيل : وتوفى البَرَاء بن معرور قبل قدومه عليه الصلاة والسلام ، وأوصى أن يوجه للكعبة وأنه صلى الله عليه وسلم صلّى على قبره ، حكاه رَزِين ، ويقال : كان تحويلها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الظهر وجزم به ابن زبالة ، ويقال : بل فى صلاة العصر يوم الأثنين فى النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من الهجرة ، وسيأتى ما يخالفه فى الكلام على « مسجد القبلتين » والله الموفق .

وحينئذ طأطأ جبريل الجبال حتى أبصر النبيّ صلى الله عليه وسلم الكعبة كما سبق ، وتوفى عليه الصلاة والسلام والمسجد كذلك ولم يزد أبو بكر رضى الله عنه فى المسجد شيئا لاُشتغاله بالفتح ثانيا . فلما ولى عمر قال : إنى أريد أن أزيد فى المسجد ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ينبغى أن يزاد المسجد ما زدت فيه شيئا » ونقل ابن زبالة وابن النجار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما وهو فى مُصلاّهُ فى المسجد : « لو زدنا فى مسجدنا وأشار بيده نحو

زيادة عمر ابن الخطاب فى المسجد النبوى

القبلة . فلما ولى عمر وأراد الزيادة أجلسوا رجلا فى المصلَّى ثم رفعوا يده وخفضوها ثم جىء بمقسط فوضعوا طرفه بيد الرجل ثم مدّوه فلم يزالوا يقدّمونه ويؤخّرونه حتى رأوا أن ذلك شبيه بما أشار به النبى صلى الله عليه وسلم ، فـكان موضع جدار عمر فى القبلة والله أعلم . وعن أبن عمر قال : كثر الناس فى عهد عمر فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو وسّعت فى المسجد فزاد فيه ، وقيل : ولما أراد عمر شراء دار العباس للتوسعة امتنع من بيعها وتصدّق بها على المسلمين بعد أن حكّما أُبيّ بن كعب وقضى بها للعباس ، قال يحيى: وكانت فيما بين موضع الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحـكم ، وسيأتى بيان المربعة ، ونقل أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم خطّ لجعفر بن أبى طالب وهو فى أرض الحبشة دُوراً فاُشترى عمر نصفها بمائة ألف وزادها فى المسجد ، وقيل:إن الذى اُشتراها عثمان رضى الله عنه والله أعلم . وجعل عُمَرَ طول المسجد أربعين ومائة ذراع ، وعَرَضه عشرين ومائة وبدل أساطينه بأُخَر من جذوع النخل كما كانت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وسَقّفَه بجريد وجعل سـترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة ، و بنى أساسه بالحجارة إلى أن بلغ قامة ، وجعل له ستة أبواب : بابين عن يمين القبلة ، و بابين عن يسارها ، و بابين خلفها ثم قال لما فرغ من زيادته : لو أنتهى بناؤه إلى الجبانة لكان الكلّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لو زيد فى هذا المسجد مازيد لكان الكلّ مسجدى» . وفى رواية له: «لو بُنِىَ هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدى، فلو مُدّ إلى باب دارى ما عدوت الصلاة فيه» . وعن اُبن أبى ذئب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : «لو مُدّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى الحليفة لكان منه . وقال عمر بن أبى بكر الموصلى : بلغنى عن ثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مازيد فى مسجدى فهو منه ولو بلغ مابلغ » .

وروى ابن النجّار عن أهل السير أن زيادة عمر من جهة القبلة إلى موضع المقصورة اليوم .

وينبغى أن يعلم أن زيادته الرواق المتوسط بين الروضة ورواق القبلة ، وقد كانت المقصورة فى القبلى لكنها أحرقت فى حريق المسجد، وقد شاهدت فى سفل الأسطوان الأيسر من المحراب قطعة خشب قدر الفتر مثبتة فى الأرض . وأخبرنى بعض شيوخ العلم من أهل الحرم أنها من بقايا المقصورة والله أعلم . قال ابن النجّار : وزاد عن يمين القبلة وذكر الأذرع المتقدّمة، قال: وجعل طول السقف أحد عشر ذراعاً وسقفه جريد ذراعان و بنى فوق ظهره سترة ثلاثة أذرع .

زيادة عثمان بن عفان فى المسجد النبوى

قال رَزِين : ولما كانت سنة أربع من خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه كلّمه الناس أن يزيد فى المسجد وشكوا إليه ضيقه، فشاور عثمان أهل الرأى فأشاروا عليه بذلك ، فصعد المنبر فخطب الناس ثم أعلمهم بذلك كالمستشير وأعلم لهم بما يريد، قال: وقد تقدّمنى إلى مثل ذلك عمر بن الخطاب، فحسّنوا له ذلك ودعوا له، فدعا العمال وجدّ فيه فأمر بالقصّة فأتى بها من بطن نخل فبناه بالحجارة المنقوشة والقصة ، قيل : و بيّضه بها، حكاه ابن زَبَالة ويحيي والله أعلم ،وجعل العُمُدَ حجارةً منقوشةً وسقفه ساجاً ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ،وعرضه خمسين ومائة ذراع،وجعل له الأبواب ستة كما كانت . قال ابن النجّار :وكان عمل عثمان فى أوّل شهر ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وفرغ منه لهلال المحرّم سنة ثلاثين .

[قيل[1]] وذلك قبل أن يقتل بأربع سنين ، حكاهُ ابن زبالة ويحيي وهو أولى مما تقدّم عن رَزِين لأن عثمان رضى الله عنه قُتِل ليلة الجمعة [لليلةٍ بقيتْ من

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

ذى الحجة ، وقيـل يوم الجمعة][1] ثانى عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، فكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحدَ عشرَ يوماً، أو ثلاثة عشرَ يوماً، وقديجاب بأن العمل تأخّر بعد طلبهم مدّة فإن صحّ بذلك نقل فلا أَوْلَوِيّةَ والله أعلم . وزيادته فى القبلة إلى موضع الجدار اليوم ، وزاد فيه من الغرب أسطواناً بعد المربّعة .

تفسير المربعة

واُعلم أن المراد بالمربّعة الأسطوانة التى فى القبلة وقد رفع أسفلها مربّعاً قدر الجلسة وهى منتهى زيادة عمر من المغرب ، وقبالة الأسطوانة التى زادها عثمان فى الحائط القبلى طراز أخذ من العصابة السـفلى ، أعنى الطراز الظاهرى إلى سقف المسجد، وهو حدّ زيادة عثمان رضى الله عنه . قال : وزاد فيه من الشام خمسين ذراعاً ولم يزد فيه من المشرق شيئا، و بنى المقصورة بلَبِنٍ وجعل فيها كُوّة ينظر الناس منها إلى الإمام ،وكان يصلى فيها[2] خوفاً من الذى أصاب عمر، وكانت صغيرة . قيل : واستعمل عليها السائب بن خباب كما نقله ابن ز بالة وغيره ، وكان يرزقه دينارين كل شهر .

وفى كتاب يحيى : أن عمر بن عبد العزيز جعلها من ساج حين بنى المسجد ، قال : وكانت قبله من حجارة ، و يقال : إن أوّل من جعل المقصورة مروان بن الحـكم حين طعنه اليمانى، فجعل مقصورة من طين وجعل لها تشبيكاً، هذا نصُّ مالك فى العتبيّة. وفى كتاب يحيى: بناها بالحجارة.وأدخل عثمان رضى الله عنه فى زيادته بقيّة دار العباس مما يلى القبـلة حكاه ابن ز بالة و يحيى والله أعلم ، وباشر العمل بنفسه وجعل فى عُمُد المسجد أعمدةَ الحديدِ فيها الرّصاصُ ، وكان يصوم النهار و يقوم الليل ، وكان لا يخرج من المسجد .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل : « وكان يصلى فيها الإمام » ولا شك بأن كلمة « الإمام » مقحمة من الناسخ .

زيادة عمر بن عبد العزيز فى المسجد النبوى بأمر الوليد

قال رَزِين : ثم لم يُزَد فى المسجد شىء حتى كان أيام الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة .

قيل : وكان استعماله عليها سنة سبع وثمانين ، وهو أوّل من اتخذ بالمدينة قاضياً ولم يكن بها قاضٍ قبل ذلك كما فى العتبيّة عن مالك والله أعلم .

فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال وقال : زد فى المسجد ومَنْ باعك فأعطه ثمنه ، ومن أبى فاهدم عليه وأعطه المال ، فإن أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء . وأرسل إلى ملك الروم أيضاً فقال : إنا نريد أن نعمر مسجد نبيّنا الأعظم فأعنّا بعمّال وفسيفساء ، فبعث إليه ثمانين عاملا : أربعين من الروم وأربعين من القبط ، وثمانين ألف مثقال ، وبأحمال من الفسيفساء ، وبأحمال من سلاسل القناديل ، واشترى عمر بن عبد العزيز الدور وأدخلها مع حجرات النبى صلى الله عليه وسلم وأدخل القبر الشريف فيه .

قيل : وبناه بالحجارة المنقوشة المطابقة وقَصَّة بطن نخل وعمله بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه بالساج وماء الذهب ، واعتنى بتحسينه حتى كان العامل إذا عمل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن عملها نفله ثلاثين درهما ، ولما فرغ منه أرسل إلى أبان بن عثمان فحمل فى كساء خزّ فقال له عمر : أين هذا من بنيانكم ؟ فقال : بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس .

ويقال : إن السائل له هو الوليد نفسه .

ونقل السُّهيلى أن الحُجَر والبيوت خلطت بالمسجد فى زمن عبد الملك بن مروان ويردّه تصريح رَزِين وغيره بضدّ ذلك ، وقد قال عطاء الخراسانى : أدركت حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد النخل على أبوابها المسوح من شعر أسود ، كل مسح ثلاثة أذرع فى ذراع ، وكان باب عائشة مواجه للشام وكان بمصراع واحد من عَرْعَرٍ أو ساجٍ [1] .

(١) العرعر : شجر السرو (فارسية)

قال عطاء : وحضرت كتاب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمر فيه بإدخال حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد، فما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم .

وسمعت سعيد بن المسيَّب يقول يومئذ : والله لوددت لو تركوها على حالها ينشأ ناس من [أهل][1] المدينة ويقدم القادم من الأفق فيرى ما اكتفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ، فيكون ذلك مما يزهِّد الناس فى التكاثر والفخر .

وقال أبو أمامة : لَيْتَهَا لو تركت حتى يقصِّر الناس من البنيان ويروا ما رضى الله عزّ وجلّ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح الدنيا بيده .

وعن مالك بن أنس أن الناس كانوا يدخلون حُجُرات النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يصلّون فيها الجمعة .

قال: وكان المسجد يضيق على أهله والُحجَر ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فيه ، وسيأتى فى الزيادة ما يوضِّح هذا والله أعلم .

قال أهل السير : فبينا العمّال من الروم يعملون يوماً خلا المسجد لهم فقال أحدهم لأصحابه : لأبولنّ على قبر نَبيِّهم فنهوه فأبى وتهيّأ لذلك فألقى على رأسه فانتثر دماغه فأسلم بعض أولئك العمال لذلك . وخَمَّر عُمَرُ النورةَ التى يعمل بها الفسيفساء سنة وجعل العُمُد حجارة حشوها عُمُد الحديد والرّصاص.

وكان أولئك الروم يصنعون بالفسيفساء فى الحيطان قصوراً وأشجاراً فصوّر أحدهم خنزيراً فأمر به عمر فضُرِبَت عنقه ، ووضع عمر القبلة بعد أن دعا مشيخة أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى وقال : احضروا قبلتكم

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

فوضعوها على ما كانت عليه . قيل : فكانوا يضمون الحجر حيّز[1] الآخر ، وتوفى عثمان رضى الله عنه وليس للمسجد شرافات ولا محراب ، فأوّل من أحدث الشرافات والمحراب عمر بن عبد العزيز، ويقال عملها عبد الواحد النصرى[2] وكان واليًا ، وليس للمسجد اليوم شرافات منـذ حريقه ، وقد جدّدت له شرافات سنة سبع وستين وسبعمائة فى أيام السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والله أعلم .

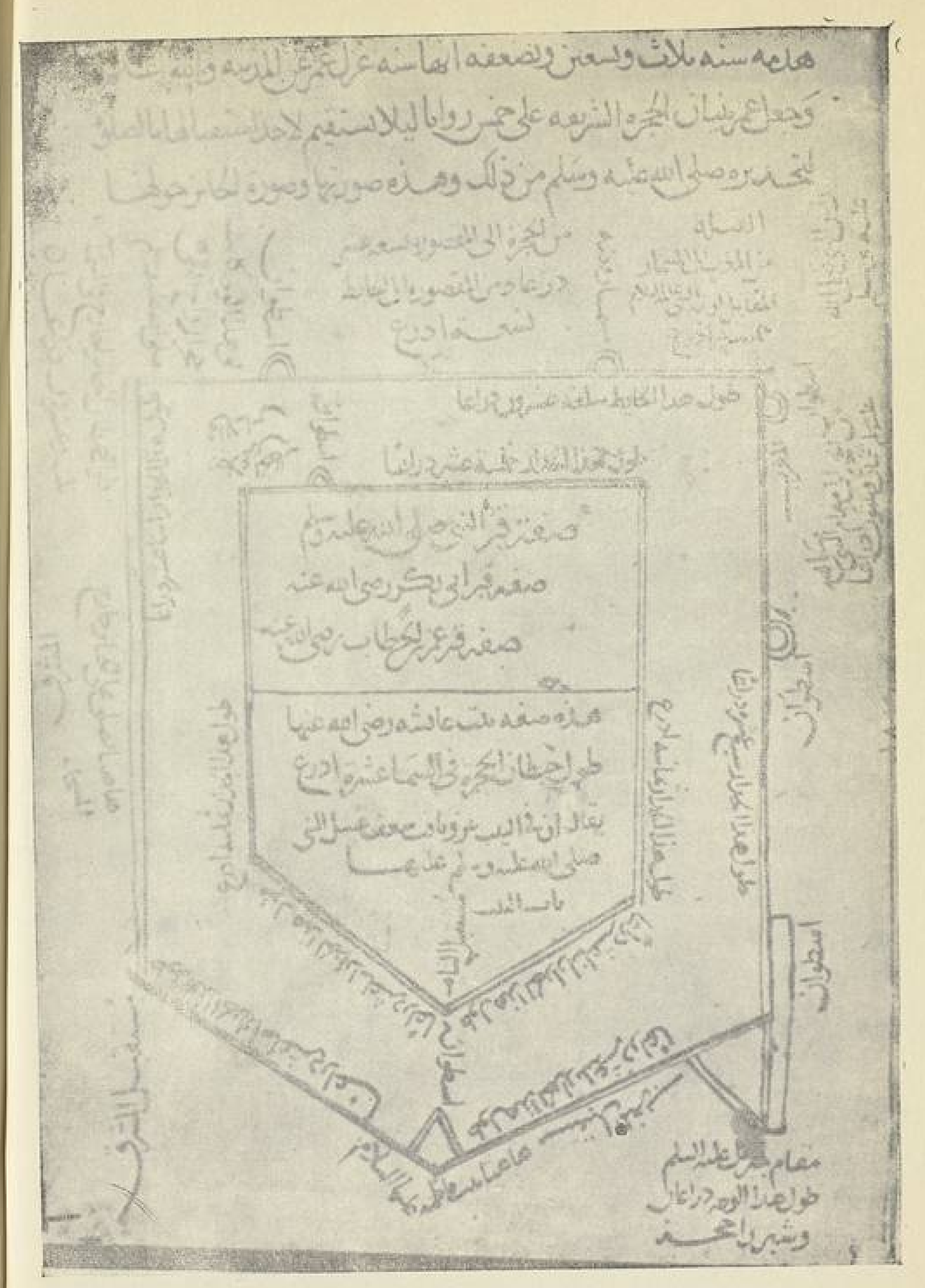
وجعل للمسجد أربع منارات فى كل ركن واحدة ، فلما حجّ سليمان بن عبد الملك أذّن المؤذّن فأطلّ عَلَى سليمان وهو فى دار مروان قبلى المسجد من المغرب فأمر بتلك المنارة فهدمت ، وسيأتى تاريخ إعادتها ، وفرغ عمر من بنائه فى ثلاث سنين . قيل : وكان هدمه للمسجد فى [سنة][3] إحدى وتسعين كما حكاه ابن زبالة ويحيى .

وفى رواية ابن زبالة [سنة][3] ثمان وثمانين، وفرغ منه سنة إحدى وتسعين فهو أشبه ــ وفيها حجّ الوليد ــ وقيل: هدمه سنة ثلاث وتسعين، ويضعّفه أنها سنة عزل عمر[4] عن المدينة والله أعلم . وجعل عمر بُنيان الحُجْرة الشريفة على خمس زوايا لئلا يستقيم لأحد استقبالها بالصلاة لتحذيره صلى الله عليه وسلم من ذلك .

وهذه صورتها وصورة الحائز حولها كما ضبطه ابن النجّار .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « حين رفع » .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) ، وفى الأصل : « المصرى » وهو تحريف .
(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٤) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « عمر بن عبد العزيز »



صورة الروضة الشريفة منقولة من النسخة المخطوطة المكتوبة سنة ٧٦٧ هـ المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩ تاريخ المرموز لها بالحرف (ا) .

ونقل ابن النجار أن فى خلافة المتوكل أمر إسحاق بن سلمة وكان على [عمارة][1] الحرمين من قبله أن يأزر الحجرة بالرخام ففعل . ثم فى خلافة المقتفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة جدّد جمال الدين وزير بنى زنكى وجعل الرخام حولها قامة وبسطة وهو اليوم كذلك والله أعلم .

ومما أدخله عمر فى المسجد أيضاً بيت فاطمة رضوان الله عليها وهو شمالى بيت عائشة الذى فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهم .

ونقل أهل السير أن من وراء البيت جدار ثم الحائز الذى بناه عمر بن عبد العزيز .

وحكى ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن البيت مربّع مبنىّ بحجارة سود وقَصَّة[2] ، وأن الذى يلى القبلة منه أطوله ، والشرق والغربى سواء ، والشامى أنقصها ، وباب البيت فيه وهو مسدود بحجارة سود وقَصّة ، ثم بنى عمر هذا البناء الظاهر حوله .

قال : وبينه وبين بيت النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى المشرق ذراعان ، ومما يلى المغرب ذراع ، ومما يلى القبلة شبر ، ومما يلى الشام فضاء كله . قال : وفى الفضاء الذى يلى الشام مركز مكسور ومِكْتَل[3] خشب ، يقال إن البنائين نسوه والله أعلم .

واعلم أن الحائط الذى بناه عمر لم يوصّله إلى سقف المسجد بل دُونَ السقف بمقدار أربعة أذرع وأدار عليه شبّاكاً من خشب من فوق الحائط إلى السقف يراه من يتأمّله من تحت الكسوة التى على الحجرة الشريفة ، وقد أعيد بعد احتراق المسجد على ما كان عليه قبل ذلك ، وأدخل عمر بعض بيت فاطمة رضى الله عنها من جهة الشمال فى الحائز الذى بناه محرّفا على الحجرة الشريفة تلتقى

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب).
(٢) القصة (بفتح القاف) : الجص لغة حجازية .
(٣) المكتل : شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا .

على ركن واحد و بقى بقية البيت اليوم من جهة الشمال ، وفيه اليوم صندوق مربع من خشب فيه أسطوان وخلفه محراب .

مساحة المسجد النبوى بالذراع

قال أبن النجار : وجعل طول المسجد مائتى ذراع ، وعرضه فى مقدمه مائتين وفى مؤخره مائتين وثمانين ، وفيما قاله نظر، فقد أعتبر ذلك فوجد طوله من القبلة إلى الشام بعد أعتبار جانبيه مائتان وأر بعون ذراعا ونصف ذراع ، ووجد عرضه من جهة القبلة مائة وأثنان وستون ذراعاً ، ومن جهة الشام مائة وتسعة وعشرون ذراعا ، يزيد مقدمه على مؤخره ثلاثة وثلاثون ذراعا ، الجميع بذراع المدينة الشريفة ، وهو ذراع اليد المتوسطة .

زيادة الخليفة المهدى فى المسجد النبوى

قال أبن النجّار : ثم لما حجّ المهدىّ سنة ستين ومائة وقدم المدينة منصرفه من الحج استعمل عليها جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس سنة إحدى وستين وأمر بالزيادة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد فيه من جهة الشام إلى منتهاه اليوم ، فكانت زيادته مائة ذراع ولم يزد فى غيرهذه الجهة شيئاً. [قيل][1] : وخفض المقصورة وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأها مع المسجد ، وفرغ من بنيانه سنة خمس وستين ومائة كما حكاه يحيى وابن زبالة والله أعلم .

وقد أستشكل بعضهم ما قاله أبن النجّار من الذرع ثم قال : ويتحصل مما اتفق عليه رَزِين وأبن النجّار ــ رحمهما الله ــ أن زيادة الوليد من شامى المسجد أر بعون ذراعا وزيادة المهدى أر بعون ذداعا .

وقيل : إن المأمون زاد فيه وأتقن بنيانه أيضاً فى سنة أثنتين ومائتين قال السهيلىّ وهو على حاله ، ورَزِين ينكر ذلك ، ويمكن الجمع بأنه جدّده ولم يزد والله أعلم .

---

(١) الزيادة من نسختى (ا) و (ب) .

طول منائر المسجد النبوى

قال ابن النجّار : وطول المسجد فى السماء خمسة وعشرون ذراعا ، وذكر ابن زبالة أن طول منائره خمسة وخمسون . ورأيت فى رواية له ستين ذراعا ، وعرضها ثمانية أذرع فى ثمانية أذرع . قال : وكان المطر إذا كثر فى الصحن يغشى القبلة فجعل بين القبلة والصحن حاجزا يمنع الماء ، ولعله سبب ارتفاع القبلة على مصلى النبى صلى الله عليه وسلم .

ونقل أهل السير أن صحن المسجد كان فيه أربع وستون بالوعة بسبب الأمطار ولا يعرف فيه اليوم إلا اثنتان واحدة فى صحن المسجد والأخرى غربى الحجرة الشريفة داخل المقصورة والله أعلم .

حدود المسجد النبوى

(تنبيه) ذكر ابن النجّار أن حدود مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم المشار إليه يعنى فى قوله: مسجدى هذا طوله من القبلة الدارابزينات التى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة ، ومن الشام الخشبتان المغروزتان فى صحن المسجد ، وعرضه من المشرق إلى المغرب من حُجْرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأسطوانة التى بعد المنبر ، قال : وهو آخر البلاط .

وينبغى أن يعلم أن الخشبتين مفقودتان ، وضبطه الآن كما شافهنى به بعض شيوخ الحرم من صحن المسجد أن تستقبل القبلة وتجعل الطرف الأيمن من دكة المؤذنين المواجهة للمنبر الشريف حذاء منكبك الأيمن وتكون فى سمت الحجرين اللذين عن يسارك فى صحن المسجد لأن البلاط اليوم مفقود لا يعرف وهو موافق لتحديد ابن النجّار ، لكنّى قد اعتبرت ذرعه من المشرق إلى المغرب على رواية يحيى المتقدّمة ثلاثة وستين ، وهى أقل الروايات ، فكان من جدار الحجرة الشريفة إلى الاسطوانة الثانية من المنبر [لا][1] التى بعده ستين ذراعا تقريبا ، وعلى هذا يكون عرض جدار عمر بن عبد العزيز وما بينه و بين جدار الحجرة

المسافة بين الحجرة الشريفة وأطرافها

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الشريفة الأصلى ثلاثة أذرع أو أربعة تقريباً ، وذرعت أيضاً من القبلة متقدّما على المنبر[١] بنحو ثلثى ذراع أربعة وخمسين وثلثى ذراع كما نقله أيضاً ، فبلغ فى صحن المسجد دُوَيْنَ الحَجَرَيْنِ بستة أذرع ، كل ذلك بذراع المدينة الشريفة ، وبهذا يظهر أن كلام ابن النجّار المتقدّم بناه مرّتين حين قدم أقلّ من مائة فى مائة ، فلما فتحت خَيْبَرَ بناه وزاد عليه فى الدور مثله مع تحديد المسجد بما حدّده غير مستقيم ولا يردّ ذلك على رَزِينٍ لأنه ذكر ذرعه ولم يحدّده والله أعلم .

مضاعفة الصلوات فى المسجد النبوى

وقد صرح النووىّ فى شرح مسلم بأن الصلاة إنما تتضاعف فى المسجد الذى كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام دون بقيـة الزيادات ولم يحك غيرَه وهو محجوجٌ بما تقدّم إن سلم تصحيحه . وهذا لو حلف لا يدخل هذا المسجد فزيد فيه ودخل فى الزيادة ، قال النووى : ينبغى ألاّ يحنث لأن اليمين لم يتناولها وهو على ما قاله فى شرح مسلم ، لـكن الرافعى جزم بحنثه وإن دخل الزيادة وهو المواقق للأحاديث المتقدّمة ، [والدرابزينات التى ذكرها ابن النجّار من جهة القبله متقدّمة][٢] عن موضع الحائط القبلى لأن الحائط القبلى كان محاذيا لمصلّى النبى صلى الله عليه وسلم لما ورد أن الواقف فى المصلّى الشريف تكون رمّانة المنبر حذو منكبه الأيمن ومقام النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يغير باتفاق كما أن المنبر لم يؤخر عن منصبه الأوّل وإنما جعل الصندوق الذى فى قبلة مُصلى النبى صلى الله عليه وسلم سترة بين المقام وبين الأسطوانات، ويؤيده ما ورد أن الحائط القبلى كان بينه وبين المنبر ممرّ الشاة .

ونقل فى العتبيّة عن مالك ممرّ الرجل منحرفاً فقدّمه عمر إلى موضع خشب المقصورة ، ثم قدّمه عثمان إلى موضعه اليوم والله أعلم . وبين المنبر والدرابزين اليوم

---

(١) كذا نسختى (ا) و(ب) . وفى الأصل : «القبلة» .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

مقدار أربعة أذرع وربع ذراع ، وفى صحن المسجد حَجَران يذكر أنهما حدّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولـكنّهما ليسا على سمت المنبر الشريف بل هماد اخلان إلى جهة الشرق بمقدار أربعة أذرع أو أقل ومتقدّمان إلى القبلة بمثل ذلك ، يظهر هذا لمن اُعتبر ذرع اُبن النجّار . ونقل يحيى أن ذرع ما بين المصلّى الشريف إلى جدار القبلة الذى فيه المحراب اليوم وهو حدّ حذاء المصلّى الشريف كما قاله مالك عشرون ذراعا وربع . قال يحيى : وهى جميع الزيادة من القبلة وقد اُعتبرته من وجه سترة مصلّى النبى صلى الله عليه وسلم إلى جدار القبلة فـكان كذلك ، ومن صدر المحراب يزيد على ذلك نحو ذراع وربع ، وبهذا يظهر أن المصلّى لم يغير عن مكانه ، وأن الصندوق إنما جعل فى مكان الجدار الأوّل والله أعلم . وطول المسجد اليوم بعد الزيادات كلها مائتا ذراع وأربع وخمسون ذراعاً ، وعرضه من مقدّمه من المشرق إلى المغرب مائة ذراع وسبعون ذراعا ، وعرضه من مؤخره مائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً . وذكر محمد بن الحسن ما يقرب من هذا أو مثله لاُختلاف الأذرعة ، وكل ذلك بذراع اليد المتوسطة بين اُلطول والقصر .

الباب الرابع

فى ذكر الأساطين بالروضة الشريفة

والجذع والمنبر

الأساطين

ذكر الأساطين بالروضة الشريفة والجذع والمنبر

فمنها: « الأسطوانة المخلقة » وهى التى صلى إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المكتوبة بعد تحويل القبلة بضعة عشر يوما ثم تقدّم إلى مُصلاّه اليوم ، وهى الثالثة من المنبر ، والثالثة من القبلة ، والثالثة من القبر الشريف ، والثالثة من رحبة المسجد قبل زيادة الرواقين المستجدّين فى القبلة وبهما صارت خامسة من الرحبة اليوم ، وهى متوسطة فى الروضة وتعرف بأسطوانة المهاجرين لأن أكابر الصحابة رضى الله عنهم كانوا يصلّون إليها ويجلسون حولها ، وتسمّى : « أسطوانة عائشة رضى الله عنها » للحديث الذى روت فيه[1] : « أنها لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان » وهى التى أَسَرَّتْ بها إلى ابن أختها عبد الله بن الزبير فكان أكثر نوافله إليها ، ويقال إن الدعاء عندها مستجاب .

وروى ابن النجّار بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : كانت قبلة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشام ، وكان مصلاّه الذى يصلى فيه بالناس إلى الشام من مسجده أن تضع الأسطوانة المخلقة اليوم خلف ظهرك ثم تمشى مستقبل الشام وهى خلف ظهرك حتى إذا كنت محاذيا باب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل وكان الباب على منكبك الأيمن وأنت فى صحن المسجد كانت قبلته فى ذلك الموضع وأنت واقف فى مصلاّه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) .وفى الأصل : « ورد فيها » .

ومنها : « أسطوانة التوبة » وهى التى أرتبط فيها أبو لبابة بشير بن عبد المنذر الأنصارى الأوسى رضى الله عنه .

ونقل أبن زَبَالة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى نوافله إليها . وفى رواية : أكثر نوافله إليها . وكان إذا صلّى الصبح أنصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضرّ وضيفان النبى صلى الله عليه وسلم والمؤلّفة قلوبهم ومن لا مبيت له إلا المسجد فينصرف إليهم من مصلاّه من الصبح فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته ويحدّثهم الحديث .

ونقل مالك فى العتبيّة عن الزُّبير بن بكّار أنها الأسطوان المخلق ، زاد أبن زبالة فى نقله عنه: المخلق نحو من ثلثها والله أعلم .وأهل السير ينقلون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أعتكف فى رمضان طرح له فراشه ووضع له سريره وراء أسطوانة التوبة .

ونقل الطبرانى فى معجمه بإسناد حسن إلى أبن عمر ما معناه : أن أستناده كان مما يلى القبله والله أعلم .

وأعلم أنها الثانية[1] من القبر الشريف ، والثالثة من القبلة ، والرابعة من المنبر ، والخامسة من رحبة المسجد اليوم ، وهى التى تلى أسطوانة المهاجرين المذكورة أوّلا من جهة المشرق فى الصفّ الأوّل الذى خلف الإمام المصلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم .

ونقل ابن زَبَالة أن بينها و بين جدار القبر الشريف عشرين ذراعا وقد أعتبرته فكان كذلك لكنّه نقل عن مالك أن بينها و بين القبر أسطوان .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « الثالثة » وهو خطأ لأنها لاتتفق مع العدد الذى بعدها .

وروى بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال : إنها الثانية من القبر الشريف وظاهره مخالف لما سبق أن اعتبرنا الأسطوانة الملصقة بجدار القبر وإن لم نعتبرها فلا مخالفة .

وقد اتفق المؤرخون على أن أسطوانة عائشة تليها وأنها الثانية من القبر الشريف ، فدلّ على عدم اعتبار عدّهم الملصقة بجدار القبر الشريف ، والله أعلم. وخلفها من جهة الشمال أسطوانة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وتعرف بالمحرس لأنه رضى الله عنه كان يجلس إليها — قيل فى صفحتها مما يلى الباب والله أعلم — لحراسة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى مقابلة الخوخة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج منها من بيت عائشة رضى الله عنها إلى الروضة الشريفة للصلاة . وخلفها أيضاً من جهة الشمال أسطوانة الوفود ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته ، وكانت مما يلى رحبة المسجد قبل الزيادة أيضاً ، وكانت تعرف بمجلس القلادة ، يجلس إليها سراة الصحابة وأكابرهم رضى الله عنهم أجمعين .

الجـــذع

حنين الجذع

وَأمّا الجِذْع فهو الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إليه ، عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مُسنِداً ظهره إليها ، فلما كثر الناس قال : ابنوا لى منبراً ، فبنوا له منبراً له عتبتان ، فلما قام على المنبر يخطب حَنّتِ الخشبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس: وأنا فى المسجد فسمعت الخشبة[1] تَحِنّ حنينَ الواله، فما زالت تَحِنّ حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت . قيل : فقال عليه الصلاة والسلام : « لو لم أحتضنه — يعنى الجذع — لحنّ إلى يوم القيٰمة » .

وفى بعض الروايات : خار كخُوَار الثور حتى ارتجّ المسجد من خُوَاره تحزّنا

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « فسمعتها » .

على رسول الله عليه وسلم . وفى رواية : «خار حتى تصدّع وانشق» وأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر . وقيل : دفن دُوَيْنَ[1] المنبر عن يساره ، وعن بعضهم : دفن شرقى المنبر إلى جنبه ، ويقال : إنه كان من الأساطين التى كانت فى المسجد كما حكاه ابن زَبَالة .

وقد رُوِى[2] أن أُبَىّ بن كعب أخذه لما غيّر[3] المسجد وهُدِم ، وكان عنده فى بيته حتى بَلِىَ وأكلته الأَرَضَة وعاد رُفاتا .

وفى رواية يحيي : فحنّ الجذع حنيناً رقّ له أهل المسجد فأتاه فوضع يدَه عليه فسكن وأقلع وقال : « إن شئتَ أن أردّك إلى الحائط الذى كنت فيه كما كنت تنبت لك عروقك ، ويكمل خلقك ، ويجدّد خُوصُكَ وثمرك ، وإن شئتَ أن أغرسك فى الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك » ثم أصغى إليه النبى صلى الله عليه وسلم رأسه ليسمع ما يقول . قال : بل تغرسنى فى الجنة فتأكل منّى أولياء الله وأكون فى مكانى لا أبلى فيه ، فسمعه من يليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « فنعم قد فعلت » فعاد إلى المنبر ثم أقبل على الناس فقال : « خَيَّرتُه كما سمعتم فقال أن أغرسه فى الجنة ، اختار دار البقاء على دار الفناء » .

وفى رواية : فغاب الجذع فذهب والله أعلم .

وكان الحسن رحمه الله إذا حدّث بحديث الجذع بكى وقال : ياعباد الله ، الخشبة تَحِنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إليه لمكانه من الله عزّ وجلّ فأنتم أحقّ أن تشتاقوا [إلى لقائه][4] .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « دون » .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « ورد » .
(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل . « تغير »
(٤) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

وفى الصحيح من حديث الجذع ما فيه كفاية .

موضع الجذع

قيل : وكان موضعه عند الأسطوانة التى تلى القبر[١] ، وهى عن يسار الأسطوان المخلقة . وحاصله أن الجذع إنما كان من الجهة الشرقية ، وهى اليسرى من المصلى والله أعلم . والمعروف أن الجذع إنما كان عن يمين مصلّى النبى صلى الله عليه وسلم لاصقاً بجدار المسجد القبلى فى موضع كرسى الشمعة اليمنى التى توضع عن يمين مقام النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة ، والأسطوانة قبل الكرسى متقدّمة عن موضع الجذع وفيها خشبة ظاهرة مثبتة بالرّصاص سدادة لموضع فى حجر من حجارة الأسطوانة مفتوح قد حوط عليه بالبياض والخشبة ظاهرة ، تقول العامة : هذا الجذع الذى حنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك بل هى بدعة يجب إزالتها كما أُزيلت الجَذَعَة .التى [كانت][٢] فى المحراب القبلى وكانت العامة تسمّيها «خرزة فاطمة» وهى مرتفعة، فربما تحاملت النساء إليها فيقع مالا ينبغى[٣] .

وفى سنة إحدى وسبعمائة جاور الصاحب زين الدين المعروف بابن حنّا وأمر بقلع الجَذَعَة فقلعت وهى فى حاصل الحرم الآن ، ثم توجّه بعد ذلك إلى مكة المشرّفة فأزال الله تعالى به بدعةً أخرى جوف البيت من حمل النساء على أعناق الرجال ليتمسكوا بالعُروَة الوُثقى ـ على زعمهم ـ فأمر بقلع ذلك المثال .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب). وفى الأصل : « القرآن » وهو خطأ .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٣) قوله : « فيقع مالا ينبغى » قال السمهودى فى خلاصة الوفاء . « وكان يحصل بتلك الجذعة فتنة كبيرة يجتمع إليها النساء والرجال ، ويقال : هذه خرزة فاطمة الزهراء فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها فربما وقعتا وانكشفت العورة فأمر بقلعها الصاحب . . . الخ » اهـ (الناشر) .

وينبغى أن يُعلم أن هذه الخشبة الموصوفة فى الأسطوانة قد أمر بإخفائها شيخنا العلامة قاضى المسلمين عزّ الدين بن جماعة الكنانى[1] الشافعى ـ أحسن الله عقباه ـ عام مجاورته بالمدينة الشريفة سنة خمس وخمسين وسبعمائة فليس لها اليوم أثرٌ ونُسِيت والله أعلم .

فإن قيل : قال ابن النجّار : روى أهل السير عن مصعب بن ثابت بن عباد ابن عبد الله بن الزبير قال : : طلبنا عِلْمَ العُود [الذى][2] فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم فلم نقدر على أحد يذكر [لنا][3] منه شيئاً حتى أخبرنى محمد بن مسلم بن السائب ابن خباب[4] صاحب المقصورة قال : جلَست إلى أنس بن مالك رضى الله عنه فقال : أتدرى لم صنع هذا العُود وَمَا أسْأَلُهُ ؟ فقلت : لا أدرى ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع عليه[5] يمينه ثم يلتفت إلينا فيقول : « استووا عدّلوا صفوفكم » فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سُرِق العود فطلبه أبو بكر رضى الله عنه فلم يجده حتى وجده عمر رضى الله عنه عند رجل من الأنصار بقُبَاء قد دُفِن فى الأرض فأكلته الأَرَضَة ، فأخذ له عُوداً فشقّه[6] وأدخله فيه ثم شعبه وردّه إلى الجدار فهو العود الذى وضعه عمر بن عبد العزيز فى القبلة ، وهو الذى فى المحراب اليوم حتى قال مسلم بن خباب : كان ذلك العود من طرفاء الغابة وكان فى الحائط ، ويقال بل كان فى الجذع المذكور .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « الكبانى » بالباء وهو تحريف .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٤) بالخاء المعجمة كما فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « حباب » بالحاء المهملة وهو تحريف .

(٥) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « إليه » .

(٦) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « فشق له » .

ونقل يحيى أيضاً بسنده إلى مسلم بن خباب قال : لمّا قدّم عمر القبلة فقد العود الذى كان مغروسا فى الجدار فطلبوه فذكر لهم أنه فى مسجد بنى عمرو بن عوف أخذوه فجعلوه فى مسجدهم ، فأخذه عمر فردّه إلى المحراب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة فذكره والله أعلم . وكل هـذا يقتضى أن لا يكون من البِدَع لهذا الأصل المنقول .

[قلنا][1] : هذا فيما قبل حريق المسجد يمكن تسليمه أما بعده فلا .

فضل المنبر الشريف

فضل المنبر الشريف

وأمّافضل المنبر الشريف وذكرعمله وسبب أحتراق المسجد وتجديده فنذكره فى بقيّة هذا الفصل فنقول : نقل رَزِين عن نعيم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على منبره : « إن قدمى الآن على تَرْعَةٍ من تُرَع الجنّة أتدرون ما التَرْعَة ؟ هو الباب كما سبق » .

قال أبن النجّار : ورَوَى أبو داود من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحلف أحدٌ عند مِنْبَرِى هذا على يمين آثمةٍ ولو عَلَى سواكٍ أخضر إلاّ تبوّأ مَقْعَدَه من النار ووَجَبَتْ له النار » .

وفى رواية ابن زَبَالة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أحد شَقَّى المنبر على عُقْرِ الحَوْض فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها مال أمرئٍ مسلم فليتبوّأ بيتاً من النار » . وقال : « عُقْرُ الحَوْض من حيث يصبُّ الماء فى الحوض» .

وأعلم أن المنبر الشريف من طَرْفَاء الغابةِ كما فى الصحيح ، وأن أمرأةً أنصاريّة من بنى ساعدة كما حكاه أبن زبالة ، ويقال: أمرأة رجل منهم يقال له مينا أمرت غلامها،وأسمه مينا—ويقال إبراهيم—بإذنه عليه الصلاة والسلام فصَنَعَه .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و ب) .

[وفى رواية صنعه غلام عمه العباس ، وأسمه صباح ، وقيل كلاب بأمره صلى الله عليه وسلم] .[1]

وفى رواية فأرسله إلى إثْلَةٍ بالغابة فقلعها ثم عملها درجتين ومجلساً ثم جاء بالمنبر فوضعه موضعه اليوم . وقيل : كان المنبر من إثلة كانت قريب المسجد حكاه ابن زبالة . وقيل : إنما عمله تميم الدارىّ رواه أبو داود فى سننه . وقيل : عمله غلام سعيد بن العاص يقال له باقول[2] . وقيل : عمله غلام لرجل من بنى مخزوم حكاها ابن زبالة أيضاً . ويقال : إنما عمله باقوم بأنى الكعبة لقريش نقله بعض[3] شيوخنا .

سنة اتخاذ منبر المسجد الشريف

وكان اتخاذ المنبر سنة ثمان من الهجرة كما نقله ابن النجّار .

ونقل أيضاً عن الواقدى عن ابن أبى الزناد[4] أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على المجلس ويضع رجليه على الدرجة الثانية ، فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى[5] .

فلما ولى عمر رضى الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الأرض إذا قعد . فلما ولى عثمان رضى الله عنه فعل مثل ذلك ستّ سنين من خلافته ، ثم علا إلى موضع النبى صلى الله عليه وسلم وكسا المنبر قُبطِيَّةً ، وهو أوّل من كساه فسرقتها امرأة فأتى بها وقال لها : سرقتِ قولى لا ، فاعترفت فقطعها .

كساء المنبر بقبطية

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « ياقوت » .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « بنص » .

(٤) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « ابن أبى الزياد » .

(٥) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « الدرجة الأولى السفلى » ولا شك بأن كلمة الأولى مقحمة من الناسخ .

واُتفق لأمرأة مع ابن الزبير مثل ذلك والله أعلم .

طول منبر المسجد الشريف وعرضه

وطوله كما حكاه ابن النجّار ذراعان فى السماء وثلاث أصابع . وعرضه ذراع راجح . وطول صدره وهو مستند النبىّ صلى الله عليه وسلم ذراع . وطول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما بيديه الكريمتين إذا جلس شبراً وإصبعان . وعرضه ذراع فى ذراع يزيد ، وتربيعه سواء . وعدد درجاته ثلاث بالمقعد وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة . وهذا كان فى حياته عليه الصلاة والسلام . وفى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . فلما حجّ معاوية كساه قُبْطِيَّة وليس هو أوّل من كساه لما سبق . والقُبْطية (بضم القاف وقد تكسر مع سكون الباء الموحدة فيهما) : ثياب رقاق من مصر ، وكانت الخلفاء يرسلون فى كل سنة ثوبا من الحرير الأسود ، وله علَمٌ ذهب يكسى به المنبر ، ولمّا كثرت الكسوة عندهم جعلوها ستوراً على أبواب الحرم حكاه ابن النجّار .

وينبغى أن يعلم أستقلال الأبواب الآن بستورها وإنما يظهرونها فى أوقات المهمّات كقدوم أمير المدينة ، وأنها من بعد قتل المستعصم[1] استقرّت تعمل فى مصر ، ثم فى عشر الستّين وسبعمائة[2] أشتريت قرية من بيت مال المسلمين بمصر ووقفت على كسوة الكعبة المشرّفة فى كل سنة ، وعلى كسوة الحجرة المقدّسة والمنبر الشريف فى كل ست سنين مرّة ، تعمل من الدّيباج الأسود مرقوم بالحرير الأبيض إلاّ كسوة المنبر فإنه بتقصيص أبيض والله أعلم .

ثم كتب معاوية إلى مروان وهو عامله على المدينة المنوّرة أن أرفع المنبر عن الأرض فدعا له النجّارين ورفعوه عن الأرض وزاد من أسفله ستّ درجات ورفعوه عليها ، فصار للمنبر تسع درجات بالمجلس .

---

(١) كذا فى الأصل ونسخة (ا). وفى نسخة (ب) : « المعتصم » .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب).وفى الأصل : « عشر سنين وستمائة » .

وقال ابن زبالة: لم يزد فيه أحدٌ قبله ولا بعده كذا نقله المطرىّ عنه ، والذى قال ذلك ابن النجّار ولم أره لابن زبالة بل نقل أن مروان أراد أن يبعث به إلى معاوية فكسفت الشمس حتى رؤيت النجوم وأظلمت المدينة وأصابتهم ريح شديدة والله أعلم .

وذكر أيضاً: أن طول منبر النبى صلى الله عليه وسلم بما زيد فيه أربعة أذرع ، ومن أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع وشبر .

وذكر أن المهدى بن المنصور لما حجّ سنة إحدى وستين ومائة أراد أن يعيد منبر النبى صلى الله عليه وسلم إلى حاله الأوّل واستأذن مالكا فقال له : إنما هو من طرْفاء، وقد سُمِّر إلى هذه العيدان وشُدّ فمتى نزعته خفت أن يتهافت فلا أرى أن تغيِّره فلم يغيِّره .

لكن قال المطرىّ : حدّثنى يعقوب بن أبى بكر أحد قوّام المسجد وهو المحترق ـ وسيأتى ذكره ـ أن المنبر الذى زاده معاوية ورفع منبر النبى صلى الله عليه وسلم [عليه][1] تهافت على طول الزمان ، وأن بعض خلفاء بنى العباس جدّده واتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلى الله عليه وسلم أمشاطا للتبرّك بها وعمل المنبر الذى ذكره ابن النجّار أوّلا فقد قال : وطول المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاث أصابع ، والدكة التى هو عليها من رخام طولها شبر وعقد ، ومن رأسه إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع، وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة ، وبهذا يظهر أن المنبر الذى احترق غير المنبر الأوّل الذى عمله معاوية .

قال يعقوب : سمعت ذلك من جماعة بالمدينة ممن يوثق بهم ، وأن المنبر المحترق هو الذى جدّده الخليفة المذكور ، وهو الذى أدركه ابن النجّار لأن وفاته فى شهر

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

سنة احتراق المسجد الشريف

شعبان من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، واحترق المسجد الشريف فى ليلة الجمعة أوّل شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وستمائة .

ونقل أبو شامة أن ابتداء حريقه من زاوية الغربية من الشمال والله أعلم ، فكتب بذلك إلى الخليفة المستعصم بالله من المدينة فى شهر رمضان فوصلت الآلات صُحْبة الصنّاع مع ركب العراق ، وابتدئ بعمارته أوّل سنة خمس وخمسين وستمائة ، واحترق أبو بكر الفراش والد يعقوب المتقدّم ذكره فى حاصل المسجد تلك الليلة ، واتصلت النار بالسقف بسرعة ، ثم دبّت فى السقوف آخذة قبله فأعجلت الناس عن قطعها ، فما كان إلاّ ساعة حتى احترقتْ سقوفُ المسجد ولم تبق خشبةٌ واحدةٌ [1] ووقع بعض أساطينه وذَابَ رَصَاصُها وكل ذلك قبل أن ينام الناس،وسقط السقف الذى كان على أعلى الحُجْرة المقدّسة فوق سقف النبى صلى الله عليه وسلم ، ووقع ما وقع منه فى الحجرة و بقى على حاله.ولما شرعوا فى العمارة لم يجسر أحدٌ على إزالة ذلك،واتفق رأى الأمير منيف بن شيحة الحسينى أمير المدينة الشريفة مع أكابر أهل الحرم من المجاورين والخدّام على أن يطالع الإمام المستعصم بذلك

تعمير الخليفة المستعصم للمسجد الشريف

---

(١) نظم فى حريق المسجد النبوى الشريف غير واحد من الشعراء ، فقال معين الدين بن تولو المغربى :

قل للروافض بالمدينة مالكم * يقتادكم للذمّ كلُّ سَفيهِ
ما أصبح الحرمُ الشريف محرّقا * إلاّ لسبّكم الصحابةَ فيهِ

وقال غيره :

لم يحترق حَرَمُ النبىّ لحادثٍ * يُخْشَى عليه ولا دهاه العارُ
لكنّها أيدِى الروافض لامَسَتْ * ذاك الجنابَ فطهّرته النارُ

(راجع النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) .

ليفعل ما يراه ففعلوا ، ولم يصل إليهم جواب لأشتغال الخليفة وأهل دولته بأمر التتار وأستيلائهم على البلاد تلك السنة فتركوه على ما كان عليه ، ولم ينزل أحدٌ بل أعادوا سقفاً فوقه على رؤوس السوارى التى حول الحجرة الشريفة فإن الحائط الذى بناه عمر بن عبد العزيز دائر الحجرة الشريفة لم يبلغ به السقف الأعلى بل جعل فوق الجدار الدائر بين السوارى شبّاكا من خشب على دوران الحائط جميعه كما سبق .

ظهور أحوال فظيعة فى بغداد

ونقل أبو شامة أن هذه السنة غرق أكثر بغداد وتهدّمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً ، ودخل الماء دار الخليفة ، وفسد من خزانة السلاح شىء كثير ، وأشرف الناس على الهلاك ، وسارت السفن فى أزقتها .

ظهور نار الحجاز

وفيها أيضاً فى جمادى الآخرة ليلة الأربعاء الثالث منه ظهر بالمدينة دوىٌّ عظيم ثم زلزلة عظيمة(١) أزعجت المدينة والحيطان وأستمرّت ساعةً بعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منائر — وسيأتى بقية الكلام عليها فى ذكر وادى الشظاة — وقد نظم بعضهم ذلك وأصلحهُ الشيخ شهاب الدين أبو شامة(٢) منبّها على أن الأمرَيْن فى سنةٍ بقوله :

سُبحانَ من أضحت مشيئته * جاريةً فى الورى بمقدارِ
فى سنةٍ أغرق العراق وقد * أحرق أرض الحجاز بالنارِ

قال أبو شامة : وعُدّ ما وقع من هذه النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات ، وكأنها منذرة بما يعقبها من الكائنات — يعنى أخذ بغداد ، وقتل الخليفة والله أعلم — وسقّفوا فى سنة خمس وخمسين الحجرة الشريفة وما حولها إلى

---

(١) وفيها يقول بعضهم :

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحًا عن جرائمنا * لقد أحاطتْ بنا يا ربِّ بأساه
نشكو إليك خُطوبًا لا نُطيق لها * حَمْلاً ونحن بها حقًّا أحقّاه
زلازلاً تخشع الصمُّ الصِّلابُ لها * وكيف يَقوَى على الزِّلْزال شَمّاه
أقامَ سبعًا يَرُجُّ الأرض فانصدعتْ * عن مَنْظرٍ منه عينُ الشمس عَشْواه

(٢) هو العلامة أبو شامة شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، توفى فى رمضان سنة ٦٦٥ هـ ، وهو شيخ النووى

الحائط القبلى ، وإلى الحائط الشرقى إلى باب جبريل عليه السلام ، ومن جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر الشريف .

سنة وقعة بغداد وقتل المستعصم بالله

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة ، وفى المحرم منها كانت وقعة بغداد وقيل المستعصم بالله أمير المؤمنين رحمه الله . قيل : واستولى عليه وعلى أهله لمكيدة دُبِّرت مع وزيره معين الدين[1] — بل خاذل الدين — بن العَلْقَمِىّ ، فمن أحسن ما أنشد فيه بيت ابن التعاويذى :

بادت وأهلها معاً فبيوتهم * ببقاء مولانا الوزير خراب[2]

والله أعلم .

تعمير المسجد الشريف بعد قتل المستعصم بالله على يد أيبك التتارى

ثم وصلت الآلات من مصر ، وكان السلطان بها فى هذه السنة الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعزّ عزّ الدين أيبك الصالحى ، ووصلت أيضاً آلات من الملك المظفر شمس الدين يوسف صاحب اليمن يومئذ فعملوا إلى باب السلام ، ثم عزل صاحب مصر المذكور فى ذى القعدة تقريبا فى سنة سبع وخمسين ، واستقرّ الملك المظفر سيف الدين قُطزْ المعزّى ، واسمه الحقيقى : « محمود بن ممدود » وأمه أخت السلطان جلال الدين خُوَارَزْم شاه ، وأبوه وابن عمه أُسرا عند غلبة التتار فباعوه بدمشق ، ثم انتقل بالبيع إلى مصر ، وتملّك فى يوم السبت ثامن عشر ذى القعدة سنة سبع وخمسين وستمائة[3] .

وقال المطرىّ : فى سنة ثمان وخمسين وستمائة . وفى شهر رمضان من هـذه السنة كانت وقعة عَيْن جالُوت[4] التى أعزّ الله فيها الإسلام وأهله على يديه

---

(١) كذا فى نسخق (ا) و (ب) . وفى الأصل والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (ج ٧ ص ٤٧ طبع دار الكتب المصرية : «مؤيد الدين»

(٢) وقال غيره فى فقد الخلافة من بغداد بيتا مفردا وأجاد :

خَلَتِ المنابرُ والأسرّةُ منهم * فعليهم حتى الممات سـلام

(٣) كذا ورد أيضا فى النجوم الزاهرة (ج ٧ ص ٥٥ و٧٢)

(٤) عين جالوت . بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين (عن معجم البلدان لياقوت) .

ولم يستكمل فى ملـكه سنة بل قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل إلى مصر . قيل : وكان قتله بين الغُرَاب(١) والصالحية(٢) والله أعلم .

وكان العمل فى المسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة وتولّى مصر تلك السنة الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى البُنْدُقْدارىّ ، فعمل فى أيامه باقى المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالى المسجد ، ثم إلى باب النساء وكَمَّل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفاً فوق سقف ، ولم يزل على ذلك إلى أوائل دولة الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ـ رحمهما الله ـ فجـدّد السقف الشرقىّ والغربىّ فى سنتى خمس وستين وسبعمائة وجعلا سقفاً واحداً يشبه السقف الشمالى فإنه جعل فى عمارة الظاهر كذلك .

منبر الملك المظفر صاحب اليمن رماناته من الصندل

وعمل الملك المظفَّر صاحب اليمن منبراً رُمَّاناته من الصندل وأرسله فى سنة ستّ وخمسين ، ونُصِب فى موضع منبر النبى صلى الله عليه وسـلم ، وبقى عشر سنين يخطب عليه إلى سنة ستّ وستين وستمائة ، أرسل الملك الظاهر هـذا المنبر الموجود اليوم ، فقلع منبر صاحب اليمن وجعل فى حاصل الحرم وهو باق فيه ونصب هذا ، وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع زيد قليلا ، وعدد درجاته سبع بالمقعد .

متهجده صلى الله عليه وسلم

وأما مُتَهَجَّدُهُ صلى الله عليه وسلم من الليل فقد قال ابن النجّار : روى عيسى ابن عبد الله عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرح حَصِيراً كل ليلة إذا انكَفَتَ(٣) الناس وراء بيتِ على ـ رضى الله عنه ـ يُصَلِّى هنالك صلاة الليل .

---

(١) الغراب . موضع معروف بدمشق ، قال كثير :

وباقى الود ماقطعت قلوصى ٭ مسافة بين مصر وغراب

(٢) الصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق .

(٣) انـكفت الناس ، أى انصرفوا .

قال عيسى : وذلك موضع الأسطوان[١] الذى مما يلى الدورة[٢] على طريق النبى صلى الله عليه وسلم .

قال ابن النجّار : وهـذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ والمتوجّه إليها يكون باب جبريل على يساره ، ومن جهتها اليمنى واليسرى درابزين الحجرة الشريفة الدائر على بيت فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وقد كتب فيها بالرُّخام : « هذا مُتَهَجَّدُ النبىّ صلى الله عليه وسلم » .

قال ابن النجّار : وروى عن سعيد بن عبد الله بن فضيل[٣] قال : مرّ بى محمد بن الحنفيّة ـ رضى الله عنه ـ وأنا أصلى إليها فقال لى : أراك تلزم هذه الأسطوانة هل جاءك فيها أثر ؟ قلت : لا ، قال : فالْزَمها فإنها كانت مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الليل .

---

(١) فى خلاصة الوفاء : موضع الأسطوانة .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى خلاصة الوفاء : « مما يلى الزور . قلت : الزور بالزاء ، أى الموضع المزور خلف الحجرة فى حائزها . وصحفه بعضهم فقال : الدورة . . . الخ » . (الناشر)

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وخلاصة الوفاء . وفى الأصل : « فضلة » .

الباب الخامس

فى ذكر الخوخ

والأبواب التى كانت فى المسجد الشريف

الخوخ

الخوخ التى كانت فى المسجد الشريف

فمنها : خوخة تحت الأرض لها شبّاك فى القبلة أعلى ممرّها وطابق يفتح أيام الحاجّ ، وهى طريق آل عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ إلى دارهم التى تسمى اليوم : « دار العشرة » وكانت لحفصة رضى الله عنها .

بيت حفصة وتوسيع المسجد الشريف به

ونقل ابن زَبَالة أنها كانت مِرْبداً فلما احتاج عثمانُ رضى الله عنه إلى بيت حفصة لتوسيع المسجد قالت : فكيف بطريقى إلى المسجد ؟ قال لها : نعطيك أوسع من بيتك ونجعل لك طريقًا مثل طريقك ، فأعطاها إيّاه والله أعلم .

وكان بيت حفصة رضى الله عنها ، قد صار إلى آل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فلما بنى عمر بن عبد العزيز المسجد بأمر الوليد وأدخل بيت حفصة فى المسجد جعل لهم طريقاً إليه وفتح لهم باباً فى الحائط القبلى .

قال ابن النجّار : وأعطاهم دار الرقيق[1] بدل طريقهم ، فلما حجّ الوليد بعد فراغ المسجد دخل المدينة وطاف فيه ، قيل : فلما رأى سقف المقصورة قال لعمر[2] : هلاّ عملت السقف كله مثل هذا ؟ قال : إذاً يا أمير المؤمنين تعظم النفقة ، قال : وإن ، وكانت نفقته فى سقفها أربعين ألف دينار والله أعلم .

ولما رأى الباب فى القبلة قال له : ما هذا ؟ فذكر له ما جرى بينه وبين آل عمر فى بيت حفصة رضى الله عنها ، وكان قد جرى بينهم كلامٌ كثيرٌ

---

(١) كذا فى جميع الأصول . وصوابه : « دار الدقيق » بالدال المهملة .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « يا عمر » .

حتى أصطلحوا على فتح هذا الباب ، فقال له الوليد : أراك قد صانعْتَ أخوالك ، ثم لم تزل طريقهم تلك حتى عمل المهدى بن المنصور المقصورة على الرواق[١] القبلى فمنعوهم الدخول من بابهم ، فجرى أيضاً كلامٌ كثيرٌ فوقع الصلح على سدّ الباب ويجعل عليه شبّاك حديد ويحفر لهم من تحت الأرض طريق تخرج إلى خارج المقصورة فهى الموجودة اليوم ، وهى بيد آل عبد الله بن عمر إلى اليوم .

قيل : وكان فيها أسطوان مربعة قائمة يقال لها : المضمار فى قبلة المسجد يؤذّن عليها بلال فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم قاله ابن زَبالة ، وقيل : منارة فى بيت حفصة حكاه ابن النجّار ، وهى اليوم مفقودة وإنما الدار معروفة والله أعلم .

خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ومنها: خوخة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، ذكر ابن النجّار أنها كانت غربى المسجد قريب المنبر ، ولما زادوا فى المسجد إلى حدّه من المغرب نقلوا الخوخة وجعلوها مثل مكانها انتهى .

ومثالُ [باب خوخته][٢] باب خزانة لبعض حواصل المسجد فإذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريباً من الباب .

وينبغى أن يعلم أن بقاءها من بعض الآثار المعجزة لما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنّ أَمَنّ النَّاسِ عَلَيّ فِى صُحْبَتِهِ ومَالِهِ أبو بكرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً من أُمَّتِى خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبَا بكرٍ ، ولكن أُخُوَّةُ الإسلام ومَوَدَّتُهُ لا يَبْقِيَنَّ فى المسجد بابٌ إلاّ سُدَّ إلا بابَ أبى بكر » فلم يزل باقياً هو وأمثاله ولا يردّ ما رواه ابن النجّار عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر

---

(١) قوله : «المقصورة على الرواق القبلى» قال بعض الأفاضل من أهل المدينة: الذى يظهر من كلامهم أن المقصورة كانت موضع المحراب العثمانى الذى هو داخل فى جدار القبلة وليس لها أثر ، ولا يعلم متى تركت والله أعلم .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

بالأبواب كلها فَسُدَّتْ إلاّ بابَ عليّ رضى الله عنه إذ ليس فيه تعرُّضٌ للبقاء .

موقع بيت فاطمة رضى الله عنها

واُعلم أن بيت فاطمة رضى الله عنها كان خلف بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن يسار المصلّى إلى القبلة ، وكان فيه خوخة إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن النجّار : وكان صلى الله عليه وسلم يأتى بابها كل يوم يأخذ بعضادتيه ويقول : « الصلاة الصلاة ، إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » فلعله المراد بباب عليّ من خبر ابن عباسٍ ، وقد سبق أن عمر بن عبد العزيز أدخل فى بعض هذا البيت فيما حوّطه على الحجرة الشريفة والله أعلم .

الأبواب

أبواب المسجد الشريف فى زمانه صلى الله عليه وسلم

وقد تقدّم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما بنى مسجده جعل له ثلاثة أبواب : باباً فى مؤخَّره ، وباباً فى غربيه وهو باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم وهو باب جبريل .

وذكر ابن النجّار عن ربيعة بن عثمان قال : لم يبق من الأبواب التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل منها إلا باب عثمان المعروف بباب جبريل، وكذا ذكره ابن زَبَالة ، فلما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد ووسّعه جعل له عشرين باباً .

ونقل ابن زَبَالة كان له أربعة وعشرون باباً ولا يعرف منها إلا ما سنذكره والله أعلم ، فمنها ثمانية من جهة المشرق القبلى منها :

باب النبى صلى الله عليه وسلم

باب النبيّ صلى الله عليه وسلم سُمِّىَ بذلك لمقابلته بيت النبى صلى الله عليه وسلم لأنه دخل منه ، وقد سُدّ عند تجديد الحائط وجعل مكانه شبّاك من خشب يُرى منه حجرة النبى صلى الله عليه وسلم من خارج المسجد ، وعنده جعل عمر بن عبد العزيز مصلّى الجنائز لمّا منع إدخالها المسجد .

منع إدخال الجنائز المسجد

باب على رضى الله عنه

والباب الثانى : باب علىّ رضى الله عنه كان يقابل بيته خلف بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد سُدّ أيضا عند تجديد الحائط .

باب عثمان رضى الله عنه

والثالث : باب عثمان ، ويعرف الآن بباب جبريل وقد تقدّم ذكره ، ويقال إنه نقل عند بناء الحائط الشرقى قبالة الباب الأوّل الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم .

وينبغى أن يحمل ما سبق نقله من أنه لم يغيّر عن جهة موضعه وإلاّ فيخالف هذا والله أعلم ، وسُمّى باب عثمان لمقابلته داره رضى الله عنه ، ثم وسّعها بشرائه ماحولها إلى القبلة والشرق وشمالها الطريق لمن يخرج إلى البقيع ، ويقابل باب جبريل من هذا الدار الآن رباط جمال الدين محمد بن على بن منصور الأصفهانى المعروف بالجوادْ وزير بنى زنكى ، وقفه على أبناء العجم من الفرس . ولما توفى حمل إلى المدينة ودفن فى تربته من هذا الرباط ، وله آثار بمكة المشرّفة أيضا ، منها : زيادة باب إبراهيم ، ومنها : المنائر ، ويقال إنه جدّد باب الكعبة المعظمة ، وأخذ الباب العتيق وحمله معه إلى بلده وعمل منه تابوتاً حمل فيه إلى المدينة الشريفة بعد موته ، وعمل للمدينة المنورة سوراً متقناً بأبواب حديد لكنّه صغير على ماحول المسجد .

رباط جمال الدين محمد بن على ابن منصور الأصفهانى

أول من عمل للمدينة المنورة سورا

وفى قبلة الرباط المذكور من دار عثمان رضى الله عنه تربة اشترى أرضها أسد الدين شيركوه بن شاذى ، ودفن معه أخوه نجم الدين أيوب والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أبى أيوب بن شاذى ، ونقلا إليها بعد موتهما ودفنا فيها .

مدفن والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى

وينبغى أن يعلم أن بقيّة دار عثمان رضى الله من القبلة دارٌ بأيدى خُدّام الحرم الشريف موقوفة عليهم والله أعلم .

باب ريطة ابنة أبى العباس السفاح

الرابع : باب ريطة ابنة أبى العباس السفّاح ، ويعرف بباب النساء .

وينبغى حكاية سبب تسميته بذلك ، وهو ما نقله يحيى عن ابن عمر قال :

سمعت عمر حين بنى المسجد يقول : هذا باب النساء ، فلم يدخل منه ابن عمر حتى لقى الله ، وكان لا يمرّ بين أيدى النساء وهنّ يصلين والله أعلم . وفى أعلاه من خارج لوح من الفُسَيْفِسَاء مكتوب فيه آية الكرسى . ودار ريطة المقابلة له كانت دار أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، ويقال إنه توفى فيها ، وهى الآن مدرسة للحنفية[1] بناها يازكوج أحد أمراء الشام ونُقل ودفن فيها ، وطريق البقيع بينها و بين دار عثمان ، والطريق سبعة أذرع كما نقل [عن][2] ابن زبالة .

دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه

و ينبغى تحرير ذلك فإنما رأيته قال : خمسة أذرع والله أعلم ، وهى اليوم قريب من هذا .

والخامس : باب يقابل دار أسماء ابنة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، كانت من جملة دار جَبَلَة بن عمرو الأنصارىّ الساعدىّ ، ثم صارت لسعيد بن خالد بن عمرو بن عمر رضى الله عنه ، ثم صارت لأسماء المذكورة ، وهى الآن رباط النساء ، وقد سُدّ هذا الباب أيضاً عند تجديد الحائط الشرقى سنة تسع وثمانين وخمسمائة فى أيام الإمام الناصر لدين الله لما جدّده من المنارة الشرقية الشمالية إلى هذا الباب .

الباب الخامس

والسادس : [باب][3] يقابل دار[4] خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وقد

الباب السادس

---

(١) قوله: «مدرسة للحنفية» . هذه المدرسة تعرف اليوم بزاوية السمان ، وقد هدمت الزاوية مع دار ريطة وما حولها فى زيادة وتوسيع المسجد الشريف فى يومنا هذا الموافق ٢٢ رجب سنة ١٣٧٣ هـ فى عهد الملك الراحل عبد العزيز آل سعود رحمه الله (الناشر) .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٤) هى التى اشتكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم شدة ضيقها فقال : « ارفع =

دخل فى بناء الحائط المذكور . والدار الآن رباط الرجال[١] ، ومعها من جهة الشمال دار عمرو بن العبّاس[٢] رضى الله عنه . والرباطان المذكوران أنشأهما قاضى القضاة كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى رحمه الله تعالى .

الباب السابع

والسابع : كان يقابل زقاق[٣] المناصع وكانت خارجة عن المدينة ، وهو متبرز النساء بالليل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو بين دار عمرو ابن العبّاس ودار موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، والزقاق اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن على العسكرى . وقد أنشأ القاضى الفاضل[٤] محيى الدين أبو على عبد الرحيم بن على اللخمىّ البيسانى ثم العسقلانى ثم المصرىّ رباطا للرجال كان موضعه دار موسى بن إبراهيم المخزومى ، وقد دخل هذا الباب أيضاً فى الحائط عند تجديده .

الباب الثامن

والباب الثامن : كان يقابل أبيات الصوافى دوراً كانت بين موسى بن إبراهيم المذكور و بين عبد الله بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، دخل فى الحائط أيضا .

= البناء، وسل الله السعة» وهذه الدار هدمت فى الزيادة والتوسعة السعودية الأخيرة، فى عهد جلالة الملك سعود . وفتحت ثلاثة أبواب متلاصقة مقابلها ومقابل زقاق البدور ومدرسة العلوم الشرعية (الناشر) .

(١) هو الذى كان معروفا فى القرن التاسع الهجرى برباط السبيل . والرجال: هم أشراف بنى حسين (عن عمدة الأخبار) .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفيما سيأتى . وفى الأصل : «العاص». وهو خطأ

(٣) زقاق المناصع : هو المعروف اليوم بزقاق البدور (الناشر) .

(٤) فى خلاصة الوفاء أن القاضى الفاضل هذا كان هو المتولى على ديوان الإنشاء زمن الدولة الصلاحية ، وكان أيضاً ناظر دواوين الإنشاء زمن الدولة الفاطمية . وقد ورد فيه « عبد الرحمن » بدل «عبد الرحيم» وهو خطا (الناشر).

وموضع هذه الدور اليوم دارٌ وقفها الشيخ صفيّ الدين أبو بكر بن أحمد السلامى على قرابته السلاميين .

وفى شمالى المسجد أربعة أبواب سُدّت أيضاً عند تجديد الحائط الشمالى[١] ، وليس فى شمالى المسجد اليوم إلاّ باب سقاية عَمّرتها أمُّ الإمام الناصر فى سنة تسعين وخمسمائة بسبب الوضوء .

أبواب المسجد الشريف من جهة المغرب

ومن جهة المغرب ثمانية أبواب أيضاً : منها بابان مسدودان ، وأيضاً باب ثالث قد سُدّ[٢] و بقيت منه قطعة ودخل باقيها عند تجديد الحائط من باب عاتكة إليه ، ثم باب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، سُمّى بذلك لمقابلته لدارها ، و يسمّى الآن : باب الرحمة . قيل : وكانت عاتكة هذه محرما لثلاثة عشر خليفة من بنى أُمَيَّة ، وكان فى دارها أُطُمُ ثابتٍ والدِ حسّانٍ بن ثابت العدوىّ ، واسمه فارع لقول حسّان :

أرِقْتُ لِتَوْمَاضِ[٣] الْبُرُوقِ اللَّوَامِعِ
وَنَحْنُ نَشَاوَى[٤] بَيْنَ سَلْعٍ[٥] وفارِعِ

---

(١) وفى زيادة وتوسعة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود رحمه الله فتح باب محاذى ومقابل الباب المجيدى ركن شمالى شرقى المسجد ، وباب مقابل كهرباء المسجد الشريف ، وباب فى ركن الشمال الغربى . (الناشر) .

(٢) وفتحت ثلاثة أبواب متلاصقة متجمعة مقابل زقاق الحنابلة ودار تميم الدارى فى الزيادة والتوسعة السعودية (الناشر) .

(٣) ومضى البرق يمضى ومضا ووميضا وتوماضا: لمع لمعا خفيا ولم يعترض فى نواحى الغيم ، فإذا اعترض فى نواحى الغيم فهو الخفو ، فإن استطار فى وسط السماء وشق الغيم من غير أن يعترض يمينا وشمالا فهو العقيقة (الناشر) .

(٤) نشاوى كسكارى لفظا ومعنى جمع نشوان كسكران .

(٥) سلع : جبل . وفارع : حصن حسان .

ويقال : كان اسمه البيضاء والله أعلم . وانتقلت الدار بعدها ليحيى بن خالد ابن بَرْمَك وزير الرشيد . و بابان سُدَّا أيضا عند تجديد الحائط ما بين هذا الباب و بين خوخة أبى بكر رضى الله عنه ثم الخوخة ، وقد تقدَّمت .

الباب الثامن

والثامن : باب مروان بن الحكم ، وكانت داره تقابله من المغرب ومن القبلة ، وهو باب السلام و باب الخشوع ، ولم يكن فى القبلة حتى اليوم باب إلاّ خوخة آل عمر المتقدّم ذكرها ، وخوخة كانت لمروان عند داره فى ركن المسجد الغربى ، وقد شاهدوها عند بناء المنارة التى أعيدت فى سنة ست وسبعمائة ، أمر بإنشائها الملك الناصر محمد بن قلاوون ـ عفا الله عنه ـ وعليها باب من الساج لم يُبْلَ ، وكان يدخل من داره إلى المسجد منها ، وقد انسدَّت بحائط المنارة الغربى .

سنة قتل مروان ابن الحكم

و ينبغى الاعتراض على من أطلق أن مروان كان يدخل منها للمسجد لأن مروان قتلتهُ زوجتُه أمّ خالد بن يزيد آمنة بنت عَلْقَمة ، ويقال : فاختة بنت هاشم ، وقيل : مات مطعونا ، وقيل : مسموماً فى النصف من رمضان سنة خمس وستين من الهجرة ، وذلك قبل توسيع المسجد بنحو من ثلاثين سنة لأن ولد مَرْوَان أبا الوليد عبد الملك الملقب بالموفّق توفى سنة ستّ وثمانين ، فكانت خلافته عشرين سنة ، ثم بويع لولده الوليد بن عبد الملك الملقّب بالمنتقم مجدِّد المسجد ، ولا شكّ أنها خوخة آل مَرْوَان، فالصواب أنه كان يدخل من مثلها لا منها ، وكان مَرْوَان يلقب فى خلافته «المؤتمن» ومدّتها تسعة أشهر ، وكأنّ هذا الباب هو المراد بقول ابن زَبَالة .

و باب فى قبلة المسجد يخرج منه السلطان إلى المقصورة والله أعلم .

الفصل السادس

فى ذكر ما تجدّد بالمسجد الشريف

ذكر ما تجدد بالمسجد الشريف

إعلم أنه لم يكن قبل حريق المسجد الشريف ولا بعده على الحُجْرة الشريفة قُبَّةٌ بل كان ما حَوْلَ حُجْرة النبىّ صلى الله عليه وسلم فى السطح مقدار نصف قامة مبنىّ بالآجرّ تمييزاً الحجرة الشريفة على بقيّة السطح إلى سنة ثمان وسبعين وستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون الصالحى عملت هذه القبة .

تاريخ ابتداء القبة

وينبغى أن يعلم أنها مربّعة من أسفلها مثمنة من أعلاها ،وقد جُدِّدت فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ـ تغمده الله بعفوه ـ فاُختلّت الألْوَاح الرّصَاص عن وضعها فخشوا من كثرة الأمطار فجدِّدت وأُحكمت فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ـ أصلحه الله تعالى ـ فى سنة خمس وستّين وسبعمائة والله أعلم ، وهى أخشاب أُقيمت وسُمِّر عليها ألواحٌ من خشب ومن فوقها ألواح الرّصَاص ، وعمل مكان الحظير الآجرّ شبّاك من خشب ، وتحته بين السقفين أيضا شُبّاك من خشب ، وعلى سقف الحجرة الشريفة بين السقفين ألواحٌ قد سُمِّر بعضها على بعض ، وسُمِّر عليها ثوبٌ مُشَمَّع ، وفيها طابق مُقْفَل إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبىّ صلى الله عليه وسلم وبين الحائز الذى بناه عمر بن عبد العزيز ، وكانت أمّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها قد بنت حائطا بينها وبين القبور المقدّسة بعد دَفْن عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه وقالت : إنما كان أبى وزوجى ، وتحفّظت فى لباسها إلى أن بنت الحائط المذكور ، وبقيت فى بقية البيت من جهة الشام ، وفيها باب البيت كما نقله أهل السير .

وينبغى أن يحمل هذا على أنها شرعته لما بنت الحائط المذكور ، أو أن بيته

صلى الله عليه وسلم كان له بابان : أحدهما فى الشام ، والثانى فى المغرب ، أو الخوخة التى تقدّم أنها كانت فى الروضة ، وعليه يحمل ما ورد فى الصحيح من أن النبى صلى الله عليه وسلم كشف سجفَ الباب فى مرضه وأبو بكر رضى الله عنه يؤمّ الناس ، الحديث ، وقول عائشة رضى الله تعالى عنها : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يُدْنِى إلىَّ رأسَهُ فأُرَجِّلُهُ . وفى رواية النسائى : يأتينى وهو معتكفٌ فى المسجد فيتكىء على عتبة باب حُجْرتِى فأغسل رأسَه وأنا فى حُجْرتى وسائره فى المسجد ، وإذا لم يصح هذا الحمل فلا يخلو من نظر والله أعلم . ولم يَرِد أنّ أحداً دخل بيت النبى صلى الله عليه وسلم عند القبر المقدّس بعد موت عائشة رضى الله عنها إلاّ ما حكاه ابن زَبَالة وتبعه ابن النجّار أن جدار الحجرة الشريفة الذى يلى موضع الجنائز لما سقط فى زمان عمر بن عبد العزيز وظهرت القبور المقدّسة قالوا : فما رُئِى بكاء أكثر منه فى ذلك اليوم ، فأمر بقَبَاطِىّ فخُيِّطت ثم سترها ، وأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس، فبينا هو يكشف عن الأساس رفع يده وتَنَحَّى واجماً ، فقام عمرُ بن عبد العزيز فزِعاً فرأى قَدَمَيْن وراء الأساس وعليهما الشعرُ، فقال له عبيد الله بن عبد الله بن عمر وكان حاضرا : لا يَرُعْك فهما قَدَمَا جَدِّك عُمَر ابن الخطاب ضاقَ البيتُ عنه فحفروا له فى الأساس ، فقال عمر : يا ابن وردان ، غَطِّ ما رأيتَ ، ففعل ، ولما فرغوا منه ورفعوه دخل مُزَاحم مولى عُمَر من كُوَّة جُعِلَتْ فيه فقَمّ[1] ما سقطَ على القبر من الطّين والتُّراب، وَنَزَعَ القُبَاطِىّ ، فكان عُمَر يتمنّى أن لو كان تولّى ذلك . ثم لم يرد أن أحداً أدخل بعد بناء عُمَر بن عبد العزيز

حائز عمر بن العزيز على القبور الشريفة

لهذا الحائز إلاّ ما حكاه ابن النجّار أن فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سُمِعَ من داخل الحجرة الشريفة هَدَّة وكان الوالى يومئذ بالمدينة الشريفة الأمير قاسم بن مُهَنّا الحسينى ، وكان يفهم العلم ، فذكر له ذلك فقال : ينزل شخصٌ من أهل الدِّين

---

(١) قمّ البيت : كنسه .

والصلاح فلم يجدوا يومئذ أمثل حالا من الشيخ عمر النسائى شيخ شيوخ الصوفية بالموصل ، وكان مجاوراً ، فكلّموه فى ذلك عن الأمير فامتنع واعتذر بمرضٍ كان به يحتاج معه إلى الوضوء فى غالب الوقت ، فألزمه الأمير قاسم بالدخول فدخل فقال : أمهلونى حتى أروّض نفسى ، فيقال : إنه امتنع من الأكل والشرب مُدّة وسأل الله إمساك المرض عنه بقدرما يبصر ويخرج ، فأنزلوه بالحبال من بين السقفين من الطابق المذكور ، فنزل بين حائط النبىّ صلى الله عليه وسلم وبين الحائز ومعه شمعة يستضىء بها ، ومشى إلى باب البيت ودخل من الباب إلى القبور المقدّسة ، فرأى شيئاً من الردْم إمّا من السقف أو من الحيطان قد وقع إلى القبور المقدسة فأزاله ، وكنَس ما عليها من التراب بلحيته ، وكان مليح الشيبة ، وأمسك الله عنه المرض بقَدْر ما دخل وخرج ، وعاد إليه وَجَعُهُ .

وينبغى تأمُّل هذا النقل لأن الوصول إلى القبور المقدّسة متعذّر إن كان الجدار الذى أحْدَثَتْهُ عائشةُ رضى الله عنها المتقدّم ذكره باقياً ، فإن جاء نقل بإزالته أو بإمكان الاستطراق معه من بابٍ أو نحوه فهو واضح وإلاّ ففيه نظر والله أعلم .

وذكر ابن النجّار أيضاً أن فى سنة أربع وخمسين وخمسمائة فى أيام قاسم المذكور وُجِد من داخل الحُجْرة الشريفة رائحةٌ مُتَغيِّرةٌ فذكروا ذلك للأمير قاسم فأمرهم بالنزول وتعيين من يصلُح ، فأنزلوا الطواشى بيان أحد خُدّام الحُجْرة الشريفة ، ونزل معه الصّفىّ الموصلىّ متولّى عمارة المسجد ، ونزل معهما هارون الشاذىّ الصُّوفىّ بعد أن سأل الأمير فى ذلك وراجعه ، وبذل له جملة من المال ، فوجد هِرّاً قد سقط من الشبّاك الذى فى أعلى الحائزِ ، بين الحائز وبيت النبىّ صلى الله عليه وسلم وجَيَّف ، فأخرجوه وطيّبوا مكانه ، وكان نزولهم يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الآخر .

قال ابن النجّار : ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحدٌ هناك ، بل وإلى يومنا هذا .

قال المطرىّ : ثم إن الشيخ عمر النسائى ، استقرّ بمكة بعد نزوله المذكور تسع[١] [سنين[٢]] . وتوفى سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة .

ولما حجّ السلطان الملك الظاهر فى سنة سبع وستين وستمائة أراد أن يجعل على الحجْرة الشريفة دَرَابِزِيناً من خشبٍ فقاس ما حوْلها بيده وقدّره بحبال [وحملها[٣]] معه ، وأرسل الدّرَابِزِين فى سنة ثمان وستين وأداره عليها ، وعمل له[٤] ثلاثة أبواب قبليًّا وشرقيًّا وغربيًّا ، ونصَبَهُ بين الأساطين التى تلى الحُجْرة الشريفة إلاّ من ناحية الشام فإنه زاد فيه إلى مُتهَجّد النبى صلى الله عليه وسلم .

كان للمقصورة الشريفة أربعة أبواب

وينبغى أن يُعلَم أن للمقصورة باباً رابعاً أُحدث عند تجديد الرّواقين الآتى ذكرهما من جهة الشمال فى رحبة المسجد وغربى المُتَهَجّد الشريف يفتح للقبلة والله أعلم .

وإنما صنع[٥] الملك الظاهر ذلك تعظيماً للبقعة الشريفة لكنه حجز طائفة من الروضة المقدّسة مما يلى بيت النبىّ صلى الله عليه وسلم وتعذّرت الصلاة فيها غالباً مع فضلها وفضل الصلاة فيها ، فلو عكس ما حجزه وجعله خلف بيت النبىّ

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « فى سنة تسع » وهو خطأ .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٤) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وهو يتفق والسياق . وفى الأصل : « علا » وهو خطأ .
(٥) كذا فى نسختى (ا) و (ب) والسياق يقتضيها . وفى الأصل : « وضع » .

صلى الله عليه وسلم من الناحية الشرقية وألصق الدَّرَابِزِين بالحُجْرة مما يلى الروضة لكان أخفّ إذ الناحية الشرقية ليست من الروضة ولا من المسجد المشار إليه ، بل مما زيد فى أيام الوليد ، وهذا من أهمّ ما ينظر فيه ، لكن ينبغى أن يعلم أن للظاهر سَلَفاً فى ذلك ، وهو ما حجزه عمر بن عبد العزيز فى الحائز الذى على الحُجْرة الشريفة من جهة الرّوضة أيضاً لكنّه قليل والله أعلم .

سنة زيادة الملك العادل كتبغا فى المقصورة

واعلم أن الذى عمله الملك الظاهر نحو القامتين ، فلما كان فى سنة أربع وتسعين وستمائة زاد عليه الملك العادل زين الدين [كُتْبُغا[1]] شُبّاكاً دائراً عليه ورفعه حتى وصله بسقف المسجد الشريف .

سنة إنشاء القبة الكبيرة فى صحن الحرم الشريف

ومما أُحْدِث قبل ذلك فى سنة ستّ وسبعين وخمسمائة قُبَّةٌ كبيرةٌ فى صَحْن الحرم الشريف عَمَّرها الإمام الناصر لدين الله لحفظ حواصل الحرم وذخائرِه مثل : « المصحف [الكريم[2]] العثمانى » وعدّة صناديق كبار متقدّمة التاريخ صُنعت بعد الثلاثمائة من الهجرة جميعها سالمة فيها إلى اليوم ، وقد سلمت من الحريق ببركة المصحف الكريم ، ولكونها متوسطة فى المسجد ولله الحمد .

سنة إنشاء رواقين من جهة القبلة

وفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة أمر السلطان [الملك[3]] الناصر محمد بن قلاوون بإنشاء رواقين من جهة القبلة فاتّسع مسقف القبلى بهما وعَمّ نفعهما .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الفصل السابع

فى ذكر آداب تتعلّق بالمسجد الشريف

ذكر آداب تتعلق بالمسجد الشريف

ينبغى أن نذكر آداباً تتعلّق بالمسجد الشريف :

منها : عدم رفع الصوت فيه ، وسيأتى ذلك فى آداب الزيارة . ونقل ابن زَبَالَة من حديث مكحولٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جَنِّبُوا مساجدَكم صِبْيانَكم ومجانينَكم وشراءكم وبيعكم ورفعَ أصواتِكم وسلاحكم وجمّروها فى كل جمعة وضعوا المطاهر على أبوابها وأفنيتها » .

ومنها : وجوب تنزيهه من المخاط والبصاق فقد صحّ قوله صلى الله عليه وسلم : « إنه خطيئة بل ذلك فى كل مسجد » .

وقد روينا فى كتاب النسائىّ وابن ماجة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة فى قبلة المسجد فغضب حتى أحمرّ وجهه الشريف ، فقامت امرأة من الأنصار فحكّتها وجعلت مكانها خَلُوقاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحسن هذا » وقد ذكر رَزِين عن عبيدة بن عمير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة فى قبلة المسجد فقال : « مَنْ فعَلَ هذا ؟ أيُحِبُّ أحدُكم أن تكون نكتة فى وجهه يوم القيمة » . وفى رواية ابن زَبَالَة : « مَنْ فعل هذا جاء يوم القيمة وهى فى وجهه » وفى رواية رَزِين من حديث عُقبة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « من ازْدَرَدَ رِيقَه فى المسجد تعظيماً أعقبه الله تعالى فى ذلك صِحّةً فى جسمه وعافيةً فى بدنه وأن المسجد لكلّ تقىّ » . وذكر أيضا عن على بن أبى طالب كرّم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ازدرد رِيقَهُ فى المسجد تعظيماً لحقّ المسجد جعل

الله ذلك صِحَّةً في جسمه وعافيةً في بدنه وكتب له حسنة ومحا عنه خطيئة ورفع له درجة » فإن قيل قد ورد أيضاً أن كفّارتها دفنها ولا صعوبة في ذلك ، فالجواب أن الكفّارة لا ترفع الإثم كما صرّح به فيمن أتلف صيداً في الحرم ، أو في حال الإحرام متعمّداً وإن كفر وهو واضح ، ولا يلزم عدم تأثيم شارب الخمر إذا وطّن نفسه على إقامة الحدّ عليه .

ومنها : أنه إذا وجد قملةً في ثوبه وهو في المسجد فلا يَرْمِ بها فيه بل يجعلها في ثوبه حتى يخرج بها كما وقفه يحيى على ابن عمر ، ورفعه ابن زبالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها: استحباب تطييبه وتجميره فقد روينا في سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور ، وأن تُطيَّب وتُنَظَّف ـ قيل : والدور : القبائل والمحلاّت ـ . وفي كتاب يحيى : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجمار المساجد ، قال الراوي : ولا أعلمه ، قال : إلا يوم الجمعة ، وعند ابن زَبَالة مثله . ونقل ابن النجّار وغيره : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بسَفَطٍ[1] من عود فلم يسع الناس ، أي يعمُّهم ، فقال : اجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون . قال : فبقيت سُنّة في الخلفاء إلى اليوم . وأن التجمير ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب . نقل ابن زَبَالة عن نعيم المُجمِّر عن أبيه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له : تَطُوف على الناس بالمجمرة تجمرهم ، قال : نعم ، فكان عمر يُجمِّرهم يوم الجمعة . قال أهل السِّيَر : وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بِمِجْمَرة من فضةٍ فيها تماثيل من الشام،

أمر النبي بإجمار المساجد

استعمال مجمرة فضة فيها تماثيل

---

(١) كذا في نسختي (ا) و (ب) . والسفط : ما يخبأ فيه الطيب ونحوه ، والجمع أسفاط مثل سبب وأسباب . وفي الأصل : «بفسط» وهو تحريف.

فكان يُجَمَّر بها المسجد ثم توضع بين يدى عمر بن الخطاب[1] رضى الله عنه ، فلما قدم إبراهيم بن يحيى بن محمد والياً على المدينة غيَّرها وجعلها ساذجاً وهى اليوم كذلك من نحاس أصفر .

ومنها : تخليقه فقد روى عن جابر أن أوَّل مَنْ خلَّق المسجد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد سبق فى حديث النخامة من النسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم استحسنه .

تخليق المسجد والاعتكاف فيه وعدم أكل الثوم

قال ابن النجار : ولما حجَّت الخيزران أمُّ موسى وهارون ـ يعنى الهادى والرشيد ـ فى سنة سبعين ومائة أمرت به أن يُخلَّق جميعه والحجرة كذلك .

ومنها : تجنُّب أكل الثوم والبصل والكُرَّات والدخول معه لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وفى كتاب يحيى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تفقَّدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم » فيستحب ذلك .

استحباب تفقد النعال عند أبواب المساجد

ومنها : أن ينوى الاعتكاف كلما أراد مكثاً ولا سيما فى شهر رمضان تأسِّياً بالنبى صلى الله عليه وسلم كما ورد فى الصحيح ، و بسند يحيى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف فى المسجد فى رمضان فى قبة على بابها حصير، فرفع الحصير فأطلع رأسه فأنصت الناس فقال : « إنَّ المُصلِّى مُناجٍ ربَّه فلينظرْ أحدُكم ما يناجى ربَّه ولا يجهرْ بعضُكم على بعض بالقرآن » .

عدم إخراج حصاء المسجد

ومنها : أن لا يخرج من حصائه شيئاً لما روى أبو داود من حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الحصاة لتناشد الذى يُخرجها من المسجد » ونقل ابن زبالة عن مجاهد يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم : « أنَّ الحصاة إذا

---

(١) كيف أقر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وضعها بين يديه مع أنه استعمال ينافى العرف ، وقد صرحوا بأن استعمال مجمرة النقد بل وجميع ما صنع منه حرام غير خاتم فضة وحلى النساء (الناشر) .

أُخرجتْ من المسجد صاحتْ » ولا بأس بصلاة الجنازة فيه ، ففى سُنَن أبى داود من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى[1] على أبنى بيضاء سُهَيل وأخيه فى المسجد ، وفيه أيضا من حديث أبى هريرة قال : « من صَلَّى عَلَى جنازة فى المسجد فلا شىءَ عليه[2] » ونقل ابن النجّار أن عمر بن عبد العزيز أقام الحرس يمنعون صلاة الجنازة فيه ، وأن يُحْتَرَف فيه . وقد ورد أن عثمان رضى الله عنه أخرج خياطاً بخياطته من المسجد .

منع صلاة الجنازة فى المسجد

ومنها : أن لا ينشد ضالّة فيه ، وإن سمع من ينشد قيل له : أيها الناشد ، غيرُكَ الواجدُ وما أشبهه إلا أن يسأل الإنسان جلساءه فليس بذلك بأس ، ولا يبلغ بذلك الصوت كما نقله ابن زَبَالة عن مالك رحمه الله .

ومن باع سلعة قيل له : « لا أربح اللهُ تجارتَك » كما ورد مرفوعًا ، والقياس أن يقال للسائل فيه : « لا فتح الله عليك » كما قاله بعض شيوخنا . وفى العتبيّة أنّ مالكاً كره المراوح فى المسجد ، ومشى عليه ابن رُشْد ، ويجوز النوم فيه وفى غيره من المساجد من غير كراهة كما قاله علماؤنا لما فى الصحيح : أن عبد الله ابن عمر كان ينام فى المسجد وهو شابٌّ عزب لا أهل له .

جواز النوم فى المسجد

وقصّة علىّ رضى الله عنه لما خرج مغاضباً ولم يقل عند فاطمة رضى الله عنها ، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع فى المسجد ، قد سقط رداؤه عن شقِّه وأصابه تراب ، فجعل عليه الصلاة والسلام يمسحه عنه ويقول : «قُمْ أبَا تُرَابٍ قُمْ أبَا تُرَابٍ » . وقصّة أهلِ الصُّفّة وملازمتهم المسجد ، ولا بأس بإنشاد الشعر المباح فيه .

---

(١) هذا مما يحفظ ولا يقاس عليه ، وهى واقعة حال فعلها النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكررها (الناشر) .

(٢) قوله : « فلا شىء عليه » فى سنن أبى داود عن حديث أبى هريرة : « فلا شىء له » ولفظ ابن ماجه : « فليس له شىء » هكذا فى أكثر نسخ أبى داود ، قال الخطيب : وهو المحفوظ اهـ ، أى فلا شىء له من الثواب (الناشر) .

الباب الثانى

فى ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم

ووفاة صاحبيه رضى الله عنهما

ثم ذكر الزيارة وآدابها وذكر البقيع ، وذلك فى فصول :

الفصل الأول

فى الوفاة

وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ووفاة صاحبيه رضى الله عنهما

إعلم أنَّ سَرِيَّةَ[1] أسامة بن زَيْد إلى أهل أُبنَا بالشَّرَاة ـ ناحية بالبَلْقاء ـ أمّره النبيّ صلى الله عليه وسلم عليها يوم الأثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشر لغزْو الروم مكان قتل أبيه ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد ، فلما كان يوم الأربعاء بدأ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وَجَعه فحُمّ وصُدِع .

وحكى رَزِين عن جابر: لمّا أشتدّ مرض النبي صلى الله عليه وسلم جعلت الأنصارُ والمهاجرون يبكون فقال لعليّ والعباس : « ناولانى أيديكما » فخرج يعتمد عليهما حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ماذا تستنكرون من موت نبيِّكم، ألم تنعى إليه نفسه وتنعى إليكم أنفسكم ، أم خُلِّد ممّن

---

(١) السرية : من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة .

بعث قبله أحدٌ فأُخَلَّد ، إلاَّ أنى لاحِقٌ بربِّى وتاركٌ فيه ما إن تمسَّكتم به لن تَضِلُّوا بَعْدِى : كتابُ اللهِ بين أظهُرِكم ، فيه الهُدَى والنُّور ، وفيه ما تُؤْتُون وما تَذَرُونَ ، فلا تنافَسُوا ، ولا تحاسَدُوا ، ولا تباغَضُوا ، ولا تدابَرُوا ، وكونوا عبادَ الله إخواناً كما أمركم الله ، ألا ثم أُوصِيكم بعِتْرتى أهل بيتى ، ثم أوصيكم بالأنصار فقد علمتم بلاءهم عند الله ، ألم يوسِّعوا لكم فى الديار ، ألم يشاطروهم الثمار ، وآثروا الخصاصة ، ألاَ إنَّ الأنصار بيتُ الإيمان الذى بنى الإيمان عليه إلاَّ إذا حَضَرَتْ فقولوا : (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) » انتهى .

فلما كان يوم السبت لعشر خَلَوْن من ربيع الأوَّل وَدَّع جيشُ السَّرِيَّة النبىَّ صلى الله عليه وسلم ومضوْا إلى الجُرْف[1] وثَقُل عليه الصلاة والسلام فجعل يقول: « أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسامة » .

فلما كان يومُ الأحد اُشتدَّ وجَعُه فدخل أُسامةُ من مُعَسْكره فى اليوم الذى لُدَّ[2] فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم فكان مغموراً . ثم دخل يوم الاثنين وهو مفيق فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أُغْدُ على بَرَكَة الله » فودّعه أُسامة وخرج فأمر الناس بالرحيل ، فبينا هو يريد الركوب إذا رسـول أُمِّه

---

(١) الجرف (بالضم ثم السكون) : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، به كانت أموال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولأهل المدينة ، سمى الجرف لأن تبعا مر به فقال : هـذا جرف الأرض ، وكان يسمى العرض (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) اللد (بضم اللام المشددة) : أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ، ويوجر فى الآخر الدواء فى الصدف بين اللسان وبين الشدق . وفى الحديث « إنه لدفى مرضه فلما أفاق قال : لايبقى فى البيت أحد إلا لد » فعل ذلك عقوبة لهم لأنهم لدوه بغير إذنه (راجع لسان العرب مادة لدد) .

أمّ أيمن قد جاءه يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم يموت، فأقبل ومعه أبو بكر وعُمر وأبو عبيدة .

وفى الصحيح من حديث عائشة وأنه اَستنّ بسواك عبدالرحمن بعد أن قضمته وطيّبته ، وكان من عسيب نخل ما رأيته اَستنّ اَستناناً قطّ أحسن منه ، و بين يديه ركوةٌ فيها ماء ، فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه و يقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » ثم نَصَبَ يديه فجعل يقول: « فى الرّفيق الأعلى » حتى قبض ومالت يدُه ، فلما تَغَشّاهُ الموت قالت فاطمةُ رضى الله عنها : « وا كَرْبَ أباه » فقال لها : « ليس على أبيكِ كَرْبٌ بعدَ اليوم » .

وتوفى عليه الصلاة والسلام شهيداً حين زاغت الشمسُ من ذلك اليوم لاُثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل حين اُشتدّ الضُّحى ، فقالت فاطمة رضى الله عنها تندبه صلى الله عليه وسلم : « يا أبتاه ، أجاب ربّاً دعاه ، يا أبتاه ، فى جنّة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، إلى جبريل ننعاه ، » فقال عمر : والله ما مات و إنما وعده الله كما وعد موسى ، وسيجىء و يقطعُ أيدى قوم أرجلهم حتى جاء أبو بكر فقال : أخر يا عمر ، ثم دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقبّله بين عينيه وقال : بأبى أنت وأمّى ، طبت حياً وميّتاً ، أما الموتة الأولى التى كتبها الله عليك فقد متها ثم قرأ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ اُنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية . وكانت مُدّة تَوَعُّكِهِ اُثنى عشر يوماً ، وقيل : ثلاثة عشر يوما ، وقيل : عشرة ، وغسّله علىٌّ ، والعبّاسُ واُبنُه الفضل يعينانه ، وقُثَم وأسامة وشُقْران يَصُبُّون الماء وأعينهم معصوبة من وراء السّتر لحديث علىّ : « لا يُغسّلنى إلاّ أنتَ فإنه لا يَرَى أحدٌ عَوْرَتِى إلاّ طُمِسَت عيناه » وغُسّل عليه الصلاة والسلام فى قميصه من بئر الغَرْس [1] ثلاثَ غَسَلات

---

(١) هذه البئر كانت لسعد بن خيثمة بقباء، وكان يشرب منها (طبقات ابن سعد) .

بماء وسِدْر ، وجعل على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ، وكُفِّن عليه الصلاة والسلام فى ثلاثة أثواب بيضٍ سَحُولِيَّة ليس فيها قميص ولا عمامة — وسَحُول بفتح السين : بلدة باليمن — .

وفى الإكليل ورواه يحيى : كُفِّن فى سبعة أثواب ، وجمع بأنه ليس فيها قميصٌ ولا عمامة مَحْسُوب وحُنِّط بكافور ، وقيل بمسك . وأوّل من صلّى عليه الملائكة أفواجاً بلا إمام ، ثم صلّى عليه أهلُ بيته ، ثم الناسُ فَوْجاً فَوْجاً ، ثم نساؤه آخراً . وفى كتاب يحيى : أن الصبيان آخِراً .

وحكى أيضاً : أنه لما صلّى عليه أهلُ بيته لم يدر الناس ما يقولون ، فسألوا ابن مسعود فأمرهم أن يسألوا عليّاً . فقال لهم : قولوا : « (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) الآية لبيّكَ اللهمّ ربّنا وسَعْدَيْك صلوات الله البرّ الرحيم ، والملائكة المقرّبين ، والنّبيّين والصِّدِّيقين ، والشهداء والصالحين ، وما سبّح لله من شيء يارب العالمين ، على محمد بن عبد الله خاتَم النبيّين وسيّد المرسلين وإمام المتّقين ورسول رب العالمين ، الشاهد المبشّر الداعى إليك بإذنك والسراج المنير وعليه السلام » .

ثم قالوا : أين تدفنوه ؟ فقال أبو بكر : سمعتُ رسولَ الله صلى عليه وسلم يقول : « ماهَلَكَ نَبِيٌّ قَطّ إلاّ يُدْفَنُ حَيْثُ تُقْبَض رُوحُه » .

وقال عليّ : وأنا أيضاً سمعتُه ، وحفر أبو طَلْحة لَحْدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضع فراشِه حيث قُبِضت رُوحُه ، وفَرَش تحته قَطِيفة نَجْرَانية كان يتغطّى بها .

قال ابن عبد البرّ [1] : ثم أخرجت لما فرغوا من وضع اللَّبِنَاتِ التسع

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « عبد الكريم » :

نُصِبْنَ نَصْباً ، حكاه ابن زَبالة ، ودخل قبره العباس وعلىّ . قال رَزِين : ورجلٌ من الأنصار ، وذكر غيره: قُثَم وشُقْران وعقيل وأُسامةوأوْس ،قال الحاكم : فكان آخرهم عهداً به قُثَم ، وقيل علىّ . وكان عُمْره حين توفى صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة فيما ذكره البخارىّ وابن سعد .

وفى مسلم : خمسٌ وستُّون ، وصحّحه أبو حاتم وجمع بأن من قال : خمساً وستّين حَسِبَ السنةَ التى وُلِد فيها والتى قُبِض فيها ، وأقام بالمدينة عشراً بلا خلافٍ كما قاله الإمام النووىّ فى سير الروضة .

قال رَزِين : ورُشَّ قَبْرُه بماء ، والذى رَشّه بلالُ بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه حكاه ابن عساكر ، وجعل عليه من حَصْباء العَرْصَة حمراء و بيضاء ، ورفع قبرُه عن الأرض قَدْرَ شبر صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة رضى الله عنها : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يومى وفى بيتى و بين سَحْرِى ونَحْرِى ، ولَيّنت له سِوَاكه قبل موته بساعة فاستاك به ، فخالط ريقى ريقه آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة .

ومما قاله أبو بكر يرثى به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَدّعَنا الوَحْىُ إذ ولّيت عنّا * فودّعنا من الله الكلام

سوى ما[قد[1]] تركتَ لنا رهيناً[2] * تضمّنه[3] القراطيس الكرام

و بسند ابن النجّار : لما دُفِن النبى صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمةُ رضى الله عنها فوقفت على قبره وأخذتْ قَبْضةً من تراب القبر فوضعته[4] على عينها وأنشأت تقول :

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « رسينا » .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « تضمنته » .

(٤) كذا فى الأصل ونسخة (ا) . وفى نسخة (ب) : « فوضعتها » وهما يؤديان المعنى .

ماذا عَلَيَّ من شَمِّ تُرْبَة أحمد * أن لا يشمّ مَدَى الزمان غواليا
صُبَّتْ عَلَيَّ مصائب لو أنها * صُبَّتْ على الأيام عُدْنَ(١) لياليا

والله أعلم .

وفاة أبي بكر الصدّيق رضى الله عنه

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

نقل ابن النجّار عن محمد بن جرير الطبرى أنه ذكر بإسنادٍ له أن اليهود سَمّت أبا بكر فى أرزةٍ، ويقال فى خزيرة ، وتناول معَهُ الحارث بن كلَدَةَ منها ثم كفّ وقال لأبى بكر : أكلْتَ طعاماً مسموماً سمَّ سَنَةٍ ، فمات بعد سنة ، ومرض خمسة عشر يوماً ، فقيل له : لو أرسلتَ إلى الطبيب ؟ فقال : قد رآنى ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : قال لى : إنى أفعل ما أشاء .

وقالت عائشة : أوّل ما بدئ به أنه اغتسل يوم الاثنين لسَبْعٍ خَلَوْنَ من جُمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فُحمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج ، وأمر عُمَرَ ابن الخطّاب أن يصلّى بالناس ، وهو يومئذ نازل فى داره التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وُجاهَ دار عثمان ، وقد سَبَق تعريفُها.

ونقل المبرّد فى «كامله» أن صورة كتاب عهده لعُمَر: «بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عَهِدَ به أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدّنيا وأوّل عهده بالآخرة فى الحال الذى يُؤْمِنُ فيها الكافر ، ويتّقى فيها الفاجر ، إنى استعملتُ عليكم عُمَرَ بنَ الخطّاب فإنْ بَرَّ وعَدَلَ فذلك عِلْمى به ، ورأيى فيه ، وإنْ جارَ وبَدَّل فلا عِلْمَ لى بالغَيْب والخيرَ أرَدْتُ ولكلِّ امْرِئٍ ما اكْتَسَبَ وسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون » .

وفى الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها أنها دخلت عليه فسألها عن كَفَنِ النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرتْهُ ، وسألها عن وفاته فى أىّ يوم فذكرت

(١) كذا فى نسختى (ا) (ب) . وفى والأصل : « صرن » .

له يوم الأثنين ، وكان سؤاله يوم الأثنين ، فعرف به وقال : أرجو فيما بيني و بين الليلة ، وكان عليه ثوب تمرّض فيه ، به رَدْعٌ[1] « من زَعْفران فقال : اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين وكفّنوني فيها ، قالت : إن هذا خَلَقٌ ، قال : إن الحيَّ أحقُّ بالجديد من الميّت إنما هو للمهنة ، وآخرُ ما تكلّم به : « توَفَّنِي مُسلماً وألحِقْنِي بالصالحين » . وتوفى حين أمسى من ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ، ودَفن قبل الصبح لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وسنّه سنّ المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال فيما حكاه ابنُ النجّار . وقيل غير ذلك . وغسّلتْهُ زوجتُه أسماء بنت عميس بوصيّته ، وابنُه عبد الرحمن يصبُّ الماء عليها ، وصلّى عليه عُمَر في المسجد عند المنبر ، ويقال وُجاهَ النبي صلى الله عليه وسلم وكبّرَ أربعاً ودفن مع النبيّ صلى الله عليه وسلم بتوصيته .

وفاة أمير المؤمنين عمر الفاروق

رضى الله عنه

وفاة أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه

نقل ابن النجّار عن مسند ابن أبي شيبة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قام يوم جمعة خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكرنبيَّ الله وأبا بكر ثم قال : « يا أيها الناس ، إني قد رأيتُ رُؤْيا كأن ديكاً أحمر نقرَني نَقْرَتَيْن ولا أرى ذلك إلاّ لحضور أجَلي ، وأنَّ ناساً يأمُرُونني أن أستخلفَ وأنَّ الله لم يكن ليضيع دينَهُ وخلافتَهُ ، والذى بعثَ نبيَّه فإن أعْجَلَ بي أمْرٌ فالخلافة شُورَى بين هؤلاء الرَّهْط الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم رَاضٍ فأيُّهم

(١) الردع : اللطخ بالزعفران وبالثوب ، أي شيء يسير في مواضع شتى .

بايعوا فاسمعوا له وأطيعوا » قال : فخطب بها الجمعة وأصيب يوم الأربعاء لثلاث، وقيل : لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين .

وفى الصحيح من حديث عمرو بن ميمون قال: إنى لقائم مابينى و بين عمر إلاّ عبد الله بن عباس غَدَاة أُصيب ، وكان إذا مرّ بين الصّفّين قال : استووا حتّى إذا لم يرفيهم خللاً تقدّم فكبّر، وربّما قرأ بسورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتّى يجتمع الناس فما هو إلاّ أن كبّر فسمعتُه يقول : قتلنى ، أو أكلنى الكلب حين طعَنه وظهر العِلْج[1] بسكّين ذات طرفَين لايمرّ على أحد يميناً وشمالاً إلاّ طعَنَه حتى طعن ثلاثةَ عشرَ رجلاً مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرْنُساً ، فلما ظنّ العِلْج أنه مأخوذٌ نَحَرَ نفسه وقدّم عُمَرُ فى الصلاة عبد الرحمن بن عَوْف فمن يلى عمر قد رأى الذى رأى . وأما أواخر المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم فقدوا صوتَ عُمَر وهم يقولون : سبحان الله ! سبحان الله ! فصلّى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفةً ، فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس ، مَنْ قتلنى ؟ فجال ساعةً ثم جاءه فقال : غُلام المغيرة بن شُعْبة، قيل : واسمه ، فَيْرُوز ، ويكنّى أبا لُوْلُؤَة ، قال : الصَّنِع ، قال : نعم ، قال: قاتله الله! لقد أمرتُ به معروفاً وقال: الحمد لله الذى لم يجعل مَنِيَّتِى على يد رجل يَدّعى الإسلام ، واحتُمِل إلى بيته فانطلقنا معه ، وكأن الناس لم تصبهم مصيبةٌ قبل ذلك ، فقائل يقول : لا بأس ، وقائل يقول : أخاف عليه ، فأُتِىَ بنبيذٍ فشربه ، ثم بلبنٍ فشربه،فخرج من جَوْفه،فعرف أنه ميّت،فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء شابٌّ فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك فى صُحْبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمك فى الإسلام ماقد علمت،ثم وُلِّيت فعدلت ثم الشهادة،فقال:

---

(١) العلج (بالكسر) : الرجل من كفار العجم .

وَدِدْتُ أن ذلك كفافاً لا عَلَيَّ ولا لى ، فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرض فقال : ردُّوا علىَّ الغلام فقال : يا ابن أخى ، ارفع ثوبك فإنه أنقى وأبقى لثوبك ، وأتقى لربِّك ، ياعبد الله بن عمر . أُنظر ما علىَّ من الدَّيْن ، فحسبوه فوجَدُوه ستَّةً وثمانين ألفا ونحوه ، وعند ابن زَبالة : ثمانيةً وعشرين ألفا ، قال: إن وفَّى له مالُ آلِ عُمَر فأدُّوه من أموالهم ، وإلاَّ فسَلْ فى بنى عدىِّ بنِ كَعْبٍ فإن لم تَفِ أموالُهم فسَلْ فى قريش ولا تعدهم إلى غيرهم ، انطلق إلى عائشة أمّ المؤمنين وقل : يقرأ عليك عُمَرُ السلام ،ولاتقل أمير المؤمنين،فإنى لست اليومَ للمؤمنين أميراً وقل : استأذن عُمَرُ بنُ الخطّاب بأن يدفن مع صاحبيه[فلما دخل عليها وجدهاتبكى فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه(١)] . فقالت : كنتُ أُريدُهُ لنفسى ، ولأوثرنّ به اليومَ على نفسى . فلما أقبل قال : ما لديك ؟ قال : ما تحبُّ يا أمير المؤمنين ، أَذِنتْ ، فقال : الحمد لله ما كان أهمَّ لى من ذلك ، فإذا أنا قُبِضتُ فاحملونى ثم سَلِّمْ وقل : يستأذن عمر بن الخطاب ، فإن أذِنَتْ فأدخلونى وإلاَّ فرُدُّونى إلى مقابر المسلمين .

ماورد فى قضاء دين عمر ومقداره

وجاءت أمُّ المؤمنين حَفْصة والنساء معها ، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعةً ، واستأذن الرجالُ فولجت داخلاً فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا : أوْصِ يا أمير المؤمنين ، استخْلِفْ . قال : ما أجِدُ أحداً أوْلَى وأحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر ، أو الرَّهْط ، الذين تُوُفِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ ، فسمَّى عليًّا وعثمان

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

والزُّبَير وطَلْحة وسعداً وعبد الرحمن بن عَوْف ، وأشهد يا عبد الله بن عمر وليس لك من الأمر شيء ، وأوصِ الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأوّلين أن يَعْرِف لهم حَقّهم ويَحْفَظ لهم حُرْمَتهُمْ ، وأوْصِيه بالأنصار خيراً أن يقبل من مُحْسنهم وأن يعفو عن مُسيئهم ، وأُوْصِيه بأهل الأنصار فإنهم رِدْءُ الإسلام، وجُبَاة المال ، وغَيْظ العدوّ،ولا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم ، وأوْصِيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادّة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم ويُرَدّ على فقرائهم ، وأوْصِيه بذمّة الله وذِمّة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يُكَلّفُوا إلاّ طاقتهم .

ونقل فى العتبيّة عن مالك : أنّ عُمَر رضى الله عنه مات من اليوم الذى طعن فيه ، انتهى ، وهو يوم الأربعاء كما تقدّم .

وقال ابن قانع : غرّة المحرّم لتمام سنة ثلاث وعشرين ، ودفن مع صاحبيه .

بيع دار القضاء فى الدين وجعلها رحبة للمسجد النبوى

قال ابن النجّار : وباع عبد الله بن عُمَر دار عُمَر — يعنى المعروفة بدار القضاء — .

قال ابن زَبَالة : وكان يقال : دار قضاء دَيْن عُمَر . وفى سنة ثمان وثلاثين ومائة هَدَمَها زياد بن عبيد الله إذ كان والياً لأبى العبّاس وجعلها رَحْبَةً للمسجد .

قال ابن زَبَالة : وفتح الباب إلى جنب الخوخة انتهى .

وبهذا يظهر أنها كانت غربى المسجد الشريف ، قريباً من باب السلام ، وباع مالاً له بالغابة ثم قضى دَيْن أبيه . وكانت خلافته عشر سنين كوامل وستة أشهر وأربعة أيام، فحجّ منها تسعاً وسِنّه ثلاثٌ وستّون سنة . وصلّى عليه صهيب فى المسجد وُجَاهَ المنبر ، ويقال ولده عبد الله ،حكاه رَزِين .

وفى الصحيح من حديث ابن عباس أنه قال : « وضع عُمَر على سريره قبل أن يرفع فلم يرعنى إلاّ رجُلٌ أخذ بمنكبى فإذا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فترحّم على عمر وقال : ماخلفت أحداً أحبّ إلىّ أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كنت كثيراً أسمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر » الحديث .

رؤيا السيدة عائشة أنه سقط فى حجرها ثلاثة أقمار

وروى ابن النجّار عن عائشة: أنها رأت فى المنام أنه سقط فى حِجْرها ـ أو حُجْرتها ـ ثلاثةُ أقمار ، فذكرت ذلك لأبى بكر ، فقال خير .

قال يحيى : فسمعت بعد ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى ودفن فى بيتها قال أبو بكر : هذا أحد أقمارك يابُنَيَّة وهو خيرها .

وقد اُختلف أهل السِّيَر فى صفة القبور المقدّسة على سبع روايات أوردها اُبن عساكر فى تحفة الزائر .

ونقل أهل السِّيَر عن سعيد بن المسيِّب قال : بقى فى البيت موضع قبر فى السَّهْوَةِ الشرقية يُدْفَن فيها عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، ويكون قبره الرابع . قيل : والسَّهْوَةُ : بيتٌ صغيرٌ منحدرٌ فى الأرض قليلا شبيهٌ بالمخدع والخزانة .

وقيل : هو ، كالصُّفَّة تكون بين يدى البيت، وقيل : شبيه بالرَّفّ والطاق يوضع فيه الشىء ، قاله اُبن عساكر .

ونقل عن يحيى بن سليمان بن نَضْلَة قال : قال هارون الرشيد لمالك بن أنسٍ : كيف كانت منزلة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال مالك : كقُرْب قَبْرَيْهما من قبره بعد وفاتهما ، فقال : شَفَيْتنى يامالك .

وقد رَوَى معناه بسنده الحافظ ابن عساكر عن زَيْن العابدين .

ونقل ابن النجّار : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لَقِيَ جنازةً في بعض سكك المدينة فسأل عنها قالوا : فلانٌ الحبشيّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يشق[1] من أرضه وسمائه إلى التُّرْبة التي خُلِق منها » فعلى هذا طينة النبيّ صلى الله عليه وسلم التي خُلِقَ منها من المدينة وطينة أبي بكروعمر رضي الله عنهما . وهي أعلا المراتب فرضي الله عنّا بهما والله أعلم .

---

(١) كذا في نسختي (ا) و (ب) . وفي الأصل : « سيق » .

الفصل الثانى

فى زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

و بعض ماورد فى فضلها

وفيه طرفان :

الطرف الأول

فى زيارة النبي وفضلها

زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وفضلها

روينا من حديث الدارقطنى عن ابن عُمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من زار قبرى وجبت[1] له شفاعتى » ورواه عبد الحق فى أحكامه الوسطى وفى الصغرى وسكت عنه ، وسكوته من الحديث فيه دليلٌ على صحته .

وفى المعجم الكبير للطبرانى : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ جاءنى زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتى كان حقاً علىّ أن أكون له يومَ القيٰمة » وصححه ابن السكن .

ونقل ابن زَبَالة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ زارنى بالمدينة كان فى جِوَارِى يوم القيٰمة » .

وينبغى لكل مسلم أعتقاد كَوْنِ زيارته صلى الله عليه وسلم قُرْبةً للأحاديث الواردة فى ذلك لقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) لأن تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ، ولا يقال : إن أستغفار الرسول لهم إنما هو فى حال حياته وليست الزِّيارة كذلك لما أجاب به بعض الأئمة المُحقِّقين أنّ الآية دلّتْ على تعليق وُجْدَانِ اللهِ توّاباً رحيماً بثلاثة أمور : المجىء ، وأستغفارهم، وأستغفار الرسول لهم .

---

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « حلت » .

(١) هذا الحديث وما شاكله لم يصح منه شىء عند أهل الرواية

وقد حصل أستغفار الرسول لجميع المؤمنين لأنه صلى الله عليه وسلم قد أستغفر للجميع ، قال الله تعالى : (وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ) . فإذا وجد مجيئهم وأستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته .

إجماع المسلمين على استحباب زيارة القبور

وقد أجمع المسلمون على أستحباب زيارة القبور كما حكاه النووي وأوجبها الظاهرية ، فزيارته صلى الله عليه وسلم [مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق ، ولأن زيارة القبر تعظيم ، وتعظيمه صلى الله عليه وسلم][1] واجب ، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء ، وإن كان محل الإجماع على أستحباب زيارة القبور للرجال ، وفي النساء خلاف ، الأشهر في مذهب الشافعي الكراهة .

من نذر زيارة قبره الشريف وجبت عليه

وقد صح أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، فالسفر إليها قُربة لعموم الأدلة ، ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا .

وحكى فيما لو نذر أن يزور قبر غيره وجهين ، نعم يستحب للزائر أن ينوى التقرب بالمسافرة إلى مسجده صلى الله عليه وسلم وشد الرحل إليه والصلاة فيه لئلا يفوته ما دل عليه الحديث .

قال أبن عساكر : ولا يلزم من ترك هذا خلل في زيارته ، وأن يكثر من الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم في طريقه ، فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليردد الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم ، وليسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في داريه .

استحباب الاغتسال لدخول المدينة الشريفة

ويستحب الأغتسال لدخول المدينة الشريفة ، ولبس النظيف من الثياب ،

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

ويستحضر فى قلبه شرف المدينة وفضلها ، وأنها أفضل أمكنة الدنيا عند بعض العلماء بعد مكة ، وعند بعضهم هي أفضل مطلقاً :

أرضٌ مَشَى جبريلُ فى عَرَصَاتِها * والله شَرَّفَ أرضها وسماءها

الموضع الذى ضم أعضاء الرسول المصطفى أفضل بقاع الأرض

وأجمعوا على أن الموضع الذى ضَمَّ أعضاء الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم المشرَّفة أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة كما قاله القاضى عياض وابن عساكر ، والله أعلم .

وقد أُستشكل الإجماع ويؤيِّده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى تفضيل بعض الأماكن على بعض من أن الأماكن والأزمان كلها متساوية ويفضَّلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما .

قال : ويُرَجَّح تفضيلُهما إلى ما ينيل الله العباد فيهما من فضله وكرمه ، والتفضيل الذى فيهما أن الله يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما انتهى ملخصاً .

لكن تَعَقَّبه السُّبكىّ رحمه الله بما حاصله : إن الذى قاله لا ينبغى أن يكون التفضيل لأمرٍ آخر فيهما ، وإن لم يكن عمل لأن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ، وله عند الله من المحبّة ولساكنه ما تقصُرُ العقول عن إدراكه ، وليس ذلك كذلك لمكان غيره ، فكيف لا يكون أفضل وليس محلّ عملٍ لنا لأنه ليس مسجداً ولاله حُكْم المسجد، بل هو مستحقّ للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأيضاً فقد تكون الأعمال مضاعفة فيه باُعتبار أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حىٌّ لما ستعرفه ، وأن أعماله مضاعفة أكثر فى كلّ أحد، فلا يختصّ التضعيف بأعمالنا نحنُ .

قال : ومَنْ فهم هذا أنشرح صدره لما قاله القاضى عياض من تفضيل ما ضمَّ أعضاءَه الشريفة صلى الله عليه وسلم باُعتبارين ، أحدهما : ما قيل أن كلّ أحدٍ

يُدْفَن بالموضع الذى خُلِقَ منه . والثانى : نزول الرحمة والبركات عليه وإقبال الله ، ولو سلم أن الفضل ليس للمكان لذاته ولـكن لأجل من حـلّ فيه صلى الله عليه وسلم .

قال الأئمة : ويستحبّ للقادم للزيارة أن يقصد أوّل دخوله المسجدالشريف ما بين القبر والمنبر فيصلّى فيه ركعتين ثم ينهض للزيارة . قيل : وهذا إذا لم يكن مروره قبالة وجه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فإن كان اُستحبّ الزيارة قبل التحية وهو اُستدراك حسن قاله بعض شيوخنا والله أعلم .

وقوف الناس فى الروضة الشريفة مستقبلين السارية

واعلم أن الناس كانوا إذا أرادوا السلام على النبى صلى الله عليه وسلم قبل إدخال الُحجُرات فى المسجد وقفوا فى الروضة الشريفة مستقبلين السارية التى فيها الصندوق الخشب ، وفوقه قائم من خشب مجدّد ، وهي لاصقة بحائط عمر بن عبد العزيز للحُجْرة من جهة الغرب مستدبرين الروضة وأُسطوان التوبة . روى ذلك عن زين العابدين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وكان إذا جاء يسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عند الأسطوانة التى تلى الروضة ويستقبل السارية التى فيها الصندوق اليوم فيسلّم على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويقول : ها هنا رأس النبى صلى الله عليه وسلم .

كيف كان الناس يسلمون على النبى قبل إدخال الحجرات

ونقل اُبن النجّار عن أبى عَلْقَمة : كان الناس قبل أن يدخـل البيت فى المسجد يقفون على باب البيت يسـلّمون ولم يكن عليه غلق حتى توفيت عائشة رضى الله عنها .

ونقل أهل السِّيَر : أنهم كانوا يأخذون من تراب قبر النبيّ صـلى الله عليه وسلم فأمرت عائشة رضى الله عنها بجِدَارٍ فضُرِب عليهم ، وكان فى الجِدَار[١]

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) والسياق يقتضيها . وفى الأصل : « الدار » وهو خطأ .

كُوَّة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكُوَّة فسُدَّت .

وفى التحفة عن داود بن قيس : أظنّ عرض البيت من الحجرة إلى باب البيت نحواً من ستّ أو سبع أذرع ، وأظن سُمْكه بين الثمان والتسع نحو ذلك ، ووقفت عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب ، وبهذا يُعلَم أن الجمع بما تقدّم صحيح والله أعلم .

فلما أُدْخِل (١) بيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وأُدْخِلت (٢) حُجُرات أزواج النبىّ رضوان الله عليهنّ وقف الناس مما يلى وجه النبىّ صلى الله عليه وسلم واُستدبروا القبلة للسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، فالاُستدبار فى هذه الحالة مستحبّ كما هو فى خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة كما قاله فى التحفة .

وقد أمر بذلك مالك بن أنس حين سأله أبو جعفر المنصـــور العباسىّ : يا أبا عبد الله ، أَسْتَقْبِل القبلة وأدعو ، أم أَسْتَقْبِلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو ، فقال له مالك رحمه الله تعالى : وَلِمَ تصرف وجْهَــك عنه وهو وَسِيلَتُك ووسيلةُ أبيك آدم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيٰمة .

الطرف الثانى

الكشف عن قبر النبي لإحدى المتعبدات

ينبغى للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه فقد روى اُبن النجّار أن امرأةً من المتعبِّدات سألتْ عائشة رضى الله عنها أن اُكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفت فبكت حتى ماتت .

---

(١) كذا فى نسختى (١) و (ب) . وفى الأصل : « اتصل » .
(٢) كذا فى نسختى (١) و (ب) . وفى الأصل : « اتصلت » .

وقد أخبرنى أبو الفضل مفيد الحموىّ أحَدُ خُدّام الحُجْرة المقدّسة أنه جلس على صندوق نُذُور المسجد فى بعض السنين فجاء شخص من الزُّوّار الشيوخ إلى باب مقصورة الحُجْرة الشريفة فطاطأ رأسه نحو العتبة كالآخذ شيئاً ، وكأنه أراد تقبيل العتبة فحرّكته فإذا هو ميّت ، وكان ممن شهد جنازته رحمه الله تعالى .

وقد حكى ابن النجّار ويحيى عن كعب الأحبار قال : ما من فَجْرٍ يَطْلُع إلاّ نزل سبعون ألفا من الملائكة حتّى يَحُفُّوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويُصَلّون على النبيّ صلى الله عليه وسلم حتّى إذا أمْسَوْا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقّت الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة[1] .

قال العلماء : ويجب الأدب مع النبيّ صلى الله عليه وسلم كما فى حياته ، وقد روى عن أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه قال : لا ينبغى رفع الصوت على نبىّ حيًّا ولا ميّتاً ، وروى عن عائشة رضى الله عنها : أنها كانت تسمع صوتَ الوَتَد يُوتَد والمِسْمار يُضرَب فى بعض الدُّور المطيبة بمسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم فترسل إليهم : « لا تُؤْذُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قالوا : وما عمل علىّ بن أبى طالب مصراعَىْ داره إلاّ بالمناصع توقّياً لذلك كما نقله ابن زَبَالة ويحيى .

خشوع الزائر فى المسجد النبوى

وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه أنه قال لرجلين من أهل الطائف : لو كنتما من أهل البلد لأَوْجَعْتُكما ضَرْباً ، تَرْفَعَان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليكن الزائرُ متؤدّباً مُقتصداً فى سلامه بين الجَهْر والإسْرار والله أعلم .

---

(١) وفى صحيح الدارمى نحو هذا وبوب عليه باب ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بعد موته ، ورواه البيهقى فى شعبه كما فى خلاصة الوفاء (الناشر) .

وقد روينا عن عمر بن حفص أن ابن أبى مليكة كان يقول : من أحبَّ أن يقوم وُجاهَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَلْيَجْعَلِ (١) القِنديلَ الذى فى القبلة عند القبر الشريف على رأسه .

وقال صاحبُ التحفة : قال لنا شيخُنا أبو عمرو رحمه الله تعالى : ذكر بعضُ مَنْ أدركنا من علماء وقته بمكةَ المشرّفة أن الزائر المُسلِّمَ يأتى القبرَ المقدّسَ من ناحية قبلته فيقف عند محاذاة تمام أربع أذرع من رأس القبر بعيداً ويجعل القِنديلَ على رأسه .

استبدال المسمار الفضة بالكوكب الدرى

وأعلم أن فى حائط الحُجْرة الشريفة اليومَ فى مثل هذا الموضع مسمار فضة (٢) مضروب فى رُخامةٍ حمْراء فمَنْ قابله كان مُواجِهاً وَجْهَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كما قاله ابن النجّار ، ولا عبرةَ بالقنديل الكبير اليومَ لأن هناك عِدّة قناديل ، ويقف ناظراً إلى أسفل ما يستقبل من جِدار القبر المقدّس غاضَّ الطَّرْف فى مقام الهيْبةِ والإجلال ، ثم يُسلِّمُ ولا يرفع صوته بل يقتصد فيقول : « السّلامُ عليكَ يا رسولَ الله ، السّلامُ عليكَ يانبىَّ الله ، السّلامُ عليكَ يا حبيبَ الله ، السّلامُ عليكَ ياخِيرةَ اللهِ مِنْ خَلقِهِ ، السّلامُ عليكَ ياصفْوةَ الله، السّلامُ عليكَ ياسيّدَ المُرْسَلِينَ وخاتَمَ النّبيّين ، السّلامُ عليكَ يا قائدَ الغرِّ المُحجّلِين ، السّلامُ عليكَ وعلى أهل بَيْتِكَ الطاهِرين ، السّلامُ عليكَ وعلى أزواجِكَ الطاهِراتِ

ما يقوله الزائر المسلم على النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) كذا فى نسختى (١) و (ب) . والسياق يقتضيها . وفى الأصل : « فليحمل » .

(٢) قوله : « مسمار فضة » جعلوا الآن بدل المسمار الفضة المذكور : « الكوكب الدرى » وهو قطعة من الماس كبيرة فى قدر بيضة الحمام ، ويقال إن وزنها مائة واثنان وأربعون قيراطا بلرانط ، موضوعة فى لوح من الذهب مزين بأحجار نفيسة من الماس ، وياقوت وزمرد حولها ، أهداها المرحوم السلطان أحمد خان العثمانى فى حدود سنة ألف وخمسة عشر هجرية (الناشر) .

أمهاتِ المؤمنين ، السّلامُ عليكَ وعلى أصحابك أجمعين ، السّلامُ عليكَ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وسائرِ عبادِ اللهِ الصالحين ، جزاكَ اللهُ يا رسولَ اللهِ أفضلَ ما جازى نبياً ورسولاً عن أمّته ، وصلّى الله عليك كلّما ذكرَكَ الذاكرون ، وكلّما غفلَ عن ذكرك الغافلون . أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأشهدُ أنك عبدُهُ ورسولُهُ ، وأمينُهُ وخيرتُهُ من خلقِهِ ، وأشهدُ أنك قد بلّغْتَ الرّسالة ، وأدّيتَ الأمانة ، ونصحْتَ الأمّة ، وجاهدْتَ فى الله حقّ جهادِهِ .

كيفية الزيارة والسلام على النبي

وحكى المطرىّ : أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن عُمر البَسْكرى[1] حدّثه أن الشيخَ الإمامَ العارفَ أبا الحسن على بن عبد الجبّار الشاذلى الحسنى — رحمه الله ونفع ببركته — قال عند وقوفه تجاه الحجْرة الشريفةِ للسلام كما أخبره بعضُ من كان معه : السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله و بركاته — ثلاث مرات — صلّى الله عليك يارسولَ الله أفضلَ وأزكى وأنْمى وأعلا صلاةٍ صلاّها على أحدٍ من أنبيائه وأصفيائه ؛ أشهدُ يا رسولَ الله أنكَ بلّغتَ ما أُرسلتَ به ، ونَصحتَ أمّتك ، وعَبدتَ ربّك حتّى أتاكَ اليقينُ ، وكنتَ كما نعتَكَ اللهُ فى كتابه الكريم : (لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) فَصَلَوَاتُ اللهِ وملائكتِه وأنبيائِهِ ورُسُلِهِ وجميع خَلْقه من أهل سمٰواته وأرْضه عليك يا رسولَ الله ، السلامُ عليكما يا صاحِبَيْ رسولِ اللهِ يا أبا بكرٍ وعُمر ورحمةُ اللهِ و بركاته ،

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . نسبة إلى بسكرة (بفتح أوله وكافه) وهى مدينة مسورة بالمغرب من نواحى الزاب ، بينها وبين قلعة بنى حماد مرحلتان ، ذات أسواق وحمامات وأهلها علماء على مذهب أهل المدينة ، وبها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل ، وتعرف ببسكرة النخيل (راجع معجم البلدان لياقوت) .

فجزاكما اللهُ عن الإسلام وأهلِه أفضل ما جازى به وَزِيرَىْ نبيّ في حياته ، وعَلَى حُسْنِ خِلافتِهِ في أُمَّته بعدَ وفاتِهِ ، فلقد كُنتما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَزِيرَىْ صِدْقٍ في حياته ، وخَلَفْتُماهُ بالعَدْل والإحسان بعد وفاته ، فجزاكما اللهُ عن ذلك مُرَافَقَتَهُ في جَنَّته ، وإيَّانا معكُما برحمته ، إنه أرحمُ الراحمين ، اللهمَّ إنى أُشهِدُك وأُشهِدُ رسولَك وأبا بكرٍ وعُمَر ، وأُشهِدُ الملائكةَ النازلين على هذه الرَّوْضَةِ الكريمةِ والعاكِفين عليها ، إنى أشهَدُ أن لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَه لا شريك له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، وأشهدُ أن كلّ ما جاء به من أمْرٍ ونَهْيٍ وخَبَرٍ عمّا كانَ ويكونُ فهو حقٌّ لا كَذِبَ فيه ولا افْتِرَاء ، وإنّى مُقِرٌّ لك يا إلٰهى بجنايَتِى ومَعْصِيَتِى في الخَطْرة والفِكْرة والإرادةِ والغَفْلةِ ، وما استأْثَرْتَ به عَنّى مما إذا شئتَ أخذْتَ به ، وإذا شئتَ عفَوْتَ عنه مما هو مُتَضَمِّنٌ للكُفْر أو النِّفاقِ أو البِدْعةِ أو الضَّلالةِ أو المَعْصِيَةِ أو سوء الأدب معك ومع رسولِكَ ومع أنبيائك وأوليائك من الملائكة والجنّ والإنسِ وما خَصِصْتَ بشيء في مُلْكِكَ فقد ظلمتُ نفسى بجميع ذلك فاغفِرْ لى وامْنُنْ عَلَىّ بالذى مَنَنْتَ به عَلَى أوليائك فإنّك المَنّانُ الغفورُ الرحيم .

ومَنْ أكمله أيضا : السلام عليك يا خاتَمَ النبيِّين ، السلامُ عليك ياشفيعَ المُذْنبين ، السلام عليك يا إمامَ المتّقين ، السلامُ عليك يا رسولَ ربِّ العالمين ، السلامُ عليك يا قائدَ الغرّ المُحَجَّلين ، السلامُ عليك يامِنَّةَ اللهِ على المؤمنين ، السلامُ عليك يا طَهَ والسلامُ عليك يا يَس ، السلامُ عليك وعلى أهلِ بيتِكَ الطَّيِّبين الطاهرين ، السلامُ عليك وعلى أزواجك الطاهراتِ المبرّآتِ أُمّهات المؤمنين ، السلامُ عليك وعلى أصحابك أجمعين ، اللهمَّ آتِهِ نهايةَ ما ينبغى أن يسألَهُ السائلون ، وخُصَّهُ بالمقام المحمودِ ، والوَسيلةِ والفَضيلة والدرجة الرفيعة ، وبغاية ما ينبغى أن يأمله الآمِلون آمين . ومن ضاق وقتَه عن قول ذلك أو عن حِفْظِهِ فليقُلْ ما تيَسّر .

ما ورد عن الإمام مالك فى اختصار الزيارة

وفى التُّحفة : أن ابن عُمَرَ وغيْرَهُ من السَّلَف كانوا يقتصرون ويُوجِزُون فى هذا جِداً ، فعن مالك إمام دار الهجرة ، وناهِيك به خبره بهذا الشأن ، من رواية ابن وهب عنه يقول المسلم : السلامُ عليك أيها النبىُّ ورحمةُ اللهِ وبركاته . وروينا عن نافع عن ابن عُمَرَ أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجدَ ثم أتى القبرَ المُقدَّسَ فقال : السلامُ عليك يا رسولَ اللهِ ، السلامُ عليك يا أبا بَكْرٍ ، السلام عليك يا أبتاه .

وينبغى أن يدعُوَ وأن لا يتكلَّفَ سَجْعاً فإنه قد يُؤَدِّى إلى الإخلال بالخشُوع ورِقَّة القَلْب .

وحَكَى جماعةٌ عن العُتْبىِّ ــ واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عُتْبة بن أبى سُفْيان صَخْر بن حَرْب توفى سنة ثمان وعشرين ومائتين يكنى أبا عبد الرحمن ــ وذكرها ابن النجّار وابن عساكر وابن الجَوْزى فى مثير العَزْم الساكن عن محمد بن حرب الهلالى قال : أتيتُ قَبْرَ النبىِّ صلى الله عليه وسلم فزرتُهُ وجَلَسْتُ بحِذَائِهِ فجاء أعرابىٌّ فزاره ثم قال : يا خَيْرَ الرُّسُلِ إنَّ اللهَ أنزَلَ عليك كتاباً صادقاً قال فيــه : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً) وقد جِئْتُك مُسْتَغفِراً من ذَنْبى ، مُسْتَشْفِعاً بك إلى ربىِّ ، وأنشأ يقول :

توسل أعرابى بالنبى عند قبره

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بالبِقَاعِ أَعْظُمُهُ * فَطَابَ من طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكَمُ
نَفْسى الفِدَاء لِقَبْرٍ أنْتَ ساكِنُهُ * فِيهِ العَفَافُ وفيهِ الجُودُ والكَرَمُ

ثم استغفرَ وانصرَفَ فرقدتُ فرأيْتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى نومى وهو يقول : « الْحَقِ الرَّجُلَ وَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللهَ قَدْ غفرَ لهُ بشفاعَتى » فاستيقظتُ فخرجتُ أطلبه فلم أجده .

الدعاء للنبي عند قبره

وبالإسناد إلى ابن أبي فُدَيك قال : سمعتُ بعضَ مَنْ أدركتُ يقول : بَلَغنا أنه مَنْ وقف عند قَبْرِ النبيّ صلى الله عليه وسلم فتلا هـذه الآية : (إنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) وقال : صلّى اللهُ عليك يا محمدُ حتَّى يقولها سبعين مرَّةً ناداه مَلَكٌ : صلّى اللهُ عليكَ يا فلان لم تسقُط لكَ حاجةٌ .

والأوْلَى أن يُنادى : يا رسول الله ، وإن كانت الروايةُ يا محمد تأدُّباً ، وإن أوصاهُ أحدٌ بإبلاغ السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فليقل : السّلامُ عليكَ يا رسول الله من فلان ، ثم ينتقل عن يمينه قَدْرَ ذراع فيُسَلِّمُ على أبي بكر رضى الله تعالى عنه لأن رأسَه بحِذَاء مَنْكِب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به يحيى ورَزِين وعليه الأكثر ، ثم ينتقل أيضاً عن يمينه قَدْرَ ذراع فيُسَلِّمُ على عمر رضى الله تعالى عنه لأن رأسَه بحِذَاء مَنْكِبِ أبي بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه ، ومما يقوله إن شاء الله :

السّلامُ عليك يا خليفة سيِّد المرسلين ، السّلامُ عليكَ يا مَنْ أيَّدَ اللهُ به يومَ الرِّدّة الدِّين ، السّلامُ عليكَ يا مَنْ أنفقَ في ذاتِ اللهِ ورسولِه مالَهُ قليلَهُ وجَليلَه ، ولم يترُكْ لنفسه وأهلِه إلاّ اللهَ ورسولَهُ ، السلامُ عليكَ يا أبا بكرٍ الصِّدِّيق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانيه في الغار ، اللّهمَّ ارْضَ عنه وارْضَ عنّي به .

ومما يُسَلِّمُ به على عُمَر : السّلامُ عليك يا أمير المؤمنين ، السّلامَ عليكَ يامَنْ أيَّدَ اللهُ به الدِّين وكَمَلَ به الأربعين ، السلامُ عليكَ يا أمير المؤمنين عُمَرَ الفارُوقَ جزاكَ الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ، اللّهُمْ ارْضَ عنهما وارْضَ عنّي بهما وانْفَعْنِي بهذه الزيارة ، السّلامُ عليكَ ورحمةُ الله وبركاته .

ثم يرجع إلى موقفه الأوّل قُبَالَةَ وَجْهِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرُّعَ ويجدِّد التَّوْبةَ في حَضرته الشريفة ، ويسأل الله بجاهه أن

يجعلها تَوْبَةً نَصُوحاً ، ومَوْقِفُ المسلمِ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم اليومَ عَرَصَةُ بيت أمِّ المؤمنين حَفْصَةَ رضى الله عنها .

وقد سبق أن بيوتَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كانت مُطِيفَةً بالمسجد إلاّ من جهة المغرب فلم يكن فيها شىء .

استحباب قصد الآثار والمساجد بعد الزيارة

ويستحبّ بعد الزّيارة قَصْدُ الآثارِ والمساجدِ التى صَلّى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُتابعةً للنبيِّ صلى الله عليه وسلم والْتماساً لبركته ، وعلى فِعْل ذلك واستحبابه أجمع المسلمون ، ولقد أحسن كُثَيِّرٌ فى قوله :

خَلِيلَيَّ هــذا رَبْعُ عَزَّةَ فاعْقِلاَ * قَلُوصَيْكُما ثُمَّ انْزِلاَ حَيْثُ حَلّتِ
ومُسَّـا تُرَاباً طَالَمَا مَسَّ جِلْدَهَا * وظِـلاًّ و بيتاً حَيْثُ باتَتْ وظَلَّتِ
ولاَ تَيْأَسَا أن يَمْحُوَ اللهُ عنكُما * ذُنُوباً إذا صَلَّيْتُما حَيْثُ صَلّتِ

تنبيهان

أحدهما : إن التَّوَسُّلَ والاستغاثةَ والتَّشَفُّعَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم واقعٌ فى كلِّ حال قبـلَ خَلْقِهِ فى مُدَّة حياته فى الدنيا و بعدَ مَوْته فى مُدَّة البَرْزَخ و بعدَ البَعْثِ فى عرَصَات القيٰمة .

(الحال الأوّل) : رواه جماعةٌ منهم الحاكم فى المستدرك من حديث عُمَرَ بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وصحّح إسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

اقتراف آدم الخطيئة وتوسله بمحمد

لما اقترفَ آدمُ الخطيئة قال : « يا ربِّ أسألكَ بحقِّ محمدٍ لما غفرْتَ لى ، فقال الله : يا آدمُ ، وكيفَ عرفتَ محمداً ولم أخْلُقْهُ ؟ قال : يا ربِّ لأنك لمـا خلقتنى بيدك ونَفَخْتَ فِىَّ من رُوحِكَ رفعتُ رأسى فرأيتُ قوائمَ العرش مكتو باً عليها : (لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسول الله) فعرفتُ أنك لم تُضِـفْ إلى اسمكَ إلاَّ أحبَّ الخلقِ إليكَ ، فقال اللهُ تبارك وتعالى : صدقْتَ يا آدمُ إنه لأحَبُّ الخلقِ إلىَّ إذ

قول المؤلف تنبيهان الخ الحق خلاف ماذكره ـ التوسل بالذوات لم يشرع وكذلك طلب الشفاعة من النبى هو فى الدنيا ـ والاستغاثة بغير الله محرمة فى كل دين بالنصوص وهذا المقام لا يسع التحقيق

سألتنى بحقه فقد غفرتُ لك ، ولولا محمدٌ ما خلقتكَ » . وذكره الطبرانىّ وزاد فيه : « وهو آخرُ الأنبياء من ذُرِّيتك » .

التوسل بالنبى بعد خلقه فى مدة حياته

(الحال الثانى) : التوسُّلُ به صلى الله عليه وسلم بعد خَلْقِهِ فى مُدَّة حياتِهِ ، فمن ذلك ما رواهُ جماعةٌ منهم النسائىّ والترمذىّ فى جامعه فى كتاب الدعوات عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريرَ البصر أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : ادْعُ اللهَ لى أن يعافينى ؛ قال : « إن شئتَ دعوتُ ، و إن شئتَ صبرْتَ فهو خيرٌ لك » قال : فادعه ؛ قال : فأمَرَهُ أن يتوَضَّأَ فيُحْسِنَ وضوءهُ ، ويدعو بهذا الدُّعاء : « اللّهمَّ إنى أسألكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ محمدٍ نبىِّ الرحمة ، يا محمدُ إنى توجَّهتُ بكَ إلى ربِّى فى حاجَتِى لتُقْضَى لى ، اللهمَّ شَفِّعْهُ فِىَّ » قال الترمذىّ : هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه ، وصحّحه البَيْهَقِىّ وزاد : « فقام وقد أبصر » ، وفى رواية : « ففعل الرجلُ فبرأ » .

التوسل بالنبى بعد موته

(الحال الثالث) : التوسُّلُ به صلى الله عليه وسلم بعد موته لما رواه الطبرانىّ فى معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلِفُ إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجةٍ له ، فكان لا يلتفتُ إليه ولا ينظرُ فى حاجتِهِ ، فلَقِىَ ابنَ حنيف فشكا إليه ذلك ، فقال عثمان بن حنيف : ائْتِ الميضاة فتوضأْ ثم ائْتِ المسجدَ فصلِّ ركعتين ثم قل : « اللهمَّ إنى أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم نبىِّ الرحمة ، يا محمد إنِّى أتوجَّه بك إلى ربى فتقضى حاجتى » وتذكُرُ حاجتَكَ ، فانطلقَ الرجلُ فصنَعَ ما قال له ، ثم أتَى بابَ عثمان بن عفّان فجاءه البوّاب فأخذ بيده ، فأدخله على عثمان بن عفّان فأجلسه معه على الطِّنْفَسَة فقال : ما حاجَتُكَ ؟ فذكرَ حاجَتَه فقضاها له ثم قال له : ما ذكرتُ حاجتك

حتى كان[١] الساعة وقال : ما كان لك من حاجةٍ فاذكرها ، الحديث .

وقد روى عن أبي الجوزاء[٢] أنه قال : قُحِط أهلُ المدينةِ قَحْطاً شديداً فشكَوْا إلى عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت : أدخلوا فانظروا قَبْرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كُوَّةً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ ففعلوا فمُطِرُوا حتى نبت العُشْبُ وسَمِنَتِ الإبل حتى تفتّقت من الشَّحْم فسُمّىَ عام الفتق .

واعلم أن فَتْحَ الكُوَّة عند الجَدْبِ سُنَّة أهلِ المدينةِ حتى الآن ، يفتحون كُوَّةً فى أسفل قبة الحُجْرة المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقْفُ حائلا بين القبر الشريف وبين السماء كما سبق فى صِفَة الحُجْرة .

وأما التوسُّل به صلى الله عليه وسلم فى عرَصَات القيْمة فمما قام عليه الإجماع وتواترتْ به الأخبار فى حديث الشفاعة .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أنه قال : « أوْحَى الله تبارك وتعالى إلى عيسى عليه السلام : يا عيسى آمِنْ بمحمدٍ ومُرْ مَنْ أدرَكَهُ من أمّتك أن يؤمنوا به فلولا محمدٌ ما خلقتُ آدمَ ، ولولا محمدٌ ما خلقتُ الجنةَ والنارَ ، ولقد خلقتُ العرشَ على الماء فاضطربَ فكتبتُ عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن » . وقد صححه الحاكم .

ثم إنّ التوسُّل به صلى الله عليه وسلم لا فرق فيه بين أن يعبَّر عنه بلفظه أو الاستغاثة أو التشفُّع أو النَّجوة أو التوجُّه لأنها من الجاهِ والوَجاهة ، ومعناه علوُّ القَدْر والمنزلة ، وقد يُتوسَّلُ بصاحب الجاهِ إلى من هو أعلى منه . والاستغاثة :

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « كانت » .

(٢) هو أوس بن عبد الله الربعى أبو الجوزاء البصرى ، روى عن أبى هريرة وعائشة وابن عباس . وفى الأصل : « ابن الجوزى » . وهو خطأ .

طلب الغَوْث فالمستغيثُ يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغَوْث منه أو من غيره و إن كان أعلى منه .

التنبيه الثانى

فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

حياة الأنبياء

اُعلم أن كتبَ السنّة متضمّنة لأحاديثَ دالّةٍ على أن رُوحَ النبيّ صلى الله عليه وسلم تُرَدُّ عليه ، وأنه يسمعُ و يَرُدُّ عليهم السلامَ ، فلنذكر طرفاً من ذلك فنقول : قد روى البيهقى وغيرُهُ من حديث أَنَسٍ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء صلواتُ الله عليهم أحياء فى قبورهم يُصَلُّون » .

وفى رواية : « إن الأنبياء لا يُتركونَ فى قبورهم بعدَ أربعين ليلةً ولكنهم يُصَلُّون بين يدَي الله ثم يُنْفَخُ فى الصُّور » ، وله شواهدُ فى الصحيح منها قوله عليه الصلاة والسلام : « مَرَرْتُ بموسى وهو قائمٌ يُصَلِّى فى قَبْرِه » .

وفى حديث أبى ذرٍّ فى صِفَة المعراج : « أنه لَقِيَ الأنبياء فى السموات فكلَّموهُ وكلّمهم » ، و بسند البيهقى إلى أوْس بن أوْس قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ أيّامِكم يَوْمُ الجمعة ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه قُبضَ ، وفيه النَّفْخةُ ، وفيه الصَّعْقَةُ ، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم مَعْرُوضةٌ علَىّ ، قالوا : وكيف تُعْرَضُ صلاتُنا عليك وقد أرِمْتَ — يقولون بَلِيتَ — فقال : إنّ الله تبارك وتعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » أخرجه أبو داود .

وروى البيهقى أيضاً من حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ أقربكم منّى يومَ القيٰمة فى كلّ مَوْطِنٍ أكثرُكم علىّ صلاةً فى الدنيا

فمن صلى علىّ يومَ الجمعة وليلةَ الجمعة قضى الله له مائةَ حاجة ،سبعين[١] من حوائج الآخرة ، وثلاثين من حوائج الدنيا ، ثم يوكّل الله بذلك ملكاً يدخله فى قبرى كما تدخل عليكم الهدايا يخبر من صلّى عليه باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبته عندى فى صحيفة بيضاء .

وفى الحديث : « فإنّ صلاتكم تبلغُنى أينما كنتم » وحديث : « ما من أحدٍ[٢] يسلّم عَلَىّ إلاّ ردّ الله عَلَىّ رُوحِى حتّى أرُدّ عليه » قال البيهقى : وإنما أراد — والله أعلم — إلاّ وقد يَرُدُّ اللهُ عَلَىّ رُوحِى حتّى أرُدّ [عليه[٣] ،و] حديث البخارى ومسلم : « فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش فلا أدرى أكان فيمن صَعِقَ فأفاق قبلى أم كان ممن استثنى اللهُ عزّ وجلّ » قال البيهقى : وهذا إنما يصحّ عَلَى الله عزّ وجلّ يردُّ عَلَى الأنبياء — صلوات الله عليهم — أرواحَهُمْ فهم أحياء عند ربهم كالشهداء فإذا نُفِخَ فى الصور النفخة الأولى صَعِقُوا فيمنْ صَعِقَ ثم لا يكون ذلك موتاً فى جميع معانيه إلاّ فى ذهاب الاستشعار فإن كان موسى ممن استثنى الله تبارك وتعالى بقوله :(إلاّ مَنْ شاء الله) فإنه لا يذهب استشعاره فى تلك الحالة فيحاسبُهُ بصعقة يوم الطور ، ويقال: إن الشهداء ممن استثنى الله تعالى.

وفى حديث أنَس أنه بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء — عليهم السلام — فأمَّهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وحديث الإسراء من أعظم الأدلّة عَلَى ذلك ، ولا ينكر حلولهم فى أوقات بمواضع مختلفات لجواز الإسراء بهم أيضاً لا سيما وقد وَرَدَ الخبرُ الصادقُ بذلك .

---

(١) وردت كلمة « حاجة » هنا فى الأصل زائدة ، وهى مقحمة من الناسخ .
(٢) كذا فى نسختى (ا)و(ب) . وفى الأصل : « ما من مسلم . . . الخ » :
(٣) التكملة من نسخة(ا)و(ب) .

قول النبي كأنى أنظر إلى موسى

وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بوادى الأزرق فقال : « كأنى أنظر إلى موسى هابطاً من الثَّنِيَّة وله جُؤَارٌ إلى الله بالتلبية » ثم أتى عَلَى ثَنِيَّة هرشى فقال : « كأنى أنظر إلى يُونُس بن مَتَّى عَلَى ناقة حمراء جعدة عليه جُبَّةٌ من صوف خِطَام ناقته خَلَبَه وهو يُلَبِّى » وفيه : « كأنى أنظر إلى موسى صلى الله عليه وسلم واضعاً إِصْبَعَيْهِ فى أُذُنيه » .

سماع سعيد بن المسيب الأذان فى قبر النبي

وحكى ابن زَبَالة ويحيى وابن النجّار أن الأذان فى المسجد تُرِكَ فى أيّام الحرَّة ثلاثة أيّام وخرجَ الناسُ وسعيدُ بن المسيِّب فى المسجد ؛ قال سعيد : استوحشتُ فدنوتُ إلى القبر فلما حضرت الظهر سمعتُ الأذان فى القبر فصلّيتُ ركعتين ، ثم سمعت الإقامة فصلّيتُ الظهر ، ثم مضى ذلك الأذان والإقامة فى القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذّنون فسمعت آذانهم فما سمعتُ الأذان فى قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم فرجعت إلى مجلسى الذى كنت فيه ؛ فإن قيل :[١] كيف يحُجُّون ويلبُّونَ ويُصَلُّونَ وهم أمواتٌ فى الدار الآخرة وليست دَارَ عَمَلٍ ؟ فالجواب أنهم كالشهداء بل أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يَحُجُّوا ويُصَلُّوا ونقول[٢] : إن البرزخ ينسحبُ عليه حُكْمُ الدنيا فى استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور ، وإن المنقطع فى الآخرة إنما هو التكليف ، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذُّذ بها ، ولهذا إنهم يُسَبِّحُونَ ويَقْرَأُون القرآن ، ومِنْ هذا سجودُ النبىّ صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة وثبوتُ الحياةِ للشهيد بقوله تعالى : (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « قلت » .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « ويقال » .

اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فالشهداء أحياء حقيقةً عند جمهور العلماء ، وهل ذلك للرُّوح فقط ، أو للجسد معاً ، بمعنى عدم البلَى له ، فيه قولان ، وقد ذكر القُرْطبي أن أجساد الأنبياء لا تُبلَى .

ونقل ابنُ زَبَالة عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَلَّمه رُوحُ القُدس لم يُؤْذَنْ للأَرْضِ أن تأكلَ من لحمه » .

الشهداء لا تأكل لحومهم الأرض

وقد صَحّ عن جابر أن أباه وعمرو بن الجموح وكانا ممّن اُستُشْهِدَا بأُحُدٍ ودُفِنَا فى قَبْرٍ واحِدٍ حتّى حفر السيلُ قبرهما فوُجِدَا لم يتغيّرَا وكان أحدُهما قد جُرِحَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جُرْحِهِ فدُفِنَ وهو كذلك ، فأُمِيطَتْ يَدُهُ عن جُرْحِهِ ثم أُرْسِلَتْ فرَجَعَتْ كما كانت ، وكان بَيْنَ ذلك وبين أُحُدٍ سِتٌّ وأربعون سنة ، وإذا ثبَتَتِ الحياةُ للشهيد ثبَتَتْ للنبىّ صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى [ونَبِيُّنَا](١) صلى الله عليه وسلم [شهيد(١)] أيضاً لأكله يومَ خَيْبَرَ من شاةٍ مسمومةٍ سُمًّا قاتلاً من ساعته حتى مات منه بِشْر بنُ البَرَاء وصار بقاؤُه صلى الله عليه وسلم معجزةً فكان أَلَمُ السُّمِّ يتَعَاهَدُهُ إلى أن مات به وقال صلى الله عليه وسلم فى مرض موته : « ما زالتْ أُكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَادونى حتى كان الآن قطعت أَبْهَرِىَ » .

موت النبى من أثر السم

والأَبْهَرَان : عِرْقَانِ يخرُجَانِ من القلب يتشعَّبُ منهما الشَّرَايين، حكاه الجوهرى. قال العلماء : فجَمَعَ اللهُ له صلى الله عليه وسلم بذلك بين النبوّة والشهادة . وأيضاً فهذه الرُّتبة إنما حصلت للشهداء أجْراً على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم هو الذى سَنَّ لنا ذلك ودعانا إليه (وهدانا(٢) بإذن الله وتوفيقه .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . ووردت فى الأصل هكذا : « ودعانا إليه وهذا بأن الله » ولا يخفى ما فى هذه العبارة من تحريف وتشويه .

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى كان له من الأجرِ مثل أُجُور مَنْ يَتْبَعُه لا ينقصُ ذلك من أُجورهم شيئاً ، ومَنْ دعَا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَنْ يَتْبَعُه لا ينقُصُ ذلك من آثامهم شيئاً» فكلُّ أجرٍ حَصَلَ للشهيد حَصَلَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم بسببه مثلُهُ والحياةُ أجرٌ فيحصُلُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلُها زيادة على ما لَهُ صلى الله عليه وسلم من الاجْر الخاصِّ من نفسه على هدايته للمهتدى ، وعلى ما لَهُ من الأَجْر على حسناتِه الخاصَّةِ من الأعمال والمعارف والأحوال التى لا تصلُ جميعُ الأمة إلى عَرْف نَشْرِها ، ولا يبلُغُون مِعْشارَ عُشْرِها ، فجميعُ حَسَناتِ المسلمين وأعمالِهم الصالحةِ فى صحائف النبيِّ صلى الله عليه وسلم زيادةً على ما لَهُ من الأجْر مع مضاعفةٍ لا يحصُرها إلاَّ اللهُ ، لأن كلَّ مهتدٍ وعاملٍ إلى يوم القيمة يحصُل له الأجْر ، ويتجدَّدُ لشيخه فى الهداية مثل ذلك الأجر ، ولشيخ شيخِهِ مِثْلاَه ، وللشيخ الثالثِ أربعةٌ ، وللرابع ثمانيةٌ ، وهكذا تضْعُف كلُّ مَرْتبةٍ بعدد الأجورِ الحاصلةِ بعدَهُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم . وبهذا يُعلَم تفضيلُ السَّلَف على الخلف ، فإذا فُرِضَت المراتبُ عشرة بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم كان للنبيِّ صلى الله عليه وسلم من الأجْر ألفٌ وأربعةٌ وعشرون ، فإذا اهتدى بالعاشر حادى عشر صار أجْرُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ألفَيْن وثمانيةً وأربعين ، وهكذا كلما ازدادَ واحدٌ يتضاعف ما كان قبله أبداً كما قاله بعضُ الأئمة المحقِّقين ، وبهذا يُعْلَمُ أن الحياةَ التى نُثْبِتُها للنبيِّ صلى الله عليه وسلم زائدةٌ على حياةِ الشهيدِ لما قلناه .

وقد قال صاحب التلخيص من الشافعيّة أن ما لَهُ عليه الصلاة والسلام بعد موته قائمٌ على نَفقته ومِلْكِهِ وعَدَّهُ من خصائصه .

ونقل إمامُ الحرَمَيْن عنه أن ما خلَّفَهُ بقى على ما كان فى حياتِه ، فكان

ينفقُ أبو بكر منه على أهله وخَدَمِهِ وكان يَرَى أنه باقٍ على مِلْكِ النبيّ صلى الله عليه وسلم فإنّ الأنبياء أحياء وهذا يقتضى إثبات الحياة فى أحكام الدنيا ، وذلك زائد[1] على حياةِ الشهيدِ ، والقرآن ناطقٌ بموته صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال عليه الصلاة والسلام : « إنى مَقْبوضٌ » وقال الصِّدِّيق : « فإنّ محمداً قد مات » وأجمع المسلمون على إطلاق ذلك ، وإذا ثبت هـذا القولُ فالوجْهُ ما قاله الشيخ تَقِيُّ الدِّين السُّبكى رحمه الله : إنّ ذلك

إحياء النبى بعد الموت

الموتَ غـيرُ مُسْتَمِرّ وأنه صلّى الله عليه وسلم أُحْيِيَ بَعْدَ الموتِ ويكون انتقالُ المِلْكِ ونَحْوِهِ مشروطاً بالموت المستمرّ وإلاّ فالحياةُ الثـانيةُ حَيَاةٌ أُخْرَوِيّةٌ ، ولا شكّ أنها أَعْلَى وأكملُ من حياةِ الشهيدِ وهى ثابتةٌ للرُّوح بلا إشكال ، والجسدُ قد ثبت أنّ أجسادَ الأنبياء لا تُبْلَى ، وعَوْد الرُّوح[2] إلى الجسد ثابتٌ فى الصحيح لسائر المَوْتَى فضلاً عن الشُّهَدَاء، فضلاً على الأنبياء ؛ وإنما النظر فى استمرارها فى البَدَن ، وفى أنّ البَدَنَ يصير حياتها[3] كحالتِهِ فى الدنيا ، أو حيّاً بدونها ، وهى حيث شاء الله تعالى ، فإن ملازمةَ الحياة للرُّوح أمرٌ عادىّ لا عقلىّ ، فهذا مما يُجَوِّزُهُ العقلُ فإنْ صَحّ به سَمْعٌ اتُّبِـع ، وقد ذكره جماعةٌ من العلماء ويشهد له صلاةُ موسى فى قبره ، فإن الصلاة تستدعى جسداً حياً ، وكذلك الصفاتُ المذكورة فى الأنبياء ليلة الإسْرَاء، كُلُّها صِفَاتُ الأجسام. قال : ولا يلزم من كَوْنها حياةً حقيقيّةً أن تـكون الأبدان معها كما كانت فى الدنيا

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « زيادة » .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) والسياق يقتضيها .وفى الأصل « الأرواح » .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وهى تتفق مع السياق . وفى الأصل : « حياته » .

من الاُحتياج إلى الطعام والشراب وغـير ذلك من صفات الأجسام التى نشاهدها ، بل يكون لهـا حُـكْمٌ آخَرُ ، فليس فى العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقية لهم .

أما الإدراكاتُ كالعلم والسماع فلا شكَّ أن ذلك ثابتٌ لهم بل ولسائر الموتى . انتهى ملخصا ، وهو مما يَعِزُّ وجودُهُ وفى مثله فَلْيَتَنَافَسِ المتنافسون والله أعلم .

الفصل الثالث

فى ذكر البقيع وفضله ومن يعرف فيه من الصحابة

رضوان الله تعالى عليهم ثم ذكر مقبرة بنى سلمة وفضلها

ذكر البقيع وفضله ومن يعرف فيه من الصحابة

رويناً فى صحيح مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتُها يخرج آخِر الليل إلى البَقِيع فيقول: « السلامُ عليكم دار قوم مؤمنين وآتا كم ماتُوعدُون غداً مؤجلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بَقِيع[1] الغَرْقَد » قيل : والغَرْقَد[2] (بالغين المعجمة) نَبْتٌ فيه والله أعلم .

وفيه أيضاً عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: ألا أُحدِّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنّى؟ قلنا بلى ، قالت : « لما كانت ليلتى التى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عندى أنقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره عَلَى فراشه فاضطجع فلم يلبث إلاّ رَيْثَما ظنّ أنْ قد رَقَدْتُ فأخذ رداءه رُوَيْداً وانتعل[3] رُوَيْداً وفتح البابَ فخرج ثم أجافه رُوَيْداً وجعلتُ دِرْعِى فى رأسى واختمرْتُ وتقنّعتُ إزارِى ثم انطلقتُ عَلَى إثره حتى جاء البَقِيعَ فقال فأطال القيامَ ، ثم رفع يديه ثلاث مرّاتٍ انحرف فانحرفْتُ فأسرعَ فأسرعْتُ فهَرْوَلَ فهَرْوَلْتُ فأحضر فأحضرتُ فسبقتُه فدخلتُ فليس إلاّ أن

---

(١) بقيع الغرقد : مقبرة المدينة .

(٢) الغرقد : شجر عظام أو هى العوسج إذا عظم واحده غرقدة (قاموس)

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب). وفى الأصل : « وانتقل» بالقاف.

اُضطجعتُ فدخل فقال : مالكِ يا عائشةُ حَشْيا رابية ؟ ، قالت : قُلتُ لا شَيْءَ ، قال : لتخبرينى أو ليخبرنى اللطيفُ الخبيرُ ، قالت : قلت يارسول الله ، بأبى أنتَ وأُمّى فأخبرته ، قال : فأنتِ السَّوادُ الذى رأيتُ أمامِى ، قلتُ نعم ، فلهَزَنى فى صَدْرِى لَهْزَةً أوْجَعَتْنِى ، ثم قال : أظننتِ أن يحيفَ اللهُ عليكِ ورسولُهُ ، قالت : مهما يكتم الناس يعلمه الله ، قال نعم ، قال : فإنّ جبريلَ أتانى حين رأيْتِ فنادانى فأخفاه منكِ [فأجَبْتُه(١)] فأخفيتُه منكِ ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابَكِ وظننتُ أنْ قد رَقَدْتِ فكرهتُ أنْ أُوقظَكِ وخشيتُ أن تَسْتَوْحِشِى فقال : إنّ ربَّكَ يأمرُكَ أن تأتِىَ أهلَ البَقيع فتستغفرلهم ، قالت : قلت كيف أقول لهم يارسول الله؟ قال : قولى : السلامُ عليكم أهلَ الدّيار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين وإنّا – إن شاء الله – بكم لاحقون » . قيل : واللّهزُ : الضَّرْبُ بجميع اليدفى الصدر ، مثل الُلَّكز ، ويروى : فَلَهَدَنِى (بالدال) وهو الدَّفعُ والله أعلم .

وروى ابنُ النجّار عن أبى عاصم قال : زعم مولاى قال : حدّثتنى أمّ قيس بنت محصن قالت : لو رأيتنى ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ بيدى فى سِكَكِ المدينة حتى اُنتهى إلى البَقيع – بَقِيع الغَرْقَد – فقال : يا أمّ قيس ، قلت : لَبّيْكَ يارسولَ الله وسَعْدَيْكَ ، قال : تَرَيْنَ(٢) هذه المقبرة ؟ قلت : نعم يارسول الله ، قال : يُبْعَثُ منها يوم القيٰمة سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنّة بغير حساب .

يبعث من البقيع مائة ألف على صورة القمر ليلة البدر

وبسنده إلى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب).

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « رأيت » .

قال « أنا أوّلُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرضُ فأكون أوّلَ مَنْ يُبْعَثُ فأخرج أنا وأبو بكر وعُمَر إلى [أهل[١]] البقيع فيبعثون ثم يُبعثُ أهلُ مكة فأحشر بين الحَرَمين » و به إلى عهد عبد الملك يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَقْبُرَتان يُضيئان لأهل السماء كما تضيء الشمسُ والقمرُ لأهل الدنيا البقيعُ : بَقيعُ المدينة ، ومَقْبُرَة بعسقلان » و به إلى كعب الأحبار قال : نجدُها فى التوراة كفتةً محفوفةً بالنخيل وموكّل بها ملائكة كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكَفَؤُها فى الجنّة ، يعنى البقيع .

ونقل ابن زَبَالة من حديث جابر بن عبد الله أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « يَبعثُ الله من هذه المَقْبُرَة واسمها كُفْتَة مائة ألف كلُّهم على صورة القمر ليلةَ البدر لا يَسْتَرْقُونَ ولا يَرْقُونَ ولا يَتَدَاوَوْنَ وعلى ربهم يتوكلون » . والله اعلم .

و به إلى كعب القُرَظيّ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من دفنّاه فى مقبرتنا هذه شَفِعنا له » .

واُعلم أن كثرة الصحابة ممن توفّىَ فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفونون بالبقيع ، وكذلك سادات أهل البيت والتابعون .

ونقل فى مدارك القاضى عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرّقوا فى البلدان والله أعلم . وكذلك أمهات المؤمنين غير خديجة رضوان الله عليهنّ فإنها بمكة ، وميمونة فإنها بسَرِف ، قيل : وهو الموضع الذى بنى بها النبيّ صلى الله عليه وسلم فيه سنة سبع فى ذى الحجة ، وتوفيت سنة تسع وثلاثين بسَرِف أيضاً والله أعلم . ولا يعرف من قبورهم اليوم إلا قبر

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

أبى الفضل العباس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى محمد الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم. وقد ورد أن الحسن بن على حين أحسّ بالموت قال: ادفنونى إلى جانب أمّى فاطمة فدفن . وجاء من طريق آخر أن قبر فاطمة رضى الله عنها فى بيتها الذى أدخله عمر بن عبد العزيز فى المسجد .

ونقل فى « ذخائر العُقْبَى فى فضائل ذوى القربى » للشيخ محبّ الدين الطبرى قال : أخبرنى أخٌ لى فى الله أنّ الشيخ أبا العباس المرسى رحمه الله كان إذا زار البقيع وَقَفَ أمَامَ قِبْلة قُبَّة العباس وسلَّم على فاطمة عليها السلام ، ويذكر أنه كُشِفَ له عن قبرها والله أعلم . ومع الحسن ابن أخيه على بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق رضى الله تعالى عنهم، وقد بنى عليهم الخليفة الناصر بن المستضىء أحمد قُبَّة عالية .

قبر عقيل بن أبى طالب

ثم قبر (١) عقيل بن أبى طالب ومعه فى القبة ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الجواد رضى الله تعالى عنهما [وعليهما قبة](٢) والمنقول أن قبر عقيل فى داره .

ونقل ابن النجّار تبعاً لابن زَبَالة عن عَوْسَجة قال : كنت أدعو ليلةً إلى زاوية دار عقيل التى تلى باب الدار فمرّ بى جعفر بن محمد فقال لى : أعَنْ أثَرٍ وَقَفْتَ ها هُنَا ؟ قلتُ لا ، قال : هذا موقفُ النبىّ صلى الله عليه وسلم من الليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع انتهى . فينبغى فيه الدعاء . وقد أخبرنى غيرُ واحدٍ أن الدعاء عند قبره مستجابٌ ولعلّ هذا سببهُ ، أو لأنّ عبدالله كان كثير الجود والمكارم فأبقى الله قضاء الحوائج بالدعاء عند قبره .ومن غريب ما اتفق ما أخبرنى به من أثق بدينه أنه دعا فى هذا المكان وتذاكَرَ مع رفيقٍ له فى ذلك فرأى ورقةً على الأرض مكتوبةً فأخذها تفاؤلاً لذلك فإذا فيها : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) من جهتيها والله أعلم .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « قبة » .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

ثم قبر إبراهيم[١] بن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه قبة فيها شباك من جهة القبلة ، وهو مدفون إلى جنب عثمان بن مظعون رضى الله عنه كما ورد فى الحديث الصحيح أنهم قالوا : أين نحفرُ له ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «عند فرَطنا عثمان » : وورد أيضا أن عبدالرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه حين نزل به الموت أرسلتْ إليه عائشةُ رضى الله تعالى عنها أن هَلُمَّ إلى أصحابكَ – تعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعُمَر رضى الله عنهما – فقال : لَسْتَ بمضيقٍ عليكِ بَيْتَكِ إنى كنتُ قد عاهدتُ ابن مظعون أيُّنا مات دُفِنَ إلى جَنْب صاحبه ، ادْفِنُونِى إلى جنب عثمان فدُفِنَ ، فيُزارانِ مع إبراهيم عليه السلام. وفى قِبْلة قُبَّة عقيل رضى الله تعالى عنه حظيرٌ مبنيٌّ بالحجارة يقال إن فيه قُبُور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيسلِّم عليهنّ هناك .

قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان

ثم قبر أمير المؤمنين [أبو عمر][٢] عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه شرقى البَقِيع ، يعرف بحَشِّ كَوْكَب ، قيل : والحَشُّ : البُسْتان والله أعلم . وعليه قُبَّة عالية بناها أسامة بنُ سنان الصالحيّ أحدُ أمراء السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب سنة إحدى وستمائة . ونقل أبو شامة أن البانى لها عزّ الدين سلمة والله أعلم .

قبر فاطمة بنت أسد أم على ابن أبى طالب

ثم قبر أمّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف رضى الله تعالى عنها . وهى شمالى قُبَّة عثمان[٣] رضى الله عنه فى موضع يُعْرَف

---

(١) فى خلاصة الوفاء للسمهودى : «قبر رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى حديث الطبرانى برجال ثقات ، وفى بعضهم خلاف عن ابن عباس رضى الله عنه : لما ماتت رقية بنت رسول الله قال : إلحقى بسلفنا عثمان بن مظعون » . (الناشر)

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٣) قوله : « قبر أم أمير المؤمنين على رضى الله عنه وهى شمالى قبة عثمان . . . الخ » وفى خلاصة الوفاء : فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنه . لابن زبالة عن =

بالحمّام وعليها قُبّةٌ صغيرة : ونقل ابن زَبالة وابن النجّار عن أبى روق قال : حمل الحَسَنُ بَدَنَ[(١)] على بن أبى طالب رضى الله عنه فدفنه بالبقيع بالمدينة ، ويقال : إنّ رأس الحسين أيضا حملت إليه والله أعلم .

قبر أم الزبير صفية بنت عبد المطلب

ثم قبر أمّ الزُّبَير صفيةَ بنت عبد المطلب عمّة النبىّ صلى الله عليه وسلم على يسار الخارج من باب البَقِيع ، ويقال إنها دفنت عند موضع الوَضُوء عند دار

= محمد بن عمر بن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : دفن رسول الله فاطمة بنت أسد بن هاشم بالروحاء مقابل حمام أبى قطيفة ، وهو الموضع الذى دفن فيه عثمان ابن مظعون فإنه تقدم أنه يسمى بالروحاء وبالزوراء ، لا بالروحاء المشهورة فى طريق المدينة ، قال : وثم قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر عثمان بن مظعون . وسيأتى ما نقله ابن شبة فى قبر العباس من أنه عند قبر فاطمة بنت اسد بن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم الذى فى دار عقيل .

ويؤيده مانقله أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب السنة الكبير له من أنه لما أتى بالحسن ليصلى عليه قال الحسين لسعيد بن العاص أمير المدينة تقدم فلولا أنها سنة ما قدمتك فصلى عليه سعيد بن العاص، ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم اﻫ وكله صريح فى مخالفة ما عليه الناس اليوم فى المشهد المنسوب إليها . وأول من ذكر أنها به ابن النجار ولم أقف له على مستند غير قوله: إنها دفنت مقابل حمام أبى قطيفة وقد اقتصر عليه ابن النجار ، ثم قال : واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام اﻫ . وهذا النخل هو الذى قرب مشهد سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شاميه وهو بعيد جدا من المشهد المعروف بفاطمة وإن كان فى غربيه مع أن بقية الرواية ترد إرادة ذلك ؛ وكان ابن النجار لم يقف عليها ويبعد كل البعد أن يدفنها صلى الله عليه وسلم فى فم زقاق أقصى البقيع بل ليس هو منه لما سيأتى فى أن محل عثمان بن عفان لم يكن منه ويترك ما قارب عثمان بن مظعون مع قوله وأدفن إليه من مات من أهلى اﻫ من خلاصة الوفاء (الناشر) .

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وهى تتفق والسياق . وفى الأصل : « بن » وهو خطأ .

المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، عليها بناء من الحجارة ، أرادوا عقد قُبَّة صغيرة فلم يتفق ذلك .

قبر الإمام مالك ابن أنس

ثم قبر الإمام أبى عبد الله مالك بن أنس الأَصْبَحِى إمام دار الهجرة رضى الله تعالى عنه ، إذا خرج الشخص من باب المدينة يكون مواجهاً له من جهة الشرق فى قُبَّة صغيرة .

قبر إسماعيل ابن جعفر الصادق

ثم قبر إسماعيل بن جعفر الصادق فى مشهد كبير مُبَيَّض ، غربى قُبَّة العباس رضى الله تعالى عنه ، هو ركن سور المدينة من جهة القبلة والشرق ، وبابه من داخل المدينة ، بناه بعضُ العُبَيْدِيِّين من ملوك مصر ، ويقال إن عَرَصَة هذا المشهد وما حولها من جهة الشمال إلى الباب كانت دارُ زَيْنِ العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما ، وبين الباب الأوّل وباب المشهد بئرٌ منسوبةٌ إلى زين العابدين ، وبالجانب الغربى للمشهد مسجدٌ صغيرٌ مهجورٌ يقال إنه مسجد زين العابدين ، وليس بالبَقِيع قبرٌ يُعْرَف للسَّلَف الصالح غير ما ذكرنا .

ونقل ابن زَبَالَة عن عيسى بن عبد الله قال : رأيت حسن بن أبى قطيفة وله رزقٌ يجرى عليه من بيت المال على أن يقيم القبور انتهى .

ويجب على وُلَاة الأمور - وفقهم الله تعالى - وعلى كل مسلم مُوَارَاة ما يوجَدُ من عظام أموات المسلمين لاسيما فى البقيع فقد شاهدت [فيه][1] من ذلك ما هالنى رؤيته والله أعلم .

ما جاء فى فضل مقبرة بنى سلمة

ما جاء فى فضل مقبرة بنى سلمة

نقل ابن زَبَالَة قال كعب الأحبار : إنا نجد فى كتاب الله مقبرةً بحافة غربى المدينة يُحْشَر منها سبعون ألفاً لا حساب عليهم .

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

وروى أيضاً عن مشيخة بنى حزام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَقْبَرَةٌ بين سَيْلَين[١] غربيّة يُضِىء نُورُها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض » ولما أُصيب أبو عمرة بن السَّكَن يوم أُحُدٍ نُقِلَ إليها بأمْرِ النبى صلى الله عليه وسلم فدُفِن ، فكان أوّلَ مَنْ دُفِنَ فيها . ودُفِنَ فيها أيضاً أبو سعيد المقبرى بوصيّته .

وفى رواية أن جماعة من قتلى أُحُدٍ نقلوا إليها . وسيأتى بيانُها عند مسجد القِبْلَتَيْنِ والله أعلم .

قبر النفس الزكية محمد ابن عبد الله ابن الحسن

وفى شمالى المدينة على طريق الحُجّاج الشاميِّين من خارج سور المدينة قبر النفس الزكيّة[٢] محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم المقتول فى أيام أبى جعفر المنصور العباسىّ شرقى جبل سَلْع ، وعليه بناءٌ كبيرٌ بالحجارة، أرادوا عقد قُبَّة فلم يتفق، وهو داخل مسجد كبير مهجور وفى قبلة المسجد منهلٌ من عَيْن الأزْرَق الخارجة من المدينة ، عليه بناء [مُدَرَّج بدَرَج][٣] من جهة الشرق والغرب ، والعين فى وَسَطه تجرى إلى مفيضها من البركة التى ينزلها الحُجّاج .

---

(١) قوله : « بين سيلين » هما سيل العقيق الذى يمر غربى مسجد القبلتين . وسيل رانونا وجفاف المسمى الآن بأبى جيدة لأنه يمر بمساجد الفتح من جهة المغرب فتكون المقبرة بينهما ، والظاهر أنها بين مساجد الفتح ومسجد القبلتين .

(٢) ذكر المطرى : أن الذى قتله عند أحجار الزيت ، أى عند مشهد مالك ابن سنان ، وأن جسده دفن بالبقيع .

(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الباب الثالث

فى فضـــل أُحُد

وذكر الشهداء به وذكر بقية المساجد ، وذكر الآبار وذلك فى فصول :

الفصل الأول

روينا فى الصحيحين من حديث أَنَس رضى الله تعالى عنه أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » قيل : يُحِبُّنَا أَهْله فالمحبةُ مَجَازِيَّةٌ ، وقيل : بل خُلِقَ فيه إدراكٌ أَحَبَّ به النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فالمحبّةُ حقيقيةٌ . قال السهيلى : سُمِّى أُحُداً لتوحُّدِهِ وقَطْعِه[1] عن أَجْبُـلٍ هُنَاكَ والله أعلم .

وبسند ابن النجّار إلى سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « أُحُدٌ رُكْنٌ مِنْ أَرْكان الجَنَّةِ » ، ونقل ابن زَبَالة يرفعهُ : « أنّ أُحُداً عَلَى تُرْعَةٍ من تُرَعِ الجنَّةِ وَعَيْرٌ عَلَى تُرْعَةٍ من تُرَعِ النَّارِ » .

وفى رواية لغيره : « أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّهُ وَعَيْرٌ جَبَلٌ يُبْغِضُنَا وَنُبْغِضُه » والله أعلم .

و به إلى جابر بن عتيك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَرَجَ

---

(١) فى خلاصة الوفاء : « وسمى أحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك » .

مُوسَى وهٰرُون عليهما السلام حاجَّيْنِ أو مُعْتَمِرَين ، فلمّا كانا بالمدينة مرض هٰرون عليه السلام فثَقُلَ فخاف عليه موسَى اليهودَ فدَخَل به أُحُداً فمات فدَفَنَهُ فيه » . ونقل ابن زَبالة : « فحَفَر له ولَحَدَه » والله أعلم .

وروى عن أنس رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : لما تجَلَّى اللهُ لجبَل طُور سِينَا تَشَظَّى منه شَظَايا فنزلت بمكة ثلاث : حِرَاء وثَبِيرٌ وثَوْرٌ ، وبالمدينة أُحُدٌ وعَيْرٌ ووَرِقَان[1] ونقل رَزين أيضاً : رَضْوَى وهو على أربعة بُرُدٍ من المدينة .

وفى رواية ابن زَبالة : « أُحُدٌ يحبُّنا ونحبُّه جَبَلٌ ليس من جبال أرْضِنَا » وهو مؤكّد لحديث أنس رضى الله تعالى عنه والله أعلم .

فأُحُدٌ هذا المعروف وعَيْرٌ يقابله من قِبْلة المدينة وهى بينهما ، ووَرِقان قبلى شعب على رضى الله عنه ما بين الشعب والرَّوْحاء إلى القِبْلة . ونقل بعضُ شيوخنا عن الحازمى: أنه جبل أسود بين العرج والرويثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ينصبُّ ماؤه إلى رِيم .وقال أبو الأشعث: من صدر من المدينة مصعداً أوّل جبل يلقاه من [عن][2] يساره . قال : وفيه القَرْظ والسُّماق ، وهذا أشبه بقول المطرىّ الآنى ، والعسلُ الآن معروفٌ به كثيراً[3] وطيباً ، وسببُه دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له ولأهله كما سيأتى والله أعلم .

وفى قِبْلَة أُحُدٍ قبورُ الشهداء الذين قتِلُوا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونقل رَزِين عن عبد الأعلى بن عبد الله قال : وقف رسول الله صلى الله

---

(١) فى خلاصة الوفاء : « فوقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى » .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٣) كذا فى الأصل ونسخة (ب) . وفى نسخة (ا) :« كثرة » .

عليه وسلم على مصعب بن عمير فقرأ : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ) الآية ثم قال : « اللّٰهُمَّ إنَّ عَبْدَكَ ونبيَّك يشهد أن هٰؤلاء شُهَدَاء » قال : فنظر إلينا وقال : « ائتوهم وسَلِّموا عليهم فإنه لن[١] يسلِّمَ عليهم أحدٌ ما دامت السمٰوات والأرض إلا رَدُّوا عليه » ونقله ابن الحاج[٢] فى منسكه عن أبى إسحٰق بن سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم كلَّ عام يرفع صوته ويقول : (سلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) ، وفعل ذلك الخلفاءُ الثلاثةُ بعده والله أعلم .

ونقل رَزِين وتبعه ابن النجّار عن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمةَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزورُ قبورَ الشُّهداء بين اليومين والثلاثة . وقد نقل ابن النجّار عن بعض العابدات قالت : ركبتُ يوماً حتى جئتُ قبر حمزة فصلَّيت[٣] ما شاء الله ولا والله ما فى الوادى داعٍ ولا مُجيبٌ وغلامى آخذٌ برأسِ دابّتى ، فلما فرغتُ من صلاتى قمتُ فقلت : السلام عليكم ، وأشَرْتُ بيدى ، فسمعتُ ردَّ السلام عَلَيَّ من تحتِ الأرض فاقشعرَّ كلُّ شعرةٍ منّى فدعوتُ الغُلامَ وركبتُ .

ذكر طرف من يوم أحد

وينبغى ذكر طرف من يوم أُحُدٍ وهو أن كفّار قُرَيشٍ كانت تجمّعت لقتاله عليه الصلاة والسلام فى ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ، ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير ، وخمس عشرة امرأة ، والمسلمون ألف رجل ، ويقال تسعمائة ، فانخذل ابن أُبَيٍّ فى ثلاثمائة ، ويقال أمرهم النبىّ صلى الله عليه وسلم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشَّوط ، ويقال بأُحُدٍ عندَ الْتِصَافٍ ، وقال لهم النبى

---

(١) فى خلاصة الوفاء : « فلن يسلم عليهم » .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : الحجاج » وهو خطأ .
(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . والسياق يقتضيها . وفى الأصل : « فقلت » وهو خطأ من الناسخ .

صلى الله عليه وسلم : « لا تَتَغَيَّرُوا مِنْ مَـكَانِكُم » فلما تغيّروا هُزِمُوا ولم يثبت معه يومئذ إلا أربعة عشر رجـلا وقتل بيده أُبَيّ بن خلف وصلى الظهر يومئذ قاعداً وانقطع سيف عبد الله بن جحش يومئذ فأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم عُرْجُونًا فصـار سَيْفًا ولم يزل يُتَنَاوَلُ حتى اشتراه بُغَا التركى [بمائتى دينار قاله السهيلى][1] وقُتِل من المشركين ثلاثة ، ويقال اثنان وعشرون رجلا.

قبور الشهداء

وقُتِلَ من المسلمين سبعون ، ويقال خمس وستّون ، منهم : حَمْزَةُ عَمُّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بحَرْبَة وَحْشِىّ[2] ، فلما رآه النبىّ صلى الله عليه وسلم وقد مثل به قال من جملة كلامه : « ما وقفتُ موقفاً هو أغيظُ إلىّ من هذا » وأخبر عليه الصلاة والسلام عن جبريل أن حمزة أَسَـد الله وأسَد رسوله مكتوب فى أهل السموٰات السبع ، وأُصِيبَ عليه الصلاة والسلام ، وشُجَّ جَبِينُه ، وكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُه[3] ، وجُرِحَتْ وَجْنَتُهُ ودخَلَتْ فيه حَلْقَتان من المِغْفَر ، ووقع فى حُفْرَةٍ من الحُفَر[4] التى كِيدَ بها المسلمون ووقاه طلحة بن عبيد الله ، وشُقَّتْ شَفَتُهُ السُّفْلَى صلى الله عليه وسلم كما قلت :

أمورٌ وقوعُ الموت يَسهل دُونهـا * ويصعب مَهْلَ الأرض وهو رحيب

قبر حمزة رضى الله عنه

ولايعرف من قبور[5] الشهداء إلاّ قبر حمزة رضى الله عنه ، ومعه فى القبر

---

(١) هذه العبارة لم ترد فى نسختى (ا) و (ب) .

(٢) وحشى هو العبد الأسود مولى جبير بن مطعم (سيرة ابن هشام) .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « رباعيته اليمنى السفلى » .

(٤) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « ووقع فى الحفرة » .

(٥) قوله : ولايعرف من قبور . . . الخ » نقل ابن شبة عن الأعرج أن حمزة لما قتل أقام فى موضعه تحت الجبل الصغير الأحمر ببطن الوادى ، وهو جبل الرماة ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحمل عن بطن الوادى إلى الربوة التى هو بها اليوم وكفنه فى بردة وكفن مصعب بن عمير فى أخرى ودفنهما فى قبر واحد . قال عبد العزيز : وسمعت من يذكر أن عبد الله بن جحش قتل معهما ودفن معهما فى قبر واحد . . . الخ كذا فى خلاصة الوفاء (الناشر) .

ابن أختــه عبد الله بن جحش ، قيل : وهو الملقب بالمجـدَّع فى الله لأنه قتِلَ وجُدِع ، وهو أوّل من سُمّىَ أمير المؤمنين لمـا بعثه عليه الصلاة والسلام أميراً على سريّة إلى نخلة والله أعـلم ، وعليهما قُبّة عالية فى مشهد محـكم البناء بنتهُ أمُّ الخليفة الناصر لدين الله بن المستضىء فى سنة سبعين وخمسمائة ، وشمالى هـذا أرام من حجارة ، ففى بعض كتب المغازى أنهـا قبور أناس ماتوا عام الرمادة فى خلافة عمر رضى الله عنه ، ويقال إنها من قبور الشهداء ، ولم يثبت نقل غير إنّا لا نشكّ أن قبور الشهداء رضى الله تعالى عنهم حَوْلَ قبر حمزة ، إذ لا فائدة فى البعد عنه بل فى القرب فوائد .

قبر سنقر التركى

وعند رجلى حمزة قبر سُنْقُر التركى متولّى عمارة المشهد ، توفّى فدفن هنالك . وفى صحن [المشهد][1] قبرٌ قريبٌ من الباب لبعض أمراء أشراف المدينة ، فلا يُتَوَهَّم أنهما من شُهَدَاء أُحُد .

ومن جهة القِبْلة لاصقاً بجبل أُحُدٍ مسجدٌ صغيرٌ مُتَهَدِّمُ البناء يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فيه الظهر والعصر يوم أُحُدٍ بعد انقضاء القتال فى جهة القبلة ، ويقال : إنه يُسَمَّى « مسجد الفضيخ » .

وفى جهة القبلة من هـذا المسجد موضعٌ منقورٌ فى الجبل على قدر رأس الإنسان يقال أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس على الصَّخْرة التى تحته .

الغار الذى بأحد والموضع الذى يقال له الطاقية كله لا أصل له ولم يرد فيه نقل يعتمد عليه

وكذلك شمالى المسجد غارٌ فى الجبل يقول عوّام الناس أن النبىّ صلى الله عليه وسلم دخله ولا يصحّ ذلك لعدم النقل به فلا يعتمد[2] . وقبلى مشهد حمزة رضى الله عنه جبلٌ صغيرٌ يُسَمَّى عَيْنِين (بالعين المهملة المفتوحة وكسر النون

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « فلا يعتمد عليه » .

الأولى) والوادى بينهما كان عليه الرُّماةُ يوم أُحُد . وقيل : لِأُحُدٍ ذى عَيْنِين فكأنه لهذا والله أعلم .

وعنده مسجدان : أحدُهما مع ركنه الشرقى يقال إنه الموضع الذى طُعِنَ فيه حمزة رضى الله عنه ، وهناك عين ماء دائرة الآن كان قد جدَّدها الأميرُ وُدَىّ ابن جَمّاز صاحب المدينة مفيضها بالقُرْب منه ، والمسجد الآخر شمال هذا المسجد على شفير الوادى ، يقال : إنه مَصْرَعُ حمزة رضى الله عنه ، وأنه مشى إلى هناك فصُرِعَ رضى الله عنه .

وأعلم أن بين المشهد والمدينة ثلاثة أميال ونصف أو ما يقاربه ، وإلى جبل أُحُد نحو أربعة أميال . وقيل : دون الفرسخ . قيل : وكانت غَزْوَةُ أُحُدٍ يوم السبت سابع شوال ، وقيل : لتسع ليال خَلَوْنَ منه ، ويقال : لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ منه ، وجزم ابن النجّار بيوم السبت النصف من شوّال سنة ثلاث والله أعلم .

الفصل الثانى

فى ذكر بقية المساجد بالمدينة الشريفة

بين مكة والمدينة وما اشتهر من المساجد فى غزوات وغيرها

وفيه طرفان وتتمة الطرف الأوّل فى ذكر بقية المساجد بالمدينة الشريفة

مسجد الفضيخ

فمنها : « مسجد الفضيخ » ويُعْرَف الآن بمسجد الشمس ، وهو شرقى مسجد قُبَاء على شفير الوادى على نشز من الأرض ، وهو صغير جدًّا ، ذكر محمد بن الحسن بن زَبَالة عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا حاصر بنى النضير ضَرَبَ قُبَّتَه فى موضع مسجد الفَضِيخ وأقام بها ستًّا قال : وجاء تحريم الخمر وأبو أيوب فى نَفَرٍ من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم فى موضعه معهم رَاوِيَةُ خَمْرٍ من فَضِيخ[1] ، فأمر أبو أيُّوب بعزلاء المزادة ففتحت فسال الفضيخ فيه فسُمِّى « مسجد الفضيخ » .

﴿ تنبيه ﴾ يقال[2] إن الخمر نَجِسٌ فيجب تنزيهُ المساجد من النجاسة لأن ذلك قبل اتخاذ الموضع مسجداً كما دلّ عليه الحديث ، أو لجواز الإعـلام بنجاسته بعد ذلك ، لـكن المشهور تحريم الخمر فى شوال سنة ثلاث ، ويقال : سنة أربع على الأصح والله أعلم .

مسجد بنى قريظة

ومنها : « مسجد بنى قُرَيْظَة » وهو شرقى مسجد الشمس بعيد عنه بالقُرْب من الحَرَّة الشرقيّة على باب حديقـة وقف للفقراء تُعْرَف بحاجزة بين بيوت

---

(١) الفضيخ : شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار .

(٢) بهامش الأصل : « فى نسخة : فإن قيل » .

خراب هى بعض دُور بنى قُرَيظَة . ونقل ابن زَبَالَة أنه فى موضع أُطُم الزُّبير ابن باطا القُرَظى والله أعلم . قال ابن النجّار : وكان مبنياً على شكل مسجد قُبَاء بناهُ عُمَرُ بنُ عبد العزيز عند بنائه مسجد قُبَاء بأمر الوليد . قيل : وقد كان كتب إليه يأمره بعمارة ما ثَبَتَ عنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فيه من المساجد حكاه ابن زَبَالَة والله أعلم ، وهو كبيرٌ طوله نحو العشرين ذراعاً وعرضه كذلك ، وقال المطرىّ : نحو من خمسة وأربعين وعرضه كذلك [وقد اعتبرته] (١) وكان فيه أساطين وعقود ومنارة فى مثل موضع منارة قُبَاء . قال ابن النجّار : وكان فيه نحو ستة عشر أسطواناً فتهدّم على طول الزمان وأُخِذَتْ حجارتُه جميعها ، قال المطرىّ : و بقى أثرهُ إلى العشر الأوّل بعد السبعمائة فَجُدِّدَ وبُنِيَ عليه حظير مقدار نصف قامة عرف مكانه بذلك بعد أن نسى ذكر ابن زَبَالَة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت امرأة : « من انخُضر فى بنى قُرَيظة » فأدخلَ الوليدُ ذلك البيت فى المسجد حين بناه .

قال ابن النجّار : ومَشْرَبَة أمّ إبراهيم — والمَشْرَبَة : البُستان — قال : وأظنّه كان بستاناً لمارية ، وقيل : إنما سُمِّيت مَشْرَبَة أمّ إبراهيم لأنها وَلَدَتْ فيها إبراهيم بن النبىّ صلى الله عليه وسلم وتعلّقتْ حين ضَرَبها المخاضُ بخشبة من خشب البيت قاله ابن زبالة والله أعلم .

ذكر ابن زَبالة وتبعه ابن النجّار أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم صلّى فى مَشْرَبَة إبراهيم عليه السلام ، وهذا الموضع شمالى مسجد بنى قُرَيظة قريب من الحَرَّة الشرقيّة في موضع يُعْرَف بالدَّشْت بين نَخْلٍ يُعْرَف بالأشراف القواسم .

مسجد بنى ظفر من الأوس

ومنها : « مسجد بنى ظفر من الأوْس » وهو شرقى البَقِيع من طرف الحَرَّة

---

(١) التكملة من نسختى (ب) .

خرابٌ ، ويعرف اليوم بمسجد البغلة ، روى الزبير بن بكّار [١] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على الحجر الذى فى مسجد بنى ظفر ، وأن زياد بن عبيد الله أمر بقلعه حتى [جاءت مشيخة بنى ظفر ف] [٢] أعلموه بذلك فردّه . قال : فقلّ امرأةٌ نزرٌ [٣] ولدها تجلس عليه إلاّ حملت ، وعنده آثار فى الحرّة ، يقال إنها أثر حافر بغلة النبيّ صلى الله عليه وسلم من جهة القبلة ، وفى غربيه أثر حجر على حجر أثر كأنه مرفق ، وعلى حجر آخر أثر أصبع الناس يتبركون بها والله أعلم .

مسجد معاوية ابن مالك النجار من الخزرج

ومنها : « مسجد معاوية بن مالك النجّار من الخزرج » ويعرف بمسجد الإجابة ، روى مالك بن عتيك بن الحارث قال : جاءنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى بنى معاوية — وهى قُرَية من قرى الأنصار — فقال : هل تدْرُون أيْنَ صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدكم هذا ؟ قلت : نعم ، وأشرت له إلى ناحية منه ، فقال : هل تدْرِى ما الثلاثُ التى دَعَا بهنّ ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى بهنّ ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عَدُوٌّ من غيرهم فأُعْطِيها ، وأن لا يهلكهم بالسنين فأُعْطِيها ، وأن لا يجعل بأْسَهُم بينهم فمُنِعَهَا . قال عبد الله بن عمر : صدقْتَ فلن يزال الهَرْجُ إلى يوم القيامة . وهذا المسجد شمالى البَقيع على يسار السالك إلى العريض وسط تُلُولٍ هى آثار قرية بنى معاوية وهى اليوم خراب .

مسجد الفتح

ومنها : « مسجد الفتح » روى ابن النجّار من حديث جابر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دعا فى مسجد الفتح يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعُرِفَ البشر فى وجهه .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « ابن الزبير بن بكار » وهو خطأ .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٣) نزر : قل .

ونقل ابن زَبَالة قال جابر : فلم ينزل بى أمْرٌ مُهِمٌ قطّ فدعوتُ بين الصلاتين يوم الأربعاء فى تلك الساعة إلاّ عَرَفْتُ الإجابة والله أعلم .

وبه إلى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بمسجد الفتح الذى عَلَى الجبل وقد حضرتْ صَلاةُ العصر فَرَقِىَ فصلى فيه صلاة العصر .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الخندق عَلَى الأحزاب فى موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح الذى عَلَى الجبل - يعنى جبل سَلْع - جهة المغرب وغربية وادى بُطْحان ، ويعرف الموضع بالسَّيْح (بسين مهملة مفتوحة وياء مثناه من تحت) .

ونقل ابن زَبَالة أنها سُمِّيت بذلك لأن جُشَم بن الخزرج وأخاه زيداً سَكَنَا فيه وابْتَنَيْنَا[1] أطُماً يقال له السَّيح ، فسُمِّيت به الناحية والله أعلم ، ويُصْعَد إلى المسجد بدرجتين شمالية وشرقية ، وكان فيه ثلاث أسطوانات من بناء عمر بن عبد العزيز فلذلك قال فى الحديث « موضع الأسطوانة الوسطى » لكنّه تهدّم عَلَى طول الزمان ثم جدّده الحسين بن أبى الهَيْجاء أحد وزراء العُبَيْدِيِّين ملوك مصر فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وجدّد أيضاً بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة فالأوّل الذى يلى القبلة يعرف « بمسجد أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه » والثانى الشمالى ويعرف « بمسجد سلمان [الفارسىّ] »[2] رضى الله عنه ، جدّدهما فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وذكر ابن النجّار أنه كان معهما مسجد ثالث قبلته خراب وقد أخذتْ أحجارهُ وتهدّم فهذا لم يبق له أثر ، ثم قال : وروى عن معاوية بن سعد أن

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) والسياق يقتضيها . وفى الأصل : « وابتنا » وهو تحريف .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد الفتح الذى فى الجبل وفى المساجد التى حوله ومسجد القبلتين .

دعاء النبى بعد صلاته بمسجد الفتح

ونقل ابن زَبَالة عمّن صلّى وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثم دعا فقال : « اللهمّ لك الحمدُ هَدَيْتنِي من الضَّلالَةِ فلا مُكْرِمَ لِمَنْ أهَنْت ، وَلاَ مُهِينَ لِمَنْ أكْرَمْت ، وَلا مُعِزَّ لِمَنْ أذْلَلْت ، وَلا مُذِلَّ لِمَنْ أعْزَزْت ، وَلا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْت ، وَلا خاذِلَ لِمَنْ نَصَرْت ، وَلا مُعْطِى لِمَا مَنَعْت ، وَلا مانِعَ لِمَا أعْطَيْت ، وَلا رَازِقَ لِمَنْ حَرَمْت ، وَلا حارِمَ لِمَنْ رَزَقْت ، وَلا رَافِعَ لِمَنْ خَفَضْت ، وَلا خافِضَ لِمَنْ رَفَعْت ، وَلا خارِقَ لِمَا سَتَرْتَ ، وَلا سابِرَ لَمَا خَرَقْت ، ولا مُقَرِّبَ لما باعَدْت ، ولا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْت » . والله أعلم .

مسجد القبلتين

ومنها : « مسجد القبلتين » قال ابن النجّار : روى عثمان بن محمد الأخنسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار امرأة من بنى سلمة يقال لها « أمّ بشر » فى بنى سلمة فصنَعَتْ له طعاماً فحانتِ الظُّهْرُ — ونقل يحيى أن الفريضة كانت سَجْدَتَيْن يومئذ والله أعلم — وصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظُّهْرَ فلما صلى ركعتين أُمِر أن يتوجّه إلى الكعبة ، فاستدار عليه الصلاة والسلام إلى الكعبة فسُمِّى بذلك ، وكانت الظُّهْرُ يومئذ أربع ركعات : ثنتان إلى بيت المقدس ، واثنتان إلى الكعبة . قال سعيد بن المسيِّب : قبل بَدْرٍ بشهرين ، قال : والثابت عندنا أنها صرفت فى الظهر فى مسجد القبلتين .

ونقل النووىّ فى سير الروضة عن محمد بن حبيب الهاشمىّ أن التحويل يوم الثلاثاء النصف من شعبان من السنة الثانية جازماً به ، وقد سبق قولهم فى النصف من رجب والله أعلم . فهذا المسجد بعيدٌ من مسجد الفتح من جهة الغرب على رابية

[عَلَى][١] شفير وادى العقيق وحوله خرابٌ عَلَى الحرّة ويعرف موضعه بالقاع ، وحَوْله آبارٌ ومزَارِعُ تعرف بالعرض فى قبلة مزارع الجرف ، وهذا المسجد فى قرية بنى سلمة ويقال لها خُرْبا[٢] .

ونقل ابن زَبَالة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمّاها طلحة ومقبرتهم كانت بحافة السيل كما تقدّم ولم يعرف عينها والله أعلم .

قال رَزِين : وهو « مسجد بنى حزَام » وفيه رأى النبي صلى الله عليه وسلم النخامة ـ قال ابن زَبَالة : في قبلته ـ فحكها بالعُرْجُون ثم دعا بخَلُوقٍ فجعله عَلَى رأس العُرْجُون ثم جعَلَهُ عَلَى موضع النخامة ، فهو أوّلُ مسجدٍ خُلِّقَ فى الإسلام والله أعلم .

عدم معرفة المواضع التى صلى فيها النبي صلاة العيدين

واعلم أن الزُّبير بن بكّار رَوَى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى صلاة العيدَيْن مرّات بمواضع ذكَرَها لا تُعْرَف الآن جهاتُها فضلا عن أعيانها فلا فائدة فيما ذكره . قال : ثم صلَّى حيثُ يصلِّى الناسُ اليومَ .

وروى عن محمد بن عمّار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلك إلى المصلَّى من الطريق العظمى عَلَى أصحاب الفساطيط ويرجع من الطريق الآخر عَلَى دار عمّار بن ياسر رضى الله عنه .

وروى أيضاً عن عائشة بنت سعد بن أبى وقّاص عن أبيها رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بَيْنَ مَسْجِدِى إلى المُصَلَّى رَوْضَة من رياض الجنة » .

وروى عمرة[٣] عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلي الله عليه وسلم كان

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) خربا بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « عمر » .

يذبح أُضْحِيَّته بيده إذا اُنصرفَ من المُصَلَّى عَلَى ناحية الطريق التى كان ينصرف منها ، وتلك الطريق والمكان الذى يذبح فيه مقابل المغرب مما يلى طريق بنى زُريق .

قال المطرىّ : أمّا الطريق العظمى فطريق الناس اليوم من باب المدينة إلى مسجد المُصَلَّى ، وهو الذى ذكره ، ولا يعرف من المساجد التى ذكرها لصلاة العيد إلاَّ هذا الذى يُصَلَّى فيه العيد اليوم ، وهو المشهور .

ونقل رَزِين عن داود بن أبى الفُرات قال : خرَجَ رسول الله صلي الله عليه إلى المُصَلَّى فقال : « هذا مُسْتَمْطَرُنا ومُصَلاَّنَا لِفِطْرِنا وَأُضْحَانَا فلا يَضيق ولا ينقص علينا » والله أعلم .

مسجد أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ومنها : « مسجد » شماليه وسط الحديقة المعروفة بالعريضى[١] المتصلة بقبّة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ، ولعلَّه صلَّى فيه فى خلافته .

مسجد على ابن أبى طالب رضى الله عنه

ومنها : مسجد كبير شمالى الحديقة يسمَّى : « مسجد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه » ولم يَرِد[٢] أنه رضى الله عنه صلَّى[٣] بالمدينة عيداً فى خلافته ، فتكون هذه المساجد من الأماكن التى صلَّى فيها النبىّ صلي الله عليه وسلم صلاة العيد عيداً بعد عيد لأنه يبعد أن يختصّ أبو بكر وعلىّ رضى الله عنهما بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذى صلَّى فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم .

والنَّقَا المذكور فى الأشعار غربى المصلَّى إلى منزلة الحجّاج غربى وادى

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « بالعريضية » .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل : « يرو » .
(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « صلى فيه بالمدينة » ولعل كلمة « فيه» مقحمة من الناسخ .

بُطْحان ، والوادى يفصل بين المصلَّى والنَّقا،ومن أجل مجاورة المكانين قال بعضهم مُوَدِّياً عن الشيب ومصلَّى الجنائز :

أَلاَ يا سارياً فى قَفْــر عمرو ✻ يكابد فى السُّرَى وَعْراً وسَهْلا
بلغت نَقَا المشيب وجُزْتَ عنه ✻ وما بعد النَّقَا إلاَّ المصــلَّى

وَحَاجِزُ المذكور أيضاً[1] فى الأشعار غربى النَّقَا إلى منتهى الحرَّة من وادى العقيق .

قال المطرىّ : وليس بالمدينة مسجدٌ يُعْرَف غيرما ذكر إلا مسجدٌ على ثَنِيَّة الوَدَاع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام اهـ .

مسجد الراية

وكأنه يريد المسجد المعروف «بمسجد الراية» . قال: ومسجدٌ آخر صغير جدًّا على طريق السافلة اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضى الله عنه عن يسار السالك إليه و إلى حدائق السافلة ، يقال إنه مسجد أبى ذَرٍّ الغفارى رضى الله عنه ولم يَرِد فيهما ما يعتمد نقله .

مسجد أبى ذر الغفارى رضى الله عنه

الطرف الثانى

فى ذكر ما عُرِفت جهتُه ولم تعرف عَيْنُه لتتِمَّ به الفائدة

مسجد بنى زريق

منها : « مسجد بنى زُرَيق » من الخَزْرَج ذكر ابنُ زَبالة وغيره : أنه أوَّل مسجدٍ قُرِئَ فيه القرآن قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم توضَّأ فيه ولم يُصَلِّ وعجب من اعتدال قبلته .

واعلم أن قرية بنى زُرَيق قبلى سُور المدينة الشريفة اليوم وقبلى المصلَّى ، و بعضها كان من داخل السور اليوم بموضع يُعْرَف بذروان أو ذى أروان التى وَضَع

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

لَبِيدُ بنُ الأعْصَم ، وهو من يَهُود بنى زُرَيق ، السِّحْرَ فيه فى رَاعُوفَةِ بِئْرها والحديث مشهور .

مسجد بنى ساعدة

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم[١] صَلَّى فى « مسجد بنى ساعدة » من الخزْرَج رَهْط سَعْد بن عُبَادة وجلس فى السَّقِيفة، وذكر عن عبد المهيمن بن عباس أبن سهل بن سعد عن أبيه عن جدّه قال : جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سَقِيفَتِنا التى عند المسجد واُسْتَسْقَى فمخضتُ له وَطْبَةَ[٢] فشرب ثم قال : زدنى ، فمخضتُ له أخرى فشرب ثم قال : كانت الأولى أطيب . وفى هــذه السقيفة كانت بيعة أبى بكر الصدِّيق الأولى .

وقرية بنى ساعدة عند بئر بُضَاعة ، وستعرفها ، والبئر وسط بيوتهم . وشمالى البئر فى جهة الغرب أطُم يقال إنه فى دار أبى دُجَانة [الصغرى التى عند بئر بُضَاعة . وأبو دُجَانة][١] من بنى ساعدة ، وروى بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود رجلاً من أصحابه من بنى الربعة من جُهَينة يقال له أبو مريم ، فعاده بين منازل بنى قيس العطّار الذى فيه الأراكة و بين منزلهم الآخر الذى يلى دار الأنصار فصلى فى المنزل ، فقال نفرٌ من جُهَينة لأبى مريم : لو لحقْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألتَهُ أن يخطَّ لنا مسجداً ؟ فقال : احملونى فحملوه فلحق النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « مَالَكَ يا أبا مريم » ؟ فقال : يارسول الله لو خَطَطْتَ لنا مسجداً ، قال : فجاء إلى مسجد جُهَينة وفيه خيام لِبَلِيّ [فأخذ ضلعا أو مِحْجَناً فَخَطَّ لهم به ، فالمنزل لِبَلِيّ][١] والخطة لجُهَينة ، وهذا المسجد لا يُعرَف والناحية معروفة غربى حصن صاحب المدينة ، والسُّور القديم بينها

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) الوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه . الجمع أوطب ووطاب وأوطاب وجمع الجمع أواطب كذا فى القاموس المحيط .

و بين جبل سَلْع ، وعندها أثر باب للمدينة معروف بدرب جُهَينة إلى سنة [ست وستين وسبعمائة][1] وهو تاريخ هذا الكتاب . وقد ذكر ابنُ خَلِّكان أن سور هذا الباب القديم بناه عَضُدُ الدَّوْلة بن بُوَيْه بعد الستين وثلاثمائة من الهجرة فى أيام الطايع لله بن المطيع ، ثم تهدَّم على طول الزمان وخُرِّب لخراب المدينة ولم يبق إلاّ آثاره حتى جدَّد لها جمالُ الدين الجواد الأصفهانى وزير بَنِي زنكى السابق ذكرهُ سُوراً محكماً حول المسجد الشريف على رأس الأربعين وخمسمائة ، ثم كثر الناس من خارج السور ، فلما وصل إلى المدينة الشريفة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة بسبب رؤياه النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه ثلاث مرّات فى ليلة واحدة وهو يقول له فى كل مرّة : « يا محمودُ أنقِذْنى من هذَيْنِ » لشَخْصَيْن أشْقَرَيْنَ تِجاهه ، فاستحضر وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيصرانى الشاعر قبل الصبح وذكر له ذلك ، وكان موفَّقا ، فقال : هذا أمرٌ حَدَث بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عَجَلٍ بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغيره حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها والوزير معه وزارَ وجلس فى المسجد لا يَدْرِى ما يَصْنَعُ ، فقال له الوزير : أتعرف الشخصين إذا رأيتهما ؟ قال نعم ، فطلب الناس عامّةً للصَّدَقة وفرّق ذهباً كثيراً وفضةً وقال : لا يبقينَّ أحدٌ بالمدينة الشريفة ، فتأخَّرَ رَجُلان مُجاوِرَان من أهل الأنْدَلس نازلان فى الناحية التى تلى قبلةَ حُجْرةِ النبىّ صلى الله عليه وسلم من خارج المسجد عندَ دار آل عُمَر المعروفة اليوم بدار العشرة فطلبهما للصَّدَقة فامتنعا وأظهرا كفايةً ، فجدّ فى طلبهما حتى جىء بهما ، فلما رآهُمَا قال لوزيره : هما هذان ، فسألهما عن حالهما وما جاء بهما ، فقالا : لمجاورة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : أصدقانى

تاريخ تأليف هذا الكتاب

رؤيا الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

وتكرّر السؤال حتى أفضَى إلى معاقبتهما ، فأقرّا أنهما من النصارى ، ووَجدَهما قد حَفَرا نَقباً تحتَ الأرض من تحت حائط المسجد القبلى إلى جهة الحُجْرة الشريفة باتفاقٍ من ملوكهما ، وسوّلتْ لهم أنفسهمْ ما سوّلتْ من التعرُّض لنقلٍ يأباه الله ، وكانا يحملان التراب فى بئر عندهما فى البيت فضرب أعناقهما عند الشباك الشرقى للحُجْرة المقدّسة خارج المسجد ، وقد سبق ذكره ، ثم أحْرِقا بالنار آخر النهار وركب متوجّهاً إلى الشام ، فصاح بهم مَنْ كان خارج السُّور واستغاثوا وطلبوا حفظ أولادهم وماشيتهم بعمل سُورٍ فأمر ببناء هذا السُّور اليوم ، فبُنِيَ فى سنة ثمان وخمسين وكتب اسمه على باب البقيع وهو باقٍ إلى تاريخ هذا الكتاب .

تجديد الملك الناصر حسن للمسجد النبوى الشريف

وينبغي أن يعلم أنه قد جُدِّد فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة فى أيام السلطان الشهيد الملك الناصر حسن[1] بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر رحمه الله تعالى والله أعلم .

قلت : وقد اتفق بعد الأربعمائة من الهجرة ما يقرب من حكاية رؤيا نور الدين الشهيد وهو ما حكاه ابن النجّار فى تاريخه المجدّد لبغداد وقد أنبأنا به إجازة الإمام شهاب الدين أحمد بن على بن يوسف المكىّ ، أنبأنا الإمام تاج الدين أبو الحسن على بن أحمد الحسينى العراقى ، أنبأنا الحافظ محبّ الدين بن النجّار ، أنبأنا أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحجّار عن الحافظ محبّ الدين بن النجّار

---

(١) كذا فى نسخة (ا) والنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (ج ١٠ ص ٢٤٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الصواب . وفى الأصل ونسخة (ب) : « السلطان الشهيد الصالح صالح » . وفى النجوم الزاهرة أن السلطان الشهيد الصالح صالح المذكور تولى سلطنة مصر فى أواخر سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة .

قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن المبارك المغربى عن أبى المعالى صالح بن رافع الجبلى ، أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن محمد بن المعلّم ، حدّثنا أبو القاسم عبد الحليم بن محمد المغربى أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم العُبَيدىّ صاحب مصر بنقل النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة إلى مصر وزيّن له ذلك وقال : متى تمّ ذلك فإن الناس يأتون إلى مصر ولم يكن فى الأرض أشرف منها وتكون مأوى لكافّة المسلمين ، فاجتهد الحاكم و بنى بمصر حائزاً وأنفق عليه مالاً جزيلاً ، قال : و بعث أبا الفتوح ومَنْ معه من الجُند ومَنْ أعانهم ، فلما رأى أبو الفتوح ذلك قال لهم : الله أحقّ أن يخشى والله لا أفعل ذلك ولو أراد الحاكم نَزْع رُوحى ولا أتعرض للموضع الشريف ، وحصل له من ضِيق الصدْر ما يجلّ عن التكييف ، فما انصرف ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرض تُزَلْزِل من قوّتها حتى دحرجت الإبلُ بأقتابها ، والخيلُ بسروجها ، كما تدحرج الكورة على وجه الأرض وهلك أكثرها وخلق من الناس الذين كانوا معه ، فانشرح صدر أبى الفتوح وذهب رَوْعه من الحاكم بذلك لقيام عُذْره من امتناع ما جاء فيه والله أعلم[1] .

إشارة بعض الزنادقة على الحاكم العبيدى صاحب مصر بنقل النبى وصاحبيه من المدينة إلى مصر

وذكر ابن زَبَالة أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى « مسجد دار النابغة » وصلّى فى « مسجد بنى عَدِىّ ابن النجّار » .

مسجد دار النابغة

واعلم أن هذه الدار غربى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى دار بنى عَدِىّ بن النجّار ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى « مسجد بنى خُدْرة » وأنه صلى الله عليه وسلم صلّى فى بعض منازل بنى خُدْرة قال : فهو

مسجد بنى خدرة

---

(١) من قوله : « قلت » إلى هنا لم يرد فى نسختى (ا) و (ب) وقد نقله الناسخ من هامش النسخة الأصلية بخط مولانا الشيخ إبراهيم حمدى (الناشر) .

المسجد الصغير الذى فى بنى خُدْرة مقابل بيت الحيّة[1] .

وأعلم أن دار بنى خُدْرة عند بئر البصّة وعندها أُطمُ مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدْرىّ و بعضه باقٍ اليوم . ونقل ابن زَبالة أن اسمه الأجْرد ، والله أعلم .

مسجد بنى مازن ابن النجار

وروى أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع « مسجد بنى مازن بن النجّار » بيده وهيَّأ قِبْلَتَهُ ولم يصلِّ فيه ، وأنه صلى الله عليه وسلم صلى فى « بيت أمّ بُرْدة » فى بني مازن . وأعلم أن دار بنى مازن بن النجّار قبلى بئر البصّة ودار بنى خُدْرة قَبلُ ، وتسمى الناحية اليوم : أبو مازن ، غيّرها أهـــل المدينة ، فإن المعاقدات القديمة مكتوب فيها : بنو مازن ، وكان إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيها عند امرأة أبى سَيْف القَيْن كما ورد .

مسجد بنى حديلة

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى « مسجد بنى حُدَيْـلَة » بالحاء المهملة المضمومة ، وهو « مسجد أُبَىّ بن كعب » ودار بنى حُدَيلة عند بير حاء شمالى سُور المدينة من جهة المشرق . و بنى حُدَيلة هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجّار من الخَزْرَج .

مسجد بنى دينار

وذكر أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى « مسجد بنى دينار » عند الغسّالين، وأن أبا بكر رضى الله عنه تزوّج امرأةً من بنى دينار بن النجّار فاُشتكى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُوده فكلّموه أن يصلّى بهم فى مكانٍ يصلُّون فيه فصلى فى المسجد .

قال المطرىّ : ودار بنى دينار بن النجّار بين دار بنى حُدَيـلَة ودار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة ، وقد تقدّم أن بنى حُدَيلة هم بنو معاوية فكيف يحسُن

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل : « شحية » .

التغايُر ، وقد يقال إن بنى معاوية بطن من بنى حُدَيلة فيحسُن كلامه إن صَحّ ذلك . فهذه بطون بنى النجّار كلّها ودُورُهم بالمدينة وما حولها من جهة الشمال إلى مسجد الإجابة وهى خير دُور الأنصار كما فى الحديث ، وهم : بَنُو غُنْم ، وبنُوعَدِىّ ، و بنُو مازن ،و بنُو دينار ، و بَنُو معاوية أخو غُنْم رضى الله عنهم.

مسجد بنى حارثة

وذكر أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى « مسجد بنى حارثة » من الأوس وقضى فيه فى شأن عبد الرحمن بن سهل أخى عبد الله بن سهل بن عمّ حُوَيصة ومحيصة المقتول بخيبر . وقد تقدّم أن منازل بنىحارثة كانت بيثرب .

مسجد بنىعبدالأشهل

وذكر أنه عليه الصلاة والسلام صلَّى فى « مسجد بنى عبد الأشهل » رهط سعد بن مُعَاذ وأسيد بن حضير رضى الله عنهما ، وأن أمّ عامر بن يزيد بن السكن أتَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعَرَق فتعرّقه وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل ثم قام فصلَّى ولم يتوضأ .

وروى أيضا أنه عليه الصلاة والسلام خرج إلى بنى عبد الأشهل ، أو بنى ظفر ، وهم بنو عمّ بنى عبد الأشهل أهل مسجد البغلة المتقدّم ، فأُتِىَ بخبز ولحم فأكل ثم صلى ولم يتوضأ ، فيقال إن دار بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظفر المذكورة مع طرف الحرّة الشرقية ، وتعرف بحرّة وَاقم .

ونقل ابن زَبَالة أنها سُمِّيت [بذلك لأطم كان فيها لبنى عبد الأشهل بنوه وسمّوه واقماً فسُمِّيت[1]] به الناحية والله أعلم .

وفيها كانت وقعة الحرّة المشهورة زمن يزيد بن معاوية سنة ثلاث وستين من الهجرة ، وقتل فيها مَنْ قُتِل من الصحابة وأبنائهم من المهاجرين والأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب).

وروى ابن زَبَالة عن إبراهيم بن محمد عن أبيه قال : مطرت السماء على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال لأصحابه : هل لكم نبأ فى هذا الماء الحديث العهد بالعرش لنتبرّك به ولنشرب منه ؟ فلو جاء من مَجيئه راكب لتمسّحنا به . فخرجوا حتى أتوا حَرّةَ واقم وشراجُها يطرد فشربوا منها وتوضّأوا فقال كعب : أما والله يا أمير المؤمنين لَتَسِيلَنّ هذه الشراجُ بدماء الناس كما تَسِيل بهذا الماء ، فقال عمر رضى الله عنه : إيهاً الآن دَعْنا من أحاديثك ، قال : فدنا منه ابن الزُّبَير فقال : يا أبا إسحٰق ، ومتى ذلك ؟ فقال له كعب : إيّاك يا عُبَيْس أن يكون ذلك على رجلك أو يدك .

حرة واقم

وروى [أيضاً][1] عن كعب الأحبار قال : إنّا نجد فى كتاب الله حَرّة بشرقى المدينة يقتل فيها مقتلة تُضِئ وجُوهُهم يومَ القيٰمة كما يُضِئ القمر ليلةَ البدر .

وفى هذه الحَرّة قال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد أحد العشرة وحضرها مع عبد الله بن مطيع ومحمد بن حنظلة :

فإن تقتلونا يومَ حَرّة واقمٍ * فنحن على الإسلام أوّل مَنْ قُتِلْ
ونحن قتلناكم ببدرٍ أذلّةً * وأُبنا بأسلاب لنا منكم نفل
فإن ينجُ منّا عائذ البيت سالماً * فكلُّ الذى قد نابنا منكم جلَلْ

يعنِي عبدَ الله بن الزُّبير فهو المسمّى : عائذ بيت الله ، وقتل فى هذه الوقعة جماعة من الصحابة .

ونقل الذهبى أن منهم معقل بن سنان الأشجعىّ [وعبد الله بن حنظلة بن الغسيل الأنصارى][2] وعبد الله بن زيد حاكى وَضُوء رسول الله صلى الله عليه

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) التكملة من نسختى (ا) (ب) .

وسلم وغيرهم ، وقتل من أولاد المهاجرين فوق الثلاثمائة ، وكانت الواقعة فى ذى الحجة من السنة المذكورة والله أعلم .

مسجد الحبلى

وذكر أنه صلَّى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد الحبلى » وهم رهط عبد الله ابن أُبَىّ بن سَلُول ، ودارُهُم بين قُبَاء وبين دار بنى الحارث ، وبنى الحارث شرقى وادى بُطْحان وصعيب الآتى ذكره ، وتعرف الآن بالحارث بإسقاط « بنى » وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام صلَّى فى مسجدهم أيضاً .

مسجد بنى أمية ابن زيد

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد بنى أُمَيَّة بن زيد » بالعوالى فى الكَبَّا[1] عند مال نُهَيك بن أبى نُهَيك ، ويقال إن دارهم شرق دار بنى الحارث بن الخَزْرَج ، وفيهم كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نازلاً بامرأته الأنصارية أمّ عاصم بنت — أو أخت — عاصم بن ثابت بن [أبى][2] الأقلح كما فى الصحيح .

مسجد بنى خدارة

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد بنى خُدَارَة » إخوة بنى خُدْرَة عند الأُطُم الذى لجرار[3] سعد ، ووضع يده الكريمة على الحجر الذى فى أُطُم سعد بن عُبَادة ، فيقال إن هذه الدار قبلى دار بنى ساعدة وبئر بُضَاعَة مما يلى سوق المدينة ، وكان عرضه ما بين المصلَّى إلى جرار سعد المذكورة ، وكان يسقى الناس فيها الماء بعد وفاة أمه رضى الله عنها .

مسجد بنى واقف

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد بنى واقف » وهو موضع

---

(١) الكبا (بفتح الكاف وتشديد الباء) : موضع بالمدينة فى بطحان (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « بجوار » وهو خطأ .

بالعوالى كانت فيه منازل بنى واقف من الأوْس ، رهط هلال بن أميّة الواقفى ، أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فى تخلُّفهم فى غَزْوة تبُوك ، ولا يعرف مكان المنازل غير أنها فى جهة العوالى .

مسجد دار سعد ابن خيثمة

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلَّى فى المسجد الذى فى «دار سعد بن خَيْثَمة رضى الله عنه» بقُبَاء وجلس فيه ، فيقال إن هذه الدار أحد الدُّور التى قبلى مسجد قُبَاء يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قُبَاء ويَتَبَرَّكون بها ، وهناك أيضادار كلثوم ابن الهدم ، وفى تلك العَرَصَة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً أوّل قدومه وكذلك أهله عليه الصلاة والسلام وأهل أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه حين قدم بهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بعد خروجه عليه الصلاة والسلام من مكة وهنّ[1] سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَة ، وعائشة وأمُّها أمّ رُومان وأختها أسماء وهى حامل بعبد الله بن الزُّبَيْر فولدته بقُبَاء قبل نزولهم إلى المدينة . فكان أوّل مولود وُلِدَ للمهاجرين بالمدينة ، حكاه المطرىّ .

أول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة

وينبغى تحرير ذلك لما سبق أن عليًا إنما قدم والنبىّ صلى الله عليه وسلم بقُبَاء ، ولما قاله[2] رَزِين وغيره من أهل السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة بخمسمائة درهم وبعيرين فقَدِمَا بسَوْدَة بنت زمعة وأمّ كلثوم وأُسامة بن زيد وأمه بركة المُكَنَّاةُ أمّ أيْمَن ، قالوا : وبعث أبو بكر عبدَ الله بن أُرَيْقط فخرج عبد الله بن أبى بكر بعائشة وأمّ رومان أُمها ، وأسمها دعد ، وعبد الرحمن ، ويُقَوِّى ذلك أن مولد عبد الله بن الزُّبَيْر فى شوّال كما حكاه رَزِين .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل : « وهى » وهو خطأ .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « كما قال رزين » وهو تحريف .

وقال الذهبي وُلِدَ سنة اثنتين والله أعلم ، واعلم أنّ المنازل المذكورة اليوم خراب ليس فيها إلاّ حيطان قائمة يتبرّكون بها .

مسجد التوبة

وذكر ابن زَبَالة أيضاً أنه صلَّى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد التوبة » بالعصبة عند بئر هجيم[١] وليست بمعروفة اليوم . أما العصبة فهى غربى مسجد قُبَاء فيها مزارعُ وآبارٌ كثيرة ، وهى منازل بنى جحجبا بن كلفة بطن من الأوس .

مسجد بنى أنيف

وذكر أنه عليه الصلاة والسلام صلى فى « مسجد بنى أُنَيْف » روى عاصم ابن سويد عن أبيه قال : سمعت مشيخة بنى أُنَيْف يقولون : صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يعود طلحة بن البَرَاء رضى الله عنه قريباً من أُطُمُهم . قال عاصم قال أبى : فأدركتهم يرشُّون ذلك المكان ويتعاهدونه ثم بنوه بعد ، فهو « مسجد بنى أُنَيْف » بقُبَاء ، فلعلّ هذه الدار بين قرية بنى عمرو بن عوف وبين العصبة لأن بنى أُنَيْف بطنٌ من الأوس .

مسجد القرصة

ونقل رَزِين عن يحيى بن أبى قتادة عن مشيخة قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد القرصة » والقرصة : ضيعة لسعد بن معاذ انتهى . فلعلّها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحَرَّة الشرقيّة من جهة الشمال لأنها قريبة[٢] من منازل بنى عبد الأشهل ، وهم رهط سعد ، غير أن المسجد لا يعرف بها اليوم والله أعلم .

مسجد الشيخين

وذكر ابن زَبَالة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم صلَّى فى المسجد الذى عند « الشيخين » وهو موضع بين المدينة وبين جبل أُحُد على الطريق الشرقية مع الحَرَّة إلى جبل أُحُد .

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « هجر » وهو تحريف .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) وفى الأصل : « قرية » وهو تحريف .

وذكر أنه من هناك غدَا إلى أُحُد يوم السبت لأن نزول قريش بالمدينة برومة من وادى العقيق كان يوم الجمعة .

وقال ابن إسحٰق : يوم الأربعاء فصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة بالمدينة ثم لبس لأمَتَهُ وخرج هو وأصحابه على حَرّة واقم السابق ذكرها وبات بالشيخين الموضع المذكور وغدا صبح يوم السبت إلى أُحُد .

مسجد بنى خطمة

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد بنى خطمة » وأنه صلَّى فى « مسجد العجوز » ببنى خطمة ، وهى امرأة من بنى سليم ، وصلَّى فى « مسجد بنى وائل » قبيلتان من الأوس ، ومنازلهم لا يعرف مكانها اليوم إلاّ أن الظاهر أنهم كانوا بالعوالى شرقى مسجد الشمس لأن تلك النواحى كلها ديار الأوْس وما سفل من ذلك إلى المدينة ديار الخَزْرَج .

مسجد بنى وائل

مسجد بنى بياضة

وذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلَّى فى «مسجد بنى بياضة» من الخَزْرَج، فيقال كانت دارهم فيما بين دار بنى سالم بن عوف من الخزرج بوادى رانونا عند مسجد الجمعة إلى وادى بُطْحان قبلى دار بنى مازن بن النجّار لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلَّى الجمعة فى بنى سالم بن عَوْف ركب راحلته فانطلقت به حتى وازت دار بنى بياضة تلقّاه زياد بن لبيد وفروة بن عَمْرو فى رجال من بنى بياضة .

وذكر عن محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، ورواه ابن إسحٰق من طريق آخر ، ورويناه فى سنن أبى داود قال : كنت قائد أبى كعب بن مالك حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلّى على أبى أمامة أسعد ابن زُرَارة ، فكثت حيناً على ذلك لا يسمع الأذان للجمعة إلاّ صلَّى عليه واستغفر له ، فسألته عن ذلك فقال : أى بُنَىَّ ، كان أوّل مَنْ جمع بنا فى المدينة

فى هذا البيت[١] من حَرّة بنى بياضة بموضع يقال له : « بقيع الخضمات »
ــ بَقيع الخضمات بالباء الموحدة كذا وقع فى ذكر الروايات وقيّده البكرى بالنون ــ
قال : قلت : وكم أنتم ؟ قال : أربعون رجلا .

وذكر ابن إسحٰق فى سيرته فى « غزوة العشيرة » أن النبى صلى الله عليه وسلم سلك على نَقْب بنى دينار ثم على فَيْفاء الخَبار فنزل تحت شجرة ببَطْحاء ابن أزْهَر يقال لها : « ذات الساق » فصَلّى عندها فثَمّ مسجدُهُ ، وصُنِع له طعامٌ عندَها فأكل منه وأكل الناسُ معه ، فموضع آثار البُرْمَة معلوم هناك ، واُسْتُقِيَ له من ماء يقال له : « المُشْتَرَب » فيقال : إن فَيْفاء الخَبار غربى الجمّاوات الآتى ذكرها ، وهى الأجبل التى فى غربى وادى العقيق وأرضها سهلة وفيها حجرة وحفائر ــ والفَيْفاء (بفاءيْن بينهما ياء مثناة من تحت) والخَبار (بخاء معجمة وباء موحدة ثم ألف وراء) ــ وهو الموضع الذى كانت ترعى فيه إبلُ الصَّدَقة ولِقاحُ النبى صلى الله عليه وسلم ، ففى رواية أنها إبلُ الصَّدَقة ، وفى أخرى أنها لقاح النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنها كانت ترعى بذى الجدر غربى جبل عَيْر على ستّة أميال من المدينة ، ووجه الجمع أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كانت له إبلٌ وكان يشرب من ألبانها ، وكانت ترعى مع إبلِ الصَّدَقة ، فصَحّ الإخبار عن إبلِه مرّةً وعن إبلِ الصَّدَقة أخرى ، وأن النَّفَر من عُكْل أو عرينة أجتووا المدينة فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقُوا بإبل الصَّدَقة فيشربوا من أبوالها وألبانها فلحقوا بها ، فلما سمنوا وصَحُّوا قتَلوا الراعى ، واُسمه يَسَار مولى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، واُستاقوا الإبل ، فبلغ النبىّ صلى الله عليه وسلم الخبر فبعث فى إثرهم عشرين فارساً واُستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفِهْرِىّ .

---

(١) كذا فى الأصل ونسخة (ب) . وفى نسخة (ا) : « هزم النبيب »

وذكر ابن سعد عن ابن عُقبة أن أمير الخيل يومئذ سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم فأدركوهم وأحاطوا بهم فربطوهم وأردفوهم على خيلهم وردّوا الإبل ولم يفقدوا منها إلاّ لقحة واحدةً من لِقاحه عليه الصلاة والسلام تدعى الحنّاء فسأل عنها فقيل نحرُوها ، فلما دَخلوا بهم المدينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة فى ماء أسفل المدينة ـ وسيأتى ـ فخرجوا بهم نحوه فلقوه بالزغابة وهو راجع إلى المدينة ـ والزغابة : مجمع سَيْل قناة وسَيْل بُطْحان ، معروفة لآن ـ فأمر بهم صلى الله عليه وسلّم فقُطِعَت أيديهم وأرجلهم وسُمِلَت أعينهم وصُلِبُوا هناك ، فهذه جملة المساجد التى لا تعرف إلاّ نواحيها .

تتمه

المساجد التى نقل أن النبى صلى فيها بين مكة والمدينة

أما التتمة ففى ذكر المساجد التى نُقِلَ أن النبى صلى الله عليه وسلم صلَّى فيها بين مكة والمدينة وأشتهرت فى غزوة وغيرها منها : « مسجد ذى الحُلَيْفَة » قيل : وهى تصغير الحَلَفة (بتحريك اللام) [واحدة الحَلْفاء بإسكانها][1] : ماء لبنى جُشَم على أربعة أميال من المدينة،وقيل ستة ، وهى المعروفة ببئر علىّ والله أعلم، وهى مُحْرَم الحجّاج ، ميقات أهل المدينة ومن مرّ بها كما فى الصحيح ، وروينا فى

مسجد ذى الحلفية

صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : بات رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحُلَيْفَة مبدأه وصلَّى فى مسجدها .

وروى الزُبَير بن بكاّر بسنده إلى نافع أن ابن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى الحُلَيْفة حين يعتمر وفى حجّته حين حجّ تحت سمرة فى موضع المسجد الذى بذى الحُلَيْفة ، فيقال إنه المسجد الكبير الذى

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

هناك ، وكان فيه عقودٌ فى قبلته ومنارة فى ركنه الغربى الشمالى فتهدّم على طول الزمان ، وهو مبنىٌّ فى موضع الشجرة التى كانت هناك ، وبها سُمّى « مسجد الشجرة » . وفى قبلة هـذا المسجد مسجدٌ آخر أصغر منه ولا يبعد أن يكون النبىّ صلى الله عليه وسلم صلَّى فيه أيضاً ، وبينهما قدرُ رَمْيَة سهم أو أكثر قليلا .

مسجد الشجرة

وروى الزُّبير بن بكّار أيضاً رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم صلَّى فى « مسجد الشجرة » إلى جهة الأسطوانة الوسطى وأستقبلها ، وكان موضع الشجرة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم صلَّى إليها .

وروينا فى مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أستوت به راحلته قائمة عند مسجد ذى الحُلَيْفَة أهَلّ فقال : « لَبَّيْكَ » وأتمها والأولى أن لا يتعدّى الحاجّ فى نزوله المسجد المذكور وما حَوْلَه من القبلة والغرب والشام بل يحرص على أن لا يبعد عن النزول حول المسجد وكثير من الحجّاج يتجاوزون ماحَوْلَ المسجد إلى جهة الغرب ويصعدون إلى البيداء فيتجاوزون الميقات [بيقين][1] وتحصُل الإساءة .

قال أبن عمر رضى الله عنهما : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من حجّ أو عُمْرة وكان بذى الحُلَيْفَة هَبَطَ بَطْنَ الوادى [وادى العقيق وإذا ظهر من بطن الوادى][1] أناخ بالبطحاء التى على شَفِير الوادى الشرقية عَرّسَ ثَمّ حتى يصبح ، فيصلِّى الصبح ليس عنـد المسجد الذى هناك ولا على الأكمة التى عليها المسجد ، كان ثَمّ خليجٌ يصلِّى عنده عبد الله فى بطنه كُثُبٌ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلِّى ثَمّ فَدَحا السيلُ فيـه بالبطحاء حتى دفن ذلك المـكان الذى كان عبد الله يُصَلِّى فيه .

مسجد شرف الروحاء

ومسجدٌ بشَرَف الرَّوْحَاء فبسند أبن الزُّبير إلى عبد الله قال : صلَّى رسول

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الله صلى الله عليه وسلم بشَرَف الرَّوْحاء عن يمين الطريق وأنت ذاهبٌ إلى مكة ، وعن يسارها وأنت مقبلٌ من مكة .

موقع شرف الروحاء

وأعلم أن شَرَف الرَّوْحاء هو آخر السَّيَّالة وأنت مُتوجِّة إلى مكة، وأول السَّيَّالة إذا قطعت فرش مَلَل وأنت راجعٌ منها ، وكانت الصُّخَيْرات صُخَيْرات الثمام[1] عن يمينك وهبطت من مَلَل ثم رجعت على يسارك واستقبلت القبلة فهذه السَّيَّالة ، وكانت قد تجدَّد فيها بعد النبي صلى الله عليه وسلم عيونٌ وسكانٌ ، وكان لها وَالٍ من جهة و إلى المدينة ولأهلها أخبارٌ وأشعارٌ ، وآثار البناء بها والأسواق ، وآخرها الشرف المذكور وعنده المسجد ، و بقُرْبه قبورٌ قديمةٌ ولعلَّها مدفن أهل السيَّالة .

مدفن أهل السيالة

ثم تهبط فى وادى الرَّوْحاء ويعرف اليوم بوادى بنى سالم : ــ بطن من حَرْب عَرَب الحجاز ــ فتمشى مستقبل القبـلة وشعب علىّ رضى الله عنه على يسارك إلى أن يدور بك الطريق إلى الغرب وأنت مع أصل الجبل الذى عن يمينك ، فأوَّل ما يلقاك مسجدٌ على يمينك فيه أثر قبور كثيرة فى قبلته قد تهدَّم على طول الزمان صلَّى فيه رسول الله صلى عليه وسلم ، ويعرف ذلك المكان « بعِرْق الظُّبْيَة » ويبقى جبل وَرِقَان على يسارك ، وفى المسجد حَجَرٌ قد نُقِشَ فيه بالخطّ الكوفىّ عند عمارته : « الميل الفلانى من البريد الفلانى » .

أول غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم

وذكر الزُّبَيْر بسنده إلى ابن عُمَر قال : أوَّل غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه غزوة الأَبْوَاء حتى إذا كان بالرَّوْحاء عند عِرْق الظُّبْيَة قال : « أتدْرُون ما اسمُ هذا الجبل ــ يعنى وَرِقَانَ ــ هذا حمتٌ اللهمّ بارك فيه و بارك لأهله فيه ، أتدْرُون ما اسم هذا الوادى ــ يَعْنِي وادى الرَّوْحاء ــ هذا سجاسج ، لقد صلَّى فى هذا المسجد قَبْلِي سبعون نبيًّا ، ولقد مرّ بها ــ يَعْنِي الرَّوْحاء ــ موسى ابن عِمْران صلى الله عليه وسلم فى سبعين ألفاً من بنى إسرائيل عليه عَبَاءتَانِ قَطَوانِيَّتَانِ على ناقةٍ له وَرْقَاء ولا تقوم الساعة حتى يمرّ بها عيسى بن مريم حاجًّا أو معتمراً و يجمع الله له ذلك » .

---

(١) الثمام (بالثاء المثلثة المضمومة) : نبت ضعيف له خوص أو شبه بالخوص وربما حشيت به الوسائد كما فى معجم البلدان لياقوت . وفى الأصل : « اليمام بالياء »

وذكر أبو عُبَيد البكرىّ : أن قبر مُضَر بن نِزَار بالرَّوْحاء على ليلتين من المدينة ، بينهما واحدٌ وأربعون ميلاً .وفى صحيح مسلم أن ما بين الرَّوْحاء والمدينة ستة وثلاثون ميلاً .

ومسجد فى آخر وادى الرَّوْحاء مع طَرَف الجبل على يسارك وأنت ذاهبٌ إلى مكة لم يبق منه إلاّ عَقْدُ الباب ، بل ولا عَقْدُ الباب ، وإنما بقى رسومه ويعرف الآن « بمسجد الغزالة » وقد صلَّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبلٌ النازية : موضع ينزل فيه ويقول : هذا منزل النبىّ صلى الله عليه وسلم [وكان ثَمَّ شجرة[1]] كان عبدالله بن عمر — رضى الله عنهما — إذا نزل هذا المنزل وتوَضأ صَبَّ فضل وَضُوئه فى أصل هذه الشجرة ويقول : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل .

مسجد الغزالة

وورد أنه كان يدور بالشجرة أيضاً ثم يصبُّ الماء فى أصلها أتباعاً للسنَّة ، وليس اليوم بطريق مكة مسجدٌ يعرف غير هذه الثلاثة مساجد ، وإذا كان الإنسان عند مسجد الغزالة كانت طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة على يساره مستقبل القبلة ، وهى الطريق المعهودة من قديم الزمان ، ثم على بئر يقال لها «الشُّقيا» ثم على ثَنِيَّة هرشى وهو طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والطريق اليوم من طرف الرَّوْحَاء على النازية إلى مضيق الصفراء ، والمساجد التى من الرَّوْحاء إلى مكة مذكورة فى كتب الصحاح وغيرها وليس منها اليوم شىء معروف ، نعم ذكر البخارى فى الصحيح وكذلك ابن زَبالة عـدّة مساجد فى أماكن معروفة لـكن المساجد لا تعرف ، فمنها مسجد كان على يمين الطريق المذكورة فى مكان سهل بَطْحاء تجده حين تقضى من أكَمَة دون

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الرُّوَيْثة بميلين تحت سرحة ضخمة قد انكسر أعلاها فانثنى فى جوفها وهى قائمة على ساق ، والرُّوَيْثة معروفة هناك .

مسجد بطريق تلعة

و«مسجدٌ بطريق تَلْعَة» وراء العَرْج وأنت ذاهبٌ إلى مكة عن يمين الطريق على رأس خمسة أميال من العَرْج إلى هَضَبة هناك عندها ثلاثة أقبر ، ورضم من حجارة بين سلمان هنالك ، كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يروح من العَرْج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلِّى الظهر فى هذا المسجد . والعرج معروف .

و«مسجدٌ » عن يسار الطريق وأنت ذاهبٌ إلى مكة فى مسيل دون ثنيَّة هرشى إلى سرحةٍ هي أقرب السرحات إلى الطريق وهى أطولهن . و « عقبة هرشى » معروفة سهلة المسلك وفيها طول .

مسجد بالأثاثة

و « مسجد بالأثاثة » وليست بمعروفة اليوم .

مسجد بوادى مر الظهران

و «مسجد فى المسيل الذى بوادى مَرِّ الظَّهْران » حين تهبط من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهبٌ إلى مكة ، ومَرُّ الظَّهْران هو بطن مرّ المعروف وليس المسجد بمعروف اليوم[1] .

مسجد بذى طوى

و«مسجد بذى طُوى » كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل بذى طُوى، ويبيت فيه حتى يصلِّى الصبح . ووادى طوى معروف بين الثَّنِيَّتَيْن بمكة . ومُصَلَّى النبىّ صلى الله عليه وسلم على أكمةٍ سوداء تدعُ من الأكمة عشرة

(١) كتب فى هامش نسخة الأصل مانصه : « ويقال إنه المسجد المعروف الآن بمسجد الفتح والله أعلم » .

أذرع أو نحوها يميناً ثم تصلّى مستقبل الفَرْضَتَيْن من الجبل الطويل الذى بينك وبين الـكعبة وليس بمعروف اليوم .

فهذه جميع المساجد فى طريق النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا خرجتَ من وادى الرَّوْحاء ثم تياسَرْتَ واُستقبلتَ القبلة إلى مكة .

وذكر أيضاً أن النبىّ صلى الله عليه وسلم نزل بالدَّبّة المستعجلة من المضيق واُستقى له من « بئر الشعبة » الصابّة أسفل من الدَّبة فهو لا يفارقها ماء أبداً ، فيقال إن المستعجلة هى المضيق الذى يصعد منه الحاجّ إذا قطع النازية وهو متوجّه إلى الصفراء .

نزول النبى بشعب ثبير وتقسيمه غنائم أهل بدر

وذكر اُبن إسحٰق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل « بشعب ثَبِير »[1] وهو الشعب الذى بين المستعجلة والصفراء وقَسَّم به غنائم أهل بَدْرٍ ، ولا يزال فيه الماء غالباً .

مسجد الصفراء

وذكر اُبن زَبَالة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم صَلّى فى « مسجد الصفراء » وفى مسجد آخر بموضع يسمّى « ذات أجدال » من مضيق الصفراء ، [وفى مسجد آخر بذَفِران : واد معروف يصبّ فى الصفراء][2] من جهة الغرب ، وأنهم حفروا بئراً فى موضع سجود النبىّ صلى الله عليه وسلم وَجَدُوا الماء بها[3] فضلاً من العذوبة على ما حَوْلها .

قبر عبيدة ابن الحارث

واُعلم أن قبر عبيدة بن الحارث بن هاشم بن عبد مناف بذَفِرَان ، مات

---

(١) كذا فى نسختى (١) و (ب) . وفى الأصل : « بئر » وهو تحريف .
(٢) التكملة من نسختى (١) و (ب) .
(٣) كذا فى الأصل وفى نسختى (١) و (ب) : « لمائها » .

في الصفراء من جراحة أصابته ببدر فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أسنّ بنى عبد مناف رحمه الله ورضى الله عنه .

وذكر أيضاً أنه نزل فى موضع المسجد الذى بالبَرُود من موضع الفرع وصلّى فيه ، وأنه عليه الصلاة والسلام صلّى مطلعه من طريق مبرك فى مسجد هناك بينه وبين زعان ستة أميال .

فهذه جميع المساجد التى ذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلّى فيهما بين مكة والمدينة .

المساجد التى صلى فيها النبىّ صلى الله عليه وسلم بين المدينة وتبوك

المساجد التى صلى فيها النبى بين المدينة وتبوك

وذكر محمد بن إسحٰق وأبن زَبَالة والحافظ عبد الغنى المساجد التى صلّى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المدينة وتَبُوك فمنها : « مسجد تَبُوك » قال أبن زَبَالة : ويسمّى « مسجد التوبة » ويقال إنه من المساجد التى بناها عمر أبن عبد العزيز . و « مسجد بثنيّة مَدِرَان » (بفتح الميم وكسر الدال المهملة) تلقاء تَبُوك . و « مسجد بذات الزِّرَّاب » (بتشديد الزاى وكسرها بعدها راء مهملة) على مرحلتين من تَبُوك . و « مسجد بالأخضر » على أربع مراحل من تَبُوك . و « مسجد بذات الخَطِيم » (بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة) على خمس مراحل من تَبُوك . و « مسجد بَالاَ » (بفتح أوّله وثانيه) على خمس مراحل أيضا من تَبُوك . و « مسجد بطرف البتراء » تأنيث أبتر. قال أبن إسحٰق : من ذَنَب كواكب ، وقال أبو عُبَيد البكرىّ : إنما هو كوكب ، وهو جبل فى تلك الناحية فى بلاد بنى الحارث بن كعب. و « مسجد بشقّ تَارَا » (بالتاء المثناة من

مسجد التوبة

مسجد بالا

فوق ثم راء مهملة) ، قال أبن إسحٰق وأبن زَبَالة : مسجد بذى الحليفة ، وقال الحافظ عبد الغنى المقدسىّ عن الحــاكم . و « مسجد بالشوشق » . و « مسجد بصدر حَوْضَى »(بالحاء المهملة والضاد المعجمة مقصورة) . و « مسجد بالحجر ». و « مسجد بالصعيد » صعيد قُزَح . و « مسجد بوادى القِرَى » قال الحافظ : قال الحاكم فى مسجد الصعيد المذكور : وهو اليوم « مسجد وادى القِرَى » . و « مسجد بالرُّقْمَة » على لفظ رُقْمَة الثوب ، قال أبو عُبَيد البكرىّ : أخشى أن يكون بالرقة (بالميم) من الشقّة شقّة بنى عذرة . و « مسجد بذى المروة » على ثمـانية بُرُدٍ من المدينة ، كان بها عيونٌ ومَزَارعُ و بساتينُ وأثرها باقٍ إلى اليوم وكانت من أعمال المدينة . و «مسجد بفَيْفَاء الفحلتين» وهى من عمل المدينة أيضاً ، وكان بها عيونٌ و بساتينُ لجماعة من أولاد الصحابة وغيرهم ، منهم أزهر بن مكمل بن عَوْف القرشىّ الزهرىّ، وكان فاضلا ناسكاً ، و يقال إنه ذكر للخلافة وأبوه أبن عمّ عبد الرحمن بن عَوْف ، مات بفَفَيْفَاء الفحلتين ، تولّى دفنه أبن عمّه حفص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والفَيْفَاء ممدودة بفاءين . و«مسجد بذى خُشُب »(بضمّ الخاء والشين المعجمتين و باء موحدة) على مرحلة من المدينة، ثم نَزَل صلى الله عليه وسلم « بذى أوان » : موضع بينه و بين المدينة ساعة ولم يذكر أنه صلّى فيه .

مسجد وادى القرى

وأعلم أن من مشهور المساجد «مسجد بعصر»: موضع على مرحلة من المدينة صلّى فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم عند خروجه إلى خيبر . و « مسجد بالصَّهْباء » وهى أدنى [من][1] خيبر ، روى مالك بسنده إلى سويد بن النعمان رضى الله عنه أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصَّهْباء وهى أدنى

مشهور المساجد التى صلى فيها النبى

(١) التكملة من نسختى (١) و (ب) .

من خيبر نزل فصلَّى العصر ثم دعا بالأزْواد فلم يُؤْتَ إلا بالسويق فأكلَ وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلّى ولم يتوضّأ والمسجد بها معروف .

مسجد ببدر

و « مسجد ببدر » كان عند العريش الذى بُنِىَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وهو معروف اليوم بها يصلى فيه ببطن الوادي بين النخيل والعين قريب منه .

مسجد بثنية العشيرة

و « مسجد بثنيَّة العشيرة » من بطن يَنْبُع وهو كبير معروف هناك .

مسجد بالحديبية

و « مسجد بالحُدَيْبِيَة » لا يعرف اليوم بل يقال إن مكة ليس فيها أحدٌ يعرف الحُدَيْبِيَة بعينها وإنما يعرفون الجهة لا غير .

مسجد لية

و « مسجد لِيَّة » من أرض الطائف ، بين وادى الطائف ووادى لِيَّة قريب من ثمانية أميال ونحوها .

قال ابن إسحٰق : سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين متوجّها إلى الطائف على نخلة اليمانية ، ثم عَلَى قرن وهو مهل أهل نجد ثم عَلَى المليح ثم عَلَى بَحْرَة الرّغا من ليّة فابتنى بها مسجداً وصلَّى فيه ، وهو معروف اليوم فى وسط الوادى ، وعنده أثرٌ فى حَجَر يقال إنه أَثر خُفّ ناقة النبىّ صلى الله عليه وسلم وقاد النبىّ صلى الله عليه وسلم بِبَحْرة الرّغا حين نزلها بدم وهو أوّلُ دمٍ أُقِيدَ فى الإسلام ، رجلٌ من بنى ليث قتل رجلا من هُذَيل فقتله به .

قال ابن إسحٰق : ثم سلك من لِيَّة على نخب وهى عقبة فى الجبل حتى نزل [تحت][١] سدرة يقال لها الصادرة ، ثم ارتحل فنزل بالطائف وكان قد نزل

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

قريباً من حصن الطائف فقتل جماعة من الصحابة بالنَّبْل فانتقل منه إلى موضع مسجده الذى بالطائف اليوم ، وهو جامع كبير فيه منبر عمل فى أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء ، وفى ركنه الأيمن القبلى [الشمالى][1] قبر عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب فى قُبَّة عالية .

مسجد الطائف
قبر عبد الله ابن العباس

ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحن هذا الجامع بين قُبَّتَين صغيرتين يقال إنهما بنيتا فى موضع قُبَّـتَىْ زوجتيه صلَّى الله عليه وسلم اللتين كانتا معه: عائشة وأمّ سلمة .

قال المطرىّ : ورأيتُ بالطائف شجراتٍ من السِّدْر يذكر أنهنّ من عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ينقلُ ذلك خَلَفُ أهل الطائف عن سَلَفهم ، فمنهنّ واحدة دَوْرُ جذورها خمسة وأربعون شبراً ، وأُخرى تزيد على الأربعين ، وأُخرى سبعة وثلاثون ، قال : وكلّ ذلك شَبَرْتُه ، وأُخرى يذكر أن النبىّ صلى الله عليه وسلم مرّ بها وهو على راحلته فانفرق جَذْرها نصفين يدخل الراكب بينهما ، يذكرون أن ناقته عليه الصلاة والسلام دخلت من بينهما وهو ناعسٌ والله أعلم بصحة ذلك . قال : ورأيتُها سنة تسع وعشرين وسبعمائة قد وقعت وجَذْرها مُلْقَى لا يمسّه أحدٌ لحرمته .

وذكر ابن زَبَالة أيضاً أن النبىّ صلى الله عليه وسلم نزل حين وصل إلى خيبر بين أهل الشقّ وأهل النطاة وصلّى إلى عَوْسَجَةٍ هنالك وجعل حول مُصَلَّاه أحجاراً يُعْرَف بها ، وأنه عليه الصلاة والسلام صلّى على رأس جبل بخيبر يقال له « شمران » فهنالك مسجد من ناحية سهم بنى النزار ، ويعرف هذا الجبل اليوم بسمران (بالسين المهملة) .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ميلان فى ميلين من خيبر مقدّس »

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

وأنه صلى الله عليه وسلم قال : « نعم القرية في ثنيّات المسيح خيبر » يعنى الدجّال

وروى أيضاً عن سعيد بن المسيّب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« خيبر مقدّسة والسوارقية مؤتفكة » .

وروى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه قال : « من بَنَى بيتاً بَنَى الله له بيتاً في الجنة ولو مثل مَفْحَص القَطَاة» قالت : فقلت : يا رسول الله ، والمساجد التى بين مكة والمدينة .

الفصل الثالث

فى ذكر الآبار المنسوبة إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم

ذكر الآبار المنسوبة إلى النبى (بئر أريس)

منها : « بئر أَرِيس » بقُباء غربى المسجد الشريف .

روينا فى صحيح مسلم من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه توَضّأ فى بيته ثم خرج فقال : لألزمنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأكونَنّ معه يومى هذا ، فجاء إلى المسجد فسأل عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : خرج وَجْهَ هاهنا ، قال : فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل « بئر أَرِيس » قال : فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتَوضّأ وقمتُ إليه فإذا هو قد جلس على « بئر أَرِيس » وتوسّطَ قُفّها وكَشَفَ عن ساقَيْه ودلاّهما فى البئر ، قال : فسلمت عليه ثم انصرفتُ فجلستُ عند الباب فقلتُ لأكُونَنّ بوّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر الصدّيق فدفع الباب فقلتُ : مَنْ هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقلتُ : على رِسْلِكَ ، قال : ثم ذهبتُ فقلت : يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأْذِن ، فقال : « ائْذَنْ له وبَشّرْه بالجنّة » فأقبلتُ حتى قلت لأبى بكر : أُدخُلْ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشّرك بالجنّة ، قال : فدخل أبو بكر فجلس على يمين النبىّ صلى الله عليه وسلم معه فى القُفّ ودَلى رجلَيْه فى البئر كما صَنَع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكَشَفَ عن ساقَيْهِ ، ثم رجعتُ فجلستُ وقد تركتُ أخى يتوضّأ ويلحقنى ، فقلتُ : إن يُرِدِ الله بفلانٍ خيْراً يأتِ به وإذا إنسانٌ يحرّكُ الباب ، فقلتُ : مَنْ هذا ؟ فقال : عمر بن الخطّاب ، فقلتُ : على رِسْلِكَ ، ثم جئتُ رسولَ الله

صلى الله عليه وسلم فسلّمتُ عليه وقلتُ : هذا عُمَر يستأذِن ، فقال : « إئْذَنْ له وبشِّره بالجنّة » فجئتُ عُمَر رضى الله عنه فقلت : أُدخُلْ ويبشّرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنّة قال : فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القُفِّ عن يساره ودلَّى رجلَيْه فى البئر ، ثم رجعتُ فجلستُ فقلت : إن يُرِدِ الله بفلان خيراً — يعنى أخاهُ — يأْتِ به ، فجاء إنسانٌ فحرّك الباب فقلتُ : مَنْ هذا ؟ قال : عثمان بن عفّان ، فقلت : على رِسْلِكَ ، قال : وجئتُ النبىّ صلى الله عليه وسلّم فأخبرته فقال : « ائْذِنْ له وبشِّرْهُ بالجنّة مع بَلْوَى تُصِيبُه » فقلتُ : أُدخُل يبشِّرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنّة مع بَلْوَى تُصِيبُك ، قال : فدخل فوجد القُفَّ قد مُلِئَ فجلسَ وجاهَهُم من الشقّ الآخر . قال شريك : فقال سعيد بن المسيِّب : فأَوّلْتُها قبورهم .

وروينا فى صحيح البخارى من حديث أَنَس قال : كان خاتَمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده وفى يد أبى بكر بعده وفى يد عمر بعد أبى بكر ، قال : فلما كان عثمان جلس على « بئر أَرِيس » فأخرج الخاتَم فجعل يعبث به فسَقَطَ ، قال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان فنزح البئر فلم نجده . قيل : وعلّق عليها أثنى عشر ناضحا فلم يقدر عليه حتى الساعة والله أعلم . فيقال : إن ذلك كان لتمام ستّ سنين من خلافته ، فمن ذلك اليوم حصل فى خلافته ما حصل لفوات بركة الخاتَم .

قيل : وفى مُسْنَد الحميدىّ من رواية نافع عن أبن عُمَر أنه سقط من معيقيب فى « بئر أَرِيس » ولهذا تردَّدَ أبن زَبَالة بقوله : فهو الخاتَمُ الذى سَقَط من عثمان أو من معيقيب فى « بئر أَرِيس » والله أعلم .

وروى أبن النجّار أنه ذرع طولها فكان أربعة عشر ذراعا وشبراً منها ذراعان ونصف ماء ، وعرضها خمسة أذرع ، وطول قفّها الذى جلس عليه النبىّ

صلى الله عليه وسلم وصاحباه ثلاثة أذرع يشفّ كفاً وهى تحت أُطُمٍ عالٍ خرابٍ من جهة القبلة ، وقد بنى فى أعلاه مسكن .

ونقل ابن زَبَالة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نهى الأنصار أن يهدموا آطامهم وقال : « إنها من زينة المدينة » والله أعلم .

وقد جدّد لها صفىّ الدين السلامى رحمه الله دَرَجاً وعليه قَبْوٌ ينزل إليها منه مَنْ يريد الشُّرْب أو الوضوء فى سنة أربع عشرة وسبعمائة .

بئر غرس

ومنها : « بئرُ غَرْس » فبسند ابن النجّار إلى سعيد بن عبد الرحمن بن رشيق قال : جاءنا أنس بن مالك بقُبَاء فقال : أين بئركم هذا ؟ — يعنى بئر غَرْس — فدلّلناه عليها ، قال : رأيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم جاءها وأنها لَتَسْنَى على حِمَارٍ بسَحَرٍ فدَعَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بدَلْوٍ من مائها فتوضأ منه ثم سكبه فيها فما نَزِفَتْ بَعْدُ . قيل : ورواه الحافظ أبو نعيم لكن عن سعيد ابن عبد الرحمن ابن رشيق بلفظه والله أعلم .

وروى ابن النجّار أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : رأيت الليلة أنى أصبحت على بئرٍ من الجنة فأَصبحَ على « بئر غَرْس » فتوضأ منه وبزق فيها . قيل : وأُهْدِىَ له عَسَلٌ فصبَّهُ فيها ، زاده ابن زَبَالة والله أعلم .

وغسل منها حين توفّى صلى الله عليه وسلم ، قيل لو صيّته والله أعلم ، وبينها وبين مسجد قُبَاء نحو نصف[1] ميل ، شرقى مسجد قُبَاء إلى جهة الشمال ، وهى بين النخيل وتعرف ناحيتها بها ، وكانت قد خربت ُفجدّدت بعد السبعمائة

(١) كذا فى جميع الأصول . وكتب بهامش الأصل مانصه : « لعله زيادة عن أربعة أميال » .

وهى كثيرة المـاء . قال المطرىّ : عرضها عشرة أذرع وطولها يزيد على ذلك لـكن قال ابن النجّار : ذرعتها فـكان طولها سبعة أذرع شاقّة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع والله أعلم .

بئر البصة

ومنها : « بئر البُصَّة » فبسنده أيضا إلى أبى زيد عن أبى ربيح بن عبد الرحمن ابن أبى سعيد الخُدْرِىّ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى الشهداء وأبناءهم ويتعاهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوما أبا سعيد الخُدْرِىّ فقال : « هل عندك من سِدْرٍ أغسلُ به رأسى فإنّ اليومَ الجمعة » قال نعم ، فأخرج له سِدْراً وخرج معه إلى البُصَّة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصبّ غسالة رأسه ومراقة شعره فى البُصَّة .

وهذه البئر قريبة من البَقِيع على يسار السالك إلى قُبَاء وهى فى حديقة كبيرة محوط عليها بحائط ، وعندها فى الحديقة أيضاً بئرٌ أصغر منها . وابن النجّار قاطعٌ بأنها الـكبرى القبليّة لأنه ذكر أن عرضها تسعة أذرع وطولها أحد عشر ذراعا ، والصغرى عرضها ستة وهى التى تلىّ أُطُم مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخُدْرِىّ رضى الله عنه وقد سبق ، وهى من شرقيّه فربّما يختلف فيها ، ورجّح المطرىّ أيضا ما جزم به ابن النجّار والحديقة التى هو فيها وقفها عزيز الدولة ريحان البدرىّ على الفقراء والمساكين ، توفى سنة سبع وتسعين وستمائة ، وكان شيخاً لخدّام الحرم الشريف .

بئر حاء

ومنها : « بئرُ حاَء » روينا فى صحيح البخارى من حديث أنَس بن مالك قال : كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخيل ، وكان من أحبّ أمواله إليه « بئر حاء » وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيّبٍ ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية : (لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وإنّ أحَبَّ أموالى إلىّ « بئرُ حاء » وأنها صدقةٌ لله أرجو بِرَّها وذُخْرَها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَخٍ بَخٍ ذلك مالٌ رابحٌ وقد سَمِعْتُ ماقُلْتَ وإنّى أرى أن تجعلها فى الأقْرَبين » قال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمّه فصارت لأُبَىّ وحسّان كما فى الصحيح .

ونقل ابن زَبَالة أنهم تقاوموه فصار لحسّان فباعهُ من معاوية بن أبى سُفْيان بمائة ألف ، والله أعلم .

وهذه البئر وسط حديقة صغيرة فيها نخلٌ ، وهى شمالى سورة المدينة الشريفة ، بينها وبين السور الطريق وتُعرَف الآن بالنويرية ، اشتراها بعض نساء النويريين وأوقفتها على الفقراء والمساكين فنسبت إليها .

قال ابن النجّار : ذرعتها فكان طولها عشرين ذراعاً منها أحد عشر ذراعاً ونصف ماء والباقى بنيان ، وعرضها ثلاثة أذرع وشىء يسير وهى كما ورد مستقبلة المسجد .

بئر بضاعة

ومنها : « بئر بُضَاعَة » وهى غربى بئرُ حاء إلى جهة الشمال ، روينا فى سُنَن أبى داود من حديث أبى سعيد الخُدْرِىّ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقال له : إنه يُسْتَقَى لك من « بئر بُضَاعة » وهي بئرٌ تُلْقَى فيها لُحُومُ الكلاب والمحايض وعذر الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماء طهور لا ينجّسه شىء » .

ونقل ابنُ معين[1] أن إسناده جيّد ، وفى رواية الدارقُطْنى « بئر بُضَاعة » بئر

---

(١) كذا فى نسختى (١) و (ب) . وفى الأصل : « ونقل عن ابن معين بإسناد ... الخ » .

بنى ساعدة وبها يُتَرَجَّح أن سَقِيفتهم كانت عندها خلافاً لرَزِين حيث زعم أنها معروفة بقُبَاء والله أعلم .

وبسند ابن النجّار إلى محمد بن أبى يحيى عن أمّه قالت: دخلنا على سهل بن سعد فى نسوة فقال : لو أنى سقيتكنّ من بئر بُضَاعة لكَرِهْتُنّ ذلك ، وقدوالله سقيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى منها . وبه إلى عبد المهيمن بن عباس ابن سهل بن سعد عن أبيه عن جدّه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق فى بئر بُضَاعة . وبه إلى أبى أسيد[1] عن أبيه عن جدّه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لبئر بُضَاعة .

قال أبوداود فى سننه : سمعتُ قتيبة بن سعيد يقول : سألت قَيِّمَ بئر بُضَاعة عن عُمْقها فقلتُ : أكثر ما يكون فيها الماء ، قال : إلى العانَة، قلتُ : فإذا نقص، قال : دون العَوْرَة ، قال أبو داود ، وقدّرْتُ بئر بُضَاعة بردائى مددته عليها ثم ذرعته فإذا عرضه ستة أذرع ، وسألتُ الذى فتح [لى باب][2] البُستان فأدخلنى إليه : هل غُيِّرَ بناؤُها عما كانت عليه ؟ فقال لا .

وقال ابن النجّار : ذرعتها فكان طولها أحدَ عشرَ ذراعاً وشبراً منها ذراعان راجحة ماء والباقى بناء ، وعرضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود ، وهى الآن فى حديقة فى قبلة البئر ويستقى منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر ، وهى بينها ، وهى بئر مليحة وماؤها الآن طيِّب عَذْب .

ومنها : « بئر رُومَة » روينا فى صحيح البخارى من حديث أبى عبدالرحمن السلمىّ أن عثمان بن عفّان رضى الله عنه حيثُ حُوصِرَ أشرف على الناس [و] قال:

بئر رومة

---

(١) كذا فى نسخة (ا) و (ب) . وفى الأصل : « سعيد » .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

« أنشدكم ولا أنشد إلاّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ حفر بئر رُومة فله الجنّة فحفرتها ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ جهّز جيشُ العُسْرة فله الجنّة فجهّزتهم » قال : فصدّقوه بما قال .

وبسند ابن النجّار إلى موسى بن طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الحفيرةُ حفيرة المزنى » يعنى رُومة، فلما سمع بذلك عثمان رضى الله عنه ابتاع نِصْفَها بمائة بكرة وتصدّق بها ، فجعل الناس يستقون منها ، فلما رأى صاحبُها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باعَ من عثمان النصف الباقى بشىء يسير فتصدّق بها كلها .

وذكر أبو عمر بن عبد البرّ أن « بئر رُومة » كانت ركية ليهودىّ يبيع من المسلمين ماءها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من يشترى رُومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه فى دلائهم وله بها مشرب فى الجنّة » فأتى عثمانُ — رضى الله عنه — اليهودىّ فساومَهُ فأبى أن يبيعها كلها فاشترى عثمانُ نصفَها باثنى عشر ألف درهم فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان رضى الله عنه: إن شئتَ جعلت نصيبى قربتَيْن[1] ، وإن شئتَ فلى يومٌ ولك يومٌ ، قال : بل لك يوم ولى يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى ذلك اليهودىّ قال : أفسدت علىّ ركيتى ، فاشترِ النصفَ الآخر ، فاشتراه بثمانية آلاف .

ونقل البغوىّ فى مسنده من حديث بشير بن بشير الأسلمىّ عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجلٍ من غفار عَيْنٌ يقال لها

---

(١) كذا فى نسختى (١١) و (ب) . وفى الأصل : « غربين » وهو تحريف

رُومَة ، وكان يبيع منها القربة بمدّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تبيعها بعَيْنٍ في الجنّة ؟» فقال : يا رسول الله ، ليس لى ولا لعيالى عينٌ غيرها ولا أستطيع ذلك ، قال : فبلغ ذلك عثمان بن عفّان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : أتجعل لى مثل الذى جعلت له عيناً فى الجنّة إن اشتريتها ؟ قال : « نعم » قال : فقد اشتريتها وجعلتها للمسلمين .

وروى الزبير[١] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الصّدقة صدقة عثمان » يعنى « بئر رُومَة » والله أعلم .

وهذه البئر وسط وادى العقيق من أسفله فى براح واسع من الأرض وعندها بناء بالحجر والجصّ عالٍ متهدّم يقال إنه كان ديراً لليهود شمالى مسجد القبلتين بعيداً منه ، وحولها آبارٌ ومزارعُ وهى قبلى الجُرْف المعروف .

قال ابن النجّار : وقد انتقضت خرزتها وأعلامها إلا أنها بئر مليحة جدًّا مبنيّة بالحجارة الموجهة وذرعتها فكان طولها ثمانيةعشرَ ذراعا منها ذراعان ماء ، و باقيها مطموم بالرمل الذى تسفيه الرّياح فيها ، وعرضها ثمانية أذرع وماؤها طيّب حُلو ، ثم قال : واعلم أن هذه الآبار [المذكورة[٢]] قد يزيد ماؤها فى بعض الأزمان عمّا ذكرنا وقد تَنقُص وربّما بقى[٣] منها ما كان مطموماً .

قال المطرىّ : وقد خربت هذا البئر ـ يعنى رُومَة ـ ونقضت حجارتها وأخذت وانطمت ولم يبق اليوم منها إلا أثرها .

وينبغى أن يعلم أنها جُدِّدتْ بعد ذلك ورُفِـع بنيانُها عن الأرض نحو قامة ونُزِحَت فـكثر ماؤها ولله الحمد ، أحياها كذلك القاضى شهاب الدين أحمد بن

---

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) .وفى الأصل : « ابن الزبير» .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٣) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : » نقى » بالنون فى أوله .

محمد بن محمد بن المحبّ الطبريّ القاضى بمكة المشرّفة فى حدود الخمسين وسبعمائة أحسن الله جزاه .

وفى الصحيح من يحفر بئر رُومَة فله الجنّة ، وقد حفرها عثمان فيتناوله العموم إن شاء الله تعالى والله أعلم .

عين النبى صلى الله عليه وسلم

وأما « عين النبيّ صلى الله عليه وسلم » فقد روى ابن النجّار بسنده إلى طلحة بن خِرَاش قال : كانوا أيام الخَنْدَق يخرجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخافون البيات فيدخلون به كَهْفَ بنى حرَام فيبيت فيه حتى إذا أصبح هبط قال : وبَقَر[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم العَيْن[٢] التى عند الكهف فلم تزل تجْرى حتى اليوم ، ثم قال : وهذه العين فى ظاهر المدينة وعليها بناء، وهى مقابلة المصلَّى ، والكَهْفُ الذى ذكر معروفٌ فى غربى جبل سَلْع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبليّة ، وعلى يسار المتوجِّه إلى المدينة مستقبل القبلة ، يقابله حديقة نخل تعرف بالغنيمية فى بطن وادى بُطْحان غربى

عين الخيف

جبل سَلْع ، وفى الوادى عَيْنٌ تأتى من عوَالى المدينة تسقى ما حول المساجد من المزارع وتعرف بـ « عين الخيف » خيف شامى ، وهذه الناحية تعرف بالسيح كما سبق .

وأما العين الذى ذكر ابن النجّار أنها مقابلة للمصلَّى قال المطريّ : فهى

---

(١) كذا فى نسختى (ا) (ب) وهو الصواب . وبقره كمنعه : شقه ووسعه . يعنى أن النبي صلى الله عليه حفر عينا فى كهف بنى حرام وكانت تسقى حول مساجد الفتح ، وهى من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وتسمى « عين النبى » وفى الأصل « نقر » بالنون فى أوله .

(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل : « العينية » .

عين الأزرق

« عَيْنُ الأَزْرَق[١] » وهو مَرْوَانُ بنُ الحَكَم ، أجراها بأمر معاوية فى ولايته على المدينة نيابةً عنه ، وأصلها بقُبَاء معروفة من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة نخل وتَجْرى إلى المصلَّى وعليها فى المصلَّى قُبَّة كبيرة مقسومة نصفين يخرج الماء منها فى وجهين مدرجين قبلى وشمالى وتخرج العين من القُبَّة من جهة المشرق ثم تأخذ إلى جهة الشمال .

تنبيه

﴿ تنبيه ﴾ نقل الشيخ تقىّ الدين السبكى فى « شِفَاء السَّقام » له أن معاوية لمَّا أجرى العين التى أستنبطها بالمدينة وذلك بعد أُحد بنحو [من][٢] خمسين سنة ، وأمر بنقل الموتى أصابت المِسْحَاةُ قَدَمَ حَمْزَة رضى الله عنه فسالَ منه الدَّمُ مُستدلاً به على حياة جَسَدِ الشَّهيد وذكر العين أستطراداً ، وظاهره مخالف لنقل المطرىّ إذ لا قائل بنقل حمزة عن موضعه فإن صحّ أنه أمر بحفر عين أخرى فى جهة أُحُد فلعلّها العين المعروفة « بالشهداء » أو غيرها فى هذه الجهة ودثرت لم يبعد وإلا فلا يتصوّر الجمع بين الكلامين والله أعلم .

عين الشهداء

وقد أخذ أبن أبى الهيجاء فى حدود الستين وخمسمائة شعبة من عين قُبَاء من عند مخرجها من القبَّة وساقها إلى باب المدينة من جهة المصلَّى ثم أوصلها إلى الرحبة التى عند مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من جهة باب السلام وبنى منهلاً بدرج من تحت الدور يستقى منه أهل المدينة وجعل لها مصرفاً من تحت الأرض يَشُقُّ وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط ثم يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرق الحصن[٣] الذى يسكنه أمير المدينة ، وكان قد جعلَ منها شعبةً صغيرةً تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها منهلاً بدرج عليه عقدٌ يخرج الماء

---

(١) نسبة لأول من أجراها ويقال له : « الأزرق » لأنه كان أزرق العينين .
(٢) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٣) هو الذى عليه قلعة اليوم .

إليه من فوّارة يتوضأ منها مَن يحتاج إليه ، فحصل بذلك أنتهاك حُرْمَة المسجدِ الشريف من كشف العوْرة والأستنجاء فى المسجد فسدّت لذلك ، وإذا خرجت العين من القبّة التى بالمصلَّى سارت إلى جهة الشمال حتى تصل إلى سور المدينة الشريفة فيدخل من تحته إلى منهل آخر بوجهَيْن مُدرجَيْن ، ثم تخرج إلى خارج المدينة الشريفة فتصل إلى منهل آخر كذلك عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك وتجتمع هى وما يتحصّل من وَصْلها فى قَنَاة واحدة إلى البِرْكة التى ينزلها الحجّاج . وليس لعين النبىّ صلى الله عليه وسلم التى ذكرها أبن النجّار اليومَ أثرٌ وإن كان كما قال عند الكهف فقد دُثِرَتْ وعفا أثرُها .

* * *

بئر جمل

والآبار المذكورة ستّة والسابعة لا يعرف اليوم إلا ما يُسمَع من قول العامّة أنها « بئر جمل » ولم يُعلَم أين هى ، ولا من ذكرها غير ما ورد فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو « بئر جمل » .

وروى أبن زَبَالَة أيضاً فيها عن عطاء بن يسار عن عبد الله وأُسامة بن زيد قالا : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى « بئر جمل » وذهبنا معه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل معه بلال فقلنا : لا نتوضأ حتى نسأل بلالاً كيف تَوَضَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تَوَضَّأ ومسح على الخُفَّين والخمار ، ولم يذكر « بئر جمل » فى السبع المشهورات .

قال المطرىّ : إلا أنى رأيت حاشية بخطّ الشيخ أمين الدين بن عساكر على نسخة من « الدرّة الثمينة فى أخبار المدينة » للشيخ محبّ الدين بن النجّار ما مثاله : العدد ينقص عن المشهور بئر واحدة لأن المثبت ستٌّ والمأثور

بئر العهن

سبع»[1] والسابعة اسمها « بئر العهن » بالعالية يزرع عليها اليوم وعندها سدرة ولها اسم آخر مشهورة به اه.

وهذه البئر معروفة بالعوالى منقورة فى جبل فى بستان معروف بها ، والسدرة مفقودة الآن وعندها شجرات حِنّاء ولا يكاد ينزف ماؤها مع طيبه .

آبار المدينة المنورة فى دور الأنصار

وذكر ابن زبالة عدّة آبار بالمدينة الشريفة وسمّاها فى دور الأنصار .

بئر الحرة الغربية

وروى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم أتاها وتوضّأ من بعضها وشرب منها ، ولا يعرف اليوم منها شىء ، فمن جملة ما ذكر « بئر الحرّة الغربية » فى آخر النقا على يسار السالك إلى « بئر علىّ » أعنى ذا الحُليفة وعلى جانبها الشمالى بناء مستطيل مجصّص يقال له : « السُّقيا » التى كانت لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، ذكر أن النبىّ صلى الله عليه وسلم عرض جيش بدر بالسُّقيا التى كانت لسعد وصلّى فى مسجدها ودعا هنالك لأهل المدينة أن يبارك لهم فى مُدِّهم وصاعهم ، وأن يأتيهم بالرّزق من هاهنا وهاهنا وهاهنا ، وشرب صلى الله عليه وسلم من بئرها ، ويقال لأرضها الفلجان .

ونقل أبو داود فى سننه من رواية الدراوردى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يُستعذبُ له من بُيوت السُّقيا ، أورده فى الأشربة ، وفى لفظ للبزار : من بئر السُّقيا .

---

(١) وقد نظم ذلك بعضهم فى بيتين فقال :

آبارُ « طهَ » بالمدينة سبعةٌ * منظومةٌ كالدُّرّ بل هى أنفسُ
عِهنٌ أرِيسٌ بُصّةٌ وبُضاعةٌ * غرْسٌ ورُومَةُ بِيرحَا هى تؤنِسُ

وقال آخر :

إذا رُمْتَ آبارَ النبىّ بطَيْبَة * فعدّتها سبعٌ مقالاً بلا وهن
أرِيسٌ وغرْسٌ رُومَة وبُضَاعةٌ * كذا بُصّةٌ قل بِيرحَا مع العهن

وفى الأحكام قال قتيبة : هى عين بينها و بين المدينة يومان ، فيحتمل أنه أراد البئر الذى سبق تعريفها فى الطريق اليسرى قبل ثنيّة هرشى ، لـكن أستعذاب الماء منها بعيد والله أعلم .

و « سُقْيا سعد » اليوم معطّلة خراب منقورة فى جبل .

بئر أبى عنبة

وذكر الحافظ عبد الغنى المقدسىّ أنه عليه الصلاة والسلام عرض جيشه على « بئر أبى عِنَبَة » بالحرّة فوق هذه البئر إلى المغرب. وذكر أنها على ميل من المدينة.

ومنها : بئر أخرى إذا وقفت على هذه المذكورة وأنت على جادّة الطريق وهى على يسارك كانت هذه على يمينك ولـكنها بعيدة عن الطريق قليلاً ، وهى فى سند من الحرّة قد حُوِّط حولها ببناء مجصَّص ، وكان على شفيرها حوض لم يزل أهل المدينة يتبرّكون بها و يشربون من مائها و ينقل إلى الآفاق منها كماء زَمزَم و يسمونها : « زَمزَم » لبركتها .

قال المطرىّ : ولم أعلم أحداً ذكر فيها أثراً يعتمد ــ والله أعلم ــ أيّتهما السُّقْيا ، الأولى لقربها ، أم هذه لتواتر التبرّك بها ، ولعلّ هذه هى البئر التى أحتفرتْها فاطمة أبنة الحسين بن على زوجة الحسن بن الحسين بن علىّ حين أُخْرِجَتْ من بيت جدّتها فاطمة الـكبرى فى أيام الوليـد بن عبد الملك لمّا أمر بإدخال الحُجُرات و بيت فاطمة فى المسجد كما سبق ، وحينئذ بَنَتْ دارها فى الحرّة وأمرت بحفر بئرها فطلع لهم جبلٌ فذكروا ذلك لها فتوضّأت وصلّتْ ركعتين ودَعَتْ ورشّتْ موضع البئر بفضل وضوئها وأمرتهم فحفروا فلم يتوقّف عليهم من الجبل شيء حتى ظهر الماء لهم ، فالظاهر أنها هـذه وأن السُّقْيا هى الأولى لأنها على جادّة الطريق .

الباب الرابع

فى ذكر أودية المدينة المشرّفة وحفر الخَنْدَق

وحدود حُرَمِها وجبالها وجهاتها وما خُصَّت به من الفضائل

وما يؤول إليه أمرها وذلك فى فصول :

الفصل الأول

فى ذكر الأَوْدِيَة

أودية المدينة المشرفة
(وادى العقيق)

فمنها : « وَادِى الْعقِيق » روينا فى صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بوادى العَقِيق أتانى الليلة آتٍ فقال صَلّ فى هذا الوادِى المبارك وقُلْ عُمْرة فى حجّة » .

وكان عبد الله بن عمر ينيخ بالوادى يتحرّى مُعَرَّسَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ويقول : هو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى .

و بسند ابن النجّار إلى سعد بن أبى وقاص قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العَقِيق ثم رجع فقال : « يا عائشةُ جئنا من هذا العَقِيق فما أَلْيَنَ مَوْطِئَه وأعْذَبَ ماءه » فقلت : يا رسول الله ، أفلا ننتقل إليه ؟ فقال : « كيفَ وقد ابتنى الناس » .

وذكر ابن زَبَالة وابن النجّار أنه وُجِد قبرٌ إرَمِىٌّ[1] عادِىٌّ عند جَمّاء

---

(١) قوله : « إرمى » بكسر الهمزة وفتح الراء وشد التحتية ، أى قديم لأنه يقال للشىء القديم : عادى وإرمى .

أمّ خالد بالعَقِيق مكتوب عليه : « أنا عبدُ الله ورسولُ رسول الله سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام إلى أهل يَثْرِب » .

ووُجِد أيضاً فى حَجَرٍ على قبر آخر : « أنا أسودُ بنُ سَوَادة رسولُ رسول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم إلى أهل هذه القرية » .

والجمّاوات أربعة أجبل غربى وادِى العَقِيق ، وابتنى الناس فيه من خلافة عثمان رضى الله عنه ونزلوه وجُعِلتْ فيه الآبارُ والنخيلُ والأشجارُ من جميع نواحيه على جنبتى الوادى إلى الجمّاوات ، وسُمِّيَت كل جَمّاء منها باسم من بنى فيها .

ونقل ابن زَبَالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم المنزلُ العَرْصَة لولا كثرة الهوامّ » .

وبسند الزُّبَير قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً إلى العَرْصَة من ناحية العَقِيق فلما رآها قال : « لو علمنا هذه أوّلاً لكانت المنزل » .

وقد رووا أن بنى أميّة كانوا يمنعون البناء فى العَرْصَة ضنًّا بها ، وكان نخلها أبكر شىء بالمدينة ، وكانت تُسَمّى عَرْصَة الماء ، وأن سلطان المدينة لم يكن يقطع فيها قطيعة إلاّ بإذن الخليفة . وولّى النبيّ صلى الله عليه وسلم العقيق لرجل اسمه هيصم المُزَنىّ ، ولم تزل الوُلاَة على المدينة يولّون عليه حتى كان زمن داود بن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة والله أعلم .

نزول جماعة من الصحابة بوادى العقيق

ونزل فيه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، منهم : «سعد بن أبى وقّاص» ومات فيه ، و « سعيد بن زيد » ومات فيه ، و « أبو هريرة » و « سعيد بن العاص بن أميّة الجواد » ومات فيه ودفنوا فى البَقيع .

وكانت فيه قصور مشيدة ، ومناظر رائقة،وآبار وحدائق طيبة ، ولأهله أخبار وأشعار مستحسنة حتى أُفردت بالتصنيف ، فخُرِّب على طول الزمان ولم يبق فيه

اليوم إلاّ الآثار والآبار ، ولهذا قال ابن النجّار : ووادى العقيق اليوم ليس به مساكن وفيه بقايا بُنْيان خراب ، وآثار تجد النفس برؤيتها أنساً كما قال أبو حاتم حبيب بن أوْس الطائى :

ما رَبْعُ مَيّةَ معموراً يطيف به * غيلان أبْهَى رُبًى من رَبْعها الخرِبِ
ولا الخدود وإن أدْمِين من نظر * أشْهَى إلى ناظرٍ من خدِّها التَّرِبِ

قيل : ولما بنى عُرْوة بن الزُّبير قصره فيه قيل له : جفوت عن مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « إنى رأيتُ مساجدهم لاهيــة ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشة فى فجاجهم عالية ، فــكان فيما هنالك عما هم فيه عافية » . ويقال : إنه توفى بالفَرْع والله أعلم .

وأصل مسيل العقيق من النّقِيع (بالنون والقاف والياء المثناة من تحت) قبلى المدينة الشريفة ، بينه وبين قُباء مقدار يوم ونصف ، وهو معروف فى طريق المشيان ويصل إلى بئر على العلياء المعروفة بالخَلِيقة (بالقاف والخاء المعجمة المفتوحة مع كسر اللام) ثم يأتى على غربى جبل عَيْر ويصل إلى « بئر على » بذى الُحلَيفة محرم الحجّاج ثم يأتى مشرقاً إلى قريب الحَرّة التى تطلع منها إلى المدينة ثم يعرج يساراً ومن بئر المحرم يُسَمّى العقيق .

ونقل ابن زَبَالة عن هشام بن عُرْوة: أنه يُسَمّى عقيقاً من النّقِيع والله أعلم . فينْتَهى إلى غربى « بئر رُومَة » .

ونقل أيضاً عن سليمان بن عباس السعدىّ : إنما سُمّى عقيقاً لأن سيله عقّ[١] فى الحَرّة ، فعلى هذا هو فَعِيل بمعنى فاعل .

---

(١) عق . أى شق وقطع ، وقيل سمى بذلك لحرة موضعه .

قال رزين من جملة خبر طويل : إن تُبّعاً جرّد إلى بنى النجّار خيلاً فقاتلهم بنو النجّار ورئيسُهم يومئذٍ عمرو بن طلحة أخو بنى معاوية بن مالك بن النجّار ورمَى عَسْكَرُ تُبَّعٍ حُصُونَ الأنصار بالنّبْل ، فلقد جاء الإسلام والنّبْل فيها ، وجُدع فى القتال فرس تُبَّع فخلف لا يبرح حتى يخربها بزعمه ، فسمع بذلك أحبار من اليهود فنزلوا إليه وقالوا : أيها الملك ، إنَّ هذه البلدة محفوظة فإنّا نجد أسمها طَيْبَة ، وأنها مُهاجَرُ نبىٍّ من بنى إسماعيل .

ونقل أبن زَبَالة أسمه « أحمد » يخرج فى آخر الزمان . فأعجب تُبَّع بقولهم وصدّقهم وصرف نِيَّتَهُ عمّا كان عَزَمَ عليه ، وأمَّنَ أهـل المدينة فتبايعوا مع العسكر ، وخرج تُبَّع يريد اليمن ومعه من الأحبار الذين نَهَوْهُ عن خراب المدينة حَبْرَان من بنى قُرَيْظَة أحدهما : « شخيب » والآخر « مُنَبِّه » قيل : وهما أبْنَا هذل وسُمِّى بهذل كان فى شفته ، ولما شخص عن منزله بقناة قال : هذه قناة الأرض ، فسُمِّى وادى قَنَاة ، ومَرَّ بالجَرْف فقال : هذا جَرْف الأرض ، أى أرفعها فسُمِّى الجَرْف ، وكان يُسَمَّى العرض فيما حكاه أبن زَبَالة . ومَرَّ بموضع فقال : عَرْصَة الأرض ، وكانت تُسَمَّى « السليل » فسُمِّيَت العَرْصَة ، ومَرَّ بالعقيق فقال : هذا عَقِيق الأرض لحُمْرَة موضعه فسُمِّى بذلك ، وبعث رائداً ينظر إلى مزارع المدينة فأتاه فقال : نظرتُ فأمّا قناةُ فحبٌ ولا تِبْن ، وأمّا الحرار فلا حَبٌّ ولا تِبْنٌ ، وأمّا الجَرْف فالحبُّ والتِّبْن والله أعلم .

ورَمْلُ مسجد النبىّ صلى الله عليه وسلم يُحْمَلُ من العَرْصَة المذكورة يسير من الجماء الشمالية إلى الوادى فيحمل منه ، وليس بالوادى رملٌ أحمرُ إلاّ ما يسيل من الجبل .

وذكر أبن الأثير فى « جامع الأصول » عن أبى الوليد قال : سألت أبن عمر رضى الله عنهما عن الحَصْباء الذى كان فى المسجد فقال : إنّا مُطِرنا ذاتَ ليلةٍ

فأصبحت الأرض مبتلَّةً فجعل الرجلُ يجيء بالحصباء فى ثوبه فيبسطه تحته ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتَهُ قال : « ما أحسن هذا » ثم قال : أخرجه أبو داود .

وبسند ابن زَبَالة وابن النجّار إلى الضحَّاك بن عثمان عن بشر بن سعيد ـ أو سليمان بن يسار شَكَّ الضحَّاك ـ أنه حدَّثه أن المسجد كان يُرَشُّ فى زَمَن النبيّ صلى الله عليه وسلم وزَمَن أبى بكر وعامَّة زمان عُمَر ، فكان الناس يتنخَّمُون فيه ويبصقون حتى قدم ابن مسعود الثقفيّ فقال لعمر : أليس قربكم وَادٍ ؟ قال بلى ، قال : فمر بحَصْبَاء تطرح فيه فهو أكف للمخاط وللنخامة ، فأمر به عُمَر .

وفى رواية لابن زَبَالة : قال عمر : احصبوه من هذا الوادى المبارك ـ يعنى العَقِيق ـ

وفى رواية ابن النجّار أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألقَى الحَصْبَاء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم من التراب فجيء بالحَصْبَاء من العَقِيق من هذه العَرْصَة فبسط فى المسجد .

وروينا فى سنن أبى داود عن القاسم قال : دخلتُ على عائشة فقلت : يا أمه اكشفى لى عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما ، فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مشطوطة ببطحاء العَرْصَة الحمراء

ثم « وادى رانوناء »[1] يأتى من شمال جبل عَيْر المذكور غربى مسجد قُباء

وادى رانوناء

(١) رانوناء بوزن عاشوراء .

فى العصبة ،وهى منازل بنى جحجبى من الاوس كما سبق،وينتهى إلى مسجد الجمعة منازل بنى سالم بن عوف بن الخزرج ثم يصبّ فى وادى بُطْحان .

تنبيه

﴿ تنبيه ﴾ قد سبق عن ابن زَبَالة أن بنى سالم بن عوف صلّى بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم فى « وادى ذى صُلْب » لا « رانوناء » .

قال ابن زَبَالة : وصدر سيل ذى صُلْبٍ من رانوناء [وصدر رانوناء[1]] يأتى من (التحبيب) ثم يسكُب[2] ذو صُلْب ورانوناء فى سدّ عبد الله بن عمرو، ثم فى شاحطة وأموال العصبة ، ثم فى عوْساء ثم فى بُطْحان ،وهذا يدلّ على المغايرة وإن اتفقا آخراً فى المجرى ، والسدّ لا يعرف اليوم بهذا الاسم ، ولعله السدّ المعروف بسدّ عنتر لأنه فى هذه الجهة المذكورة وهذا وصفه. وشاحطة لا تعرف ولعلها مزرعة السدّ، وقد تقدّم تعريف العصبة . ولا تعرف عوْسَاء فى هذه الجهة [بل][3] ولا فى غيرها ، ولعله أراد حوْسَاء[4] (بالحاء المهملة) وهى معروفة بقُباء وتشرب من رانوناء ، ووقع فى الاسم تغيير والله أعلم .

وادى جفاف

ثم « وادى جَفاف[5] » وهو أعلى موضع بالعوالى شرقى مسجد قُباء ، وقيل: إن بُطْحَان يأتى من صدر جَفاف ، وروَى ابن زَبَالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بُطْحَان على تَرَعَةٍ من تُرَعِ الجنّة» والله أعلم .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) يسكب : يصب .
(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٤) قوله : « حوساء » ، لعله البستان المعروف اليوم بحوسان قرب مسجد قباء (الناشر) .
(٥) قوله : « وادى جفاف » هو الوادى المسمى الآن بقربان بين قباء والعالية . ويقال للسيل الذى يمر بالمدينة سيل أبى جيدة ، قاله بعض فضلاء المدينة (الناشر) .

وادى مذينيب

ثم « وادى مذينيب » وهو شرق وادى جفاف يلتقى هو وجفاف فوق «مسجد الشمس» المعروف قديماً بمسجد الفضيخ ثم يَصُبَّان فى بُطْحان ، يلتقيان مع رانوناء ببطحان فيمرّان بالمدينة غربى المصلَّى و بصلان إلى مساجد الفتح سيلاً واحداً و يلتقى هو والعقيق عند « بئر رُومَة » .

ونقل ابن زَبَالة أن صدور مذينيب و بُطْحان يأتيان من الحلاَّتين حلاَّتى صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، ومصبّهما فى زغابة والله أعلم .

وادى مهزور

ثم « وادى مهزور » وهو أيضاً شرق العوالى شمالى مذينيب ويشقّ فى الحرّة الشرقية إلى العريض ، ثم يصبّ فى الشظاة .

ونقل ابن زَبَالة أن صدره من حَرّة شوران فكأنها المراد بالحرّة الشرقية ولهذا قال : وهو يصبّ فى أموال بنى قُرَيظة ، ثم يأتى المدينة فيشقّها ، قيل : وهو السيل الذى كان يخاف منه على المسجد الشريف لأنه كان يمرّ فيه ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز إنما عَرَّض الجدار الشرقى للمسجد الشريف دون الغربى بسبب ذلك .

وفى ليلة الأربعاء هلال المحرّم سنة ثمان وخمسين ومائة، فى إمارة عبد الصمد [وخلافة أبى جعفر][1] لمّا أصاب الناس تلك الخرفة ـ أى مطروا فى الخريف ـ أستغاث الناس على سيل مهزور مخافةً على قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فعمل الناس بالمساحى والمكاتل والماء فى برقة وصدقة النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى أنصاف النخل ، فبينما هم يعملون إذ طلعت عليهم عَجُوزٌ مُسِنّةٌ من أهل العالية فقالت : أدركت الناس يقولون : إذا خِيفَ على القبر الشريف من سيل مهزور فاهدموا من هذه الناحية ـ تعنى القبليّة ـ فدار الناس إليها فهدموها وأبدوا حجارةً

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

منقوشةَ ، فعدل الماء إلى هذا الموضع اليوم وآمنوا ، وهى الليلة التى هدمت بيوت بُطْحان و بنى جُشَم انتهى

و برقة معروفة اليوم وصدقة النبيّ صلى الله عليه وسلم بها غير معروفة ، و بنو جُشَم لا يعرف و إنما المعروف دشم (بالدال المهملة) : بستان شامى مسجد البغلة على نحو رَمْيَتَىْ سهم منه ، فلعلَّها منازلهم ووقع فى الاسم تغيير .

وروى ابن زَبَالة : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سيل مهزور الأعلى قبل الأسفل يسقى الأعلى إلى الكعبين ثم يرسل إلى أسفل منه ، وفى رواية : فإذا استضعف أصله أمسك [للأوّل][1] فالأوّل وله أصل فى الصحيح من حديث الزُّبير والله أعلم .

تنبيه فى بيان صدقات النبيّ صلى الله عليه وسلم

بيان صدقات النبى صلى الله عليه وسلم

وقد قال ابن زَبَالة إنها سبعة : « برقة » المذكورة فى شرقى المدينة ولناحيتها شهرة بها . و « المثبت[2] » وهى معروفة . و« الدّلال » بفتح الدال المهملة ، وهو جِزْع معروف بقرب المليكى وقف على فقهاء المدرسة الشهابية . و« حسناء » وهى لا تعرف اليوم ، كذا رأيته فى ابن زَبَالة بالسين بعد الحاء ، ولعله تصحيف من الحناء (بالنون بعد الحاء) وهو معروف اليوم . و« العواف » ويقال « الأعواف » وهو بالعالية بقرب المربوع ملك ذوى خزيمة من آل جمّاز . و « مشربة أمّ إبراهيم » وقد سبق تعريفها . و « الصافية » وهي شرقى المدينة بجِزْع زهيرة ، وكلها تشرب من مهزور و إن اختلفت جهة المشرب .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) فى خلاصة الوفاء : « المثب » (مهموز كمنبر) : أحد صدقات النبوة .

قال ابن زبالة : وكانت « الكتيبة » مما ترك النبيّ صلى الله عليه وسلم فصارت فى صدقاته بخيبر ، وكانت نصف فدك له خاصة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب بل بمصالحة أهلها ، فكانت مما ترك، وقد قال صلى الله عليه وسلم: « نحنُ معاشرَ الأنبياء لا نُورَثُ ، ما تركْنا فهو صدقةٌ »

وقد نُسِيَ ما قاله ابن زبالة من الصّدقات حتى لم تعرف جهات بعضها وتوالتْ يدُ المُلّاك عليها لطول الزمان وكثرة الفتن ، فقد قال ابن زبالة : كتبنا [كتابنا](١) هذا فى صفر سنة تسع وتسعين ومائة ، بل ما نقله رَزين ، ووفاته سنة أربع وعشرين وخمسمائة من أن الموضع المعروف بالبويرة بقُباء صدقة النبيّ صلى الله عليه وسلم من النخل ، قال : ولم تزل معروفةً للمساكين محبوسة وعلى مَن مرَّ بها إلى عهد قريب من تاريخ الخمسمائة كالعشرين سنة ونحوها ، فتغلّبَ عليها بعضُ وُلاةِ المدينة لنفسه ، قال : وبها حِصْن النُّضَير وحصون قُرَيظة .

حصن النضير وحصون قريظة

وقد ذكر الحافظ ابن بشكوال ترجمة رَزين ووصفه بالعلم والدين رحمه الله .

موضع البويرة

والبويرة(٢) اليوم معروفة فى قبلة مسجد قُباء إلى جهة المغرب ، وبالقرب منها أُطمٌ خرابٌ ولعله الذى أراد ، وقد توالتْ عليها يدُ المُلّاك بالغَلَبة ونُسِيَ ما قاله رَزين مع قُرْب زمانه ز فكيف بما قاله ابن زبالة مع طول الأزمان والله أعلم .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

(٢) قوله : « والبويرة اليوم معروفة فى قبلة مسجد قباء . . . الخ » . وفى خلاصة الوفاء : « وليست هى الموضع المعروف بهذا الاسم فى قبلة مسجد قباء من جهة المغرب بل هى منازلهم المتقدمة ومنها ناحية الغرس ، قال ابن زبالة فى حديث تربة صعيب المعروف اليوم عند ركن الحديقة الماجشونية مالفظه : وصعيب عند النخلة المرجبة على الطريق فى بناء ناحية من البويرة » اهـ (الناشر) .

وادى الشظاة

ثم « وادى الشَّظَاة » يأتى من شرق المدينة من أماكن بعيدة إلى أن يصل السدّ الذى أحدثته نار الحَرَّة التى ظهرت فى المدينة الشريفة فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكان ظهورها من وادٍ يقال له : « أحيلين[١] » فى الحَرَّة الشرقية ، وسارت من مخرجها إلى جهة الشمال مُدّةَ ثلاثة أشهر تَدُبُّ دَبِيبَ النَّمل تأكل كلّ ما مرّت عليه من جَبَلٍ أو حَجَرٍ ولا تأكل الشجر فلا تَمُرُّ على شىء من ذلك إلاّ صار سدًّا لا مسلك فيه لإنسان ولا دابّةٍ إلى منتهى الحَرَّة من جهة الشمال ، فقطعت فى وسط «وادى الشَّظَاة» المذكور إلى جهة جبل وعيرة ، فسدَّت الوادى المذكور بسدّ عظيم بالحجر المشبوك بالنار ولا كسدّ ذى القرنين لا يصفه إلاّ من رآه طولاً وعرضاً وارتفاعاً ، وانقطع « وادى الشظاة » بسببه ، وصار السَّيْل يتحبّس خلف السدّ المذكور ، وهو وادٍ عظيم ، فتجتمع خلفه المياه حتى تصير بحراً مدّ البصر عرضاً وطولاً كنيل مصر عند زيادته .

قال المطرىّ رحمه الله : شاهدتُه كذلك فى شهر رجب من سنة سبع وعشرين وسبعمائة . قال : وأخبرنى عَلَمُ الدين سِنْجَر العِزّى عتيق الأمير عزّ الدين منيف ابن شيحة صاحب المدينة أن الأمير أرسله بعد ظهور النار بأيام ومعه شخصٌ من العرب ليتحقّقا أمْرَها ونحنُ فارسان إلى أن قربنا منها فلم نجد لها حَرارة فنزلتُ عن فرسى وسِرْتُ إلى أن وصلتُ إليها وهى تأكل الصَّخْرَ والحجرَ وأخذتُ سَهْماً من كِنَانَتِى ومددتُ به يدى إلى أن وصلَ النصلُ إليها فلم أجد لذلك ألماً ولا حَرًّا فحرق النصلُ ولم يحترق العود ، فأدرت السهم وأدخلتُ فيها الريش فاحترق ولم تؤثر فى العُود .

قال : وأخبرنى بعضُ من أدركها من النساء أنهنّ كُنَّ يغزلن على ضَوْئها بالليل على أسطحة المدينة .

(١) كذا فى نسختى (ا) و (ب) بالحاء المهملة ، وفى الأصل بالجيم المعجمة .

ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسينى قاضى المدينة أنها رُئيتْ من مكة ومن الفَلاة جميعها ، ورآها أهلُ يَنْبُع وأرسلوا قاضِيَهُم ابن سعد .

قال أبو شامة : وأخبرنى بعضُ من أثقُ به ممن شاهدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتَيْماء على ضَوْئها الكتب والله أعلم .

فظهرتْ بظهورها مُعْجزة من مُعْجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صحّ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى تظهر نارٌ بالحجاز تُضىء لها أعناق الإبل ببصرى » فكانت هذه إذا لم تظهر قبلها من أيامه صلى الله عليه وسلم ولا بعدها نارٌ مثلها وقد يظهر أن عدم أكلها الحجر دون الشجر بسبب تحريم النبىّ صلى الله عليه وسلم شَجَرَ المدينة ، وهو أيضاً من الإعجاز لأن طاعته صلى الله عليه وسلم على كلّ مخلوقٍ واجبة هذا حاصل كلام المطرىّ وفيه نظر ، ولا شكّ فى عِظم مُعْجزات النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى قال بعض العلماء : ما من معجزة سبقت النبى إلاّ ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ، أو أعظم منها ، وقد اسْتُقْرِىْ ذلك فوجد كما قال ، وإنما يحسن ما قاله المطرىّ أن لو كان السهم من شجر الحرم والظاهر خلافه ، فإن قيل حصلَ له حُرْمة الحَرَم بإدخاله فيه ، قلنا : فيلزم أن لا يجوز ذبح الصيد المملوك قبل ذلك بعد إدخاله فيه والأكثرون على خلافه ، وأيضاً فالمحرّمُ قطعُ الشجر الرطب . والسهم بخلافه بل لو قطع شجرة من الحلّ وغرسها فى الحرم ونَبَتَتْ لم يثبت لها حكم الحَرَم بخلاف الصيد كما هو معروف فى كتب الفقه اللهم إلاّ أن يجاب عنه بأن هذه النار لم يكن لها قوّة الإحْراق للخشب وما أشبهه مطلقاً تأكيداً لحُرْمة الحَرَم ، وهو أبلغ فى إظهار المُعْجِزَة والله أعلم .

وقد انخرق هذا السدّ من تحته لمّا تكاثر الماء من خَلْفه فى سنة

تسعين وستمائة فجرى الوادى المذكور سنةً كاملةً يملأُ ما بين جانبى الوادى ، وسنةً أخرى دون ذلك ، ثم انخرق مرّةً أخرى فى العشر الأول بعد السبعمائة فجرى سنةً كاملةً أو أزيد ، ثم انخرق فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وكان ذلك بعد تواترِ أمطارٍ عظيمةٍ فى تلك السنة ، وكَثُرَ الماء وعَلاَ من جانبى السدّ ومن دُونه مما يلى الجبل وغيره وتلك النواحى ، فجاء سيلٌ لا يُوصَف ، ومجراه مشهد حمزة وقبلى جبل عينين، و بقى المشهد وجبل عينين فى وسط السيل نحو أربعة أشهر لا يقدر أحدٌ على الوصول إلى قبر حمزة ولا إلى الجبل المذكور إلاّ بمشقّة ولو زاد مقدار ذراع فى الارتفاع وصل إلى المدينة الشريفة ، وكان الواقف خارج باب البَقِيع على التلّ الذى هناك يراه و يسمع خَرِيره ، ثم استقرّ فى الوادِيَيْن : القبلى الذى أحدثه والشمال قريباً من سنة ، وكشف عن عينٍ قديمةٍ قبل الوادى جدّدها الأمير وُدَىّ ، وهى التى سبق ذكرها فى الكلام على أُحُد ، وينتهى سَيْلُ الشَّظَاة إلى مجتمع السُّيول برُومة ، أعنى سَيْل بُطْحان والعَقِيق والزغابة والنقا وسَيْل غُراب من جهة الغابة .

ونقل ابن زَبَالة [قال][1] : يأتى سَيْل العقيق إذا استجمع من النقيع، و يأتى سيل قناة إذا استجمعت من الطائف،ثم يجتمعان وسائر السيول بزغابة ـ والله أعلم ـ فيصير سيلاً واحداً و يأخذ فى وادى الضيقة إلى أُضُم : ـ جبل معروف ـ ثم إلى أكرا من طريق مصر و يصبّ فى البحر .

فهذه جميع أودية المدينة المشرّفة .

(١) التكملة من نسختى (ا)و(ب)

الفصل الثانى

فى ذكر الخنـــدق

ذكر الخندق

نقل أهل السير أن غزوة بنى النُّضَير فى ربيع الأوّل فى سنة أربع. وقال ابن النجّار: فى ربيع الآخر، واستخلف عليه الصلاة والسلام ابن أم مكتوم، ولما تحصّنُوا حاصرهم خمسة عشر يوماً، وقيل ستة أيام لأنهم نقضوا عهده وأرادوا قتل النبىّ صلى الله عليه وسلم فخرب وحرق وقذف الله فى قلوبهم الرّعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكفّ عن دمائهم ويحملوا ما قدروا عليه من أموالهم إلاّ السلاح ففعل، فخرجوا إلى خَيْبَر ومنهم من سار إلى الشام وقسّم عليه الصلاة والسلام أموالهم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار إلا سهل ابن حنيف وأبا دجانة سماك بن حرشة ذكرا فقراً فأعطاهما والله أعلم.

وكان نفر من بنى النُّضَير الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا إلى مكة فقدموا على قريش ودعوهم إلى حرب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاءوا غَطَفَان بمثل ذلك وأخبروهم بما كان من موافقة قريش لهم، فلما بلغه عليه الصلاة والسلام تجمُّعهم وقدوم بنى النُّضَير حفَرَ صلى الله عليه وسلم الخَنْدَق قيل فى ستة أيام بمشورة سلمان والله أعلم، وهو يوم الأحزاب، ثم سعى حُيَيّ بن أخطب النُّضَيْرِىّ حتى قطع التحالفَ الذى كان بين النبىّ صلى الله عليه وسلم وبين بنى قُرَيْظَة، واشتدّ الحصار على المسلمين وفشا النفاق، وكان فى ذلك ما قصّ الله فى كتابه العزيز فى قوله تعالى: (إِذْ جاءوكُمْ مِنْ فَوْقِكم - يعنى بنى قُرَيظة - وَمِنْ أسْفَلَ مِنكم - يعنى بنى أسَدٍ وغَطَفان -) وكانوا نازلين ما بين وادى النقا إلى أُحُد، وقريش وكنانة ومن معهم من الأحابيش برُومَة من وادى العقيق.

قيل : فكانت قريش ومن تبعها عشرة آلاف عليهم أبو سفيان بن حرب ، والمسلمون ثلاثة آلاف واجتهدوا فى عمله بأنفسهم ، فلما رأى عليه الصلاة والسلام ما بهم من النَّصَب قال :

اللهمّ لاعَيْشَ إلاّ عَيْشُ الآخرهْ * فاغْفِرْ للأنصار والمهاجرهْ

فأجابوه :

نحنُ الذين بايعُوا محمّدا * على الجهاد ما بَقِينَا أبدا

وتداعوا على البراز وأقاموا على ذلك بِضْعَ عشرة ليلةً . قال ابن النجّار : بضعاً وعشرين ، ولم يكن منهم حربٌ إلاّ الرمى بالنَّبْل، ولما وقفوا على الخندق قالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . وطول الخندق من أعلى وادى بُطْحان غربى الوادى مع الحرّة إلى غربى مُصلّى العيد ، ثم إلى مسجد الفتح ، ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين فى غربى الوادى يقال لأحدهما : راتج ، والآخر : جبل بنى عبيد ، قيل : واسمه « ذو يخل » قاله ابن زَبالة والله أعلم ، وجعل المسلمون ظَهْرَهم إلى جبل سَلْع ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّتهُ على القرن الذى فى الغرب من جبل سَلْع موضع مسجده اليوم ، وقد سبق ، والخندق بينهم و بين المشركين .

قيل : وكان من أسباب النّصر مَشْيُ نعيم بن مسعود الأشجعىّ إلى الكفّار وهو مُخْفٍ إسلامه فثبّط قوماً عن قوم وأوقع بينهم شراً لقوله عليه الصلاة والسلام : « الحربُ خُدْعة » وأرسل الله عليهم ريحاً فهزمهم بها ، وفرغ منه صلى الله عليه وسلم لتسع ليال بقين من ذى القعدة سنة خمسٍ ، وعند ابن عُقْبة كان الخندق فى شوّال وصحّحه النووى ، وعند ابن إسحق فى شوّال سنة خمس ، قال عليه الصلاة والسلام : « لن يغزوكم قريش بعد عامكم هذا » ودخل المدينةَ يومَ الأربعاء ، ولمّا انصرفَ وضع السّلاحَ جاءه جبريل عليه السلام الظُّهْرَ وقال : « إن الملائكةَ ما وَضَعتِ السّلاحَ بعدُ ، إنّ الله

يأمرك أن تسير إلى بنى قُرَيْظة فإنّى عامدٌ إليهم فمزَلزِلٌ بهم » فحاصرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم خمسةَ عشرَ يوماً — وقال أبن النجّار : خمساً وعشرين ليلةً — وقذف فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل إليهم أبا لُبَابة يشاورونه فى أمرهم ، فأشار إليهم بيده أنه الذبح ثم ندم وأسترجع وربط نفسه إلى سارية المسجد وهى أسطوانة التوبة ستّ ليالٍ ، ويقال بضع عشرةَ ليلة، ويقال قريباً من عشرين يوماً حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره ، ويقال إن هذه الحالة إنما جرت [له](١) حين تخلّف عن تبُوكَ وأنزل الله توبته ونزلوا على حُكْم النبى صلى الله عليه وسلم وقالت الأوْس : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخَزْرج فهبهم لنا ، فقال : « ألا ترضون أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ » قالوا : بلى ، فحكَّم سعد بن معاذ ، وكان ضعيفاً ، فحكم بقتل الرجال وقسْمَ الأموال وسَبى الذرارىّ والنساء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك » فاُستنزلوا وحبسوا بالمدينة ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم جىء بهم فضربت أعناقهم فى تلك الخنادق ، وكانوا سبعمائة فيهم حُيَىّ بن أخطب النَّضَيْرىّ الساعى فى نَقْض عهدهم ولم يقتل من نسائهم إلا أمرأة واحدة قصاصاً ومن أنبت من الذكور قتله ومن لم ينبت أستحياه ، ثم قسّم النبىّ صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وفرغ منهم يوم الخميس لخمس ليالٍ خَلَوْن من ذى الحجّة ، وأنفجر جرح سعد بن مُعَاذ بعد ذلك فمات شهيداً وحضر جنازته سبعون ألف مَلَك ، وأهتزّ له عرشُ الرحمٰن والله أعلم .

وقد عفا(٢) أثر الخندق اليومَ حتى لم يبق منه شىء إلاّ ناحِيَة لأن وادى بُطْحان أستولى على موضع الخندق وصار مَسِيله فى موضعه .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) . (٢) عفا : درس .

الفصل الثالث

فى ذكر الحرَم وحدوده

ذكر الحرم وحدوده

رويناا فى الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم : « إنّ إبراهيم حَرّمَ مكّة ودعا لأهلها ، وإنّى حَرّمتُ المدينـة كما حَرّم إبراهيم مكة ، وإنى دَعَوْتُ فى صاعها ومُدِّها » .

وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « حرّم ما بين لاَبَتَيِ المدينة على لسانى » . وأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم بنى حارثة وقال : « أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم » ثم التفت فقال : « بل أنتم فيه » وكانت منازلهم غربى مشهد حمزة كما تقدّم .

وروينا فى صحيح مسلم عن سهل بن حنيف قال : أهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى المدينة فقال : « إنها حَرَم آمِن » قيل : وفيه عن أبى هريرة قال : حَرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لاَبَتَيِ المدينة فلو وُجِدَتْ الظّباء مابين لاَبَتَيْها ما ذَعَرتْها ، وجعل أثنى عشر ميلا حول المدينة حِمًى ، وفى حديث الهجرة: « إنى أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لاَبَتَيْن» وهما الحَرّتان ـ والحَرّة: أرضٌ يَرْكبها حجارةٌ سُودٌ والله أعلم ـ وفيه من حديث إبراهيم التيمىّ عن أبيه قال : خطبنا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : مَنْ زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة ، قال : وصحيفة مُعلّقة فى قراب سيفه فقد كذب ، فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات وفيها قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرامٌ ما بين عَيْر إلى ثَوْر فمن أحدَثَ فيها حَدَثاً أو آوى محدثاً

فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبلُ الله يوم القيامة منه صَرْفاً ولا عَدْلا ، وذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أَدْنَاهم ومن أُدَّعَى إلى غير أبيه أو أُنْتَمَى إلى غير مواليه فعليه لعنةُ اللهِ والملائكة والناس أجمعين » الحديث .

ونقل أبن النجّار عن رواية أبى داود : « لا يُخْتَلَى خَلاَهَا ولا يُنَفَّر صَيْدُها ولا تُلْتَقَط لُقَطَتُها إلاّ لمنشِدٍ ولا يصلُح لرجُلٍ أن يحمل فيها السِّلاَحَ لقتالٍ ولا يصلُح أن يقتطع منها شجرة إلاّ أن يعلف رجلٌ بَعِيرَه » .

وفى رواية لأبن زَبَالة من قول جابر : « لا يَحِلُّ لأحَدٍ أن يحمل فيها سِلاَحاً » والله أعلم .

قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : عَيْر وثَوْر : جَبَلاَن بالمدينة ، قال : وأهل المدينة لا يعرفون بها جَبَلا يقال له ثَوْرٌ إلاّ بمكة ، فيرى أن الحديث أَصْلُه ما بين عَيْر إلى أُحُدٍ . وقال الماوردى : نَقَل بعض أهل العلم أن ذكر ثَوْرٍ هنا وَهْمٌ .

وأعلم أن خَلْفَ أهلِ المدينة ينقُلُ عن سَلَفهم أن خَلْفَ جبل أُحُدٍ من جهة الشمال جبلٌ صغيرٌ إلى الحُمْرة[١] مُدَوَّر يسمّى ثَوْراً ، وقد تحقّقْتُه بالمشاهدة ولله الحمد ، وعَيْرٌ[٢] شرقيّه وهما حَدّ الحَرَم ، ونقل ذلك جماعةٌ منهم ياقوت صاحب [معجم] البلدان ، والإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصرى ،

---

(١) كذا فى الأصل ونسختى (ا) و (ب) . وكتب بهامش الأصل : « صوابه إلى الخضرة » .

(٢) هو جبل خلف أحد وبعد العريض ، قاله بعض فضلاء المدينة .

وابن الأثير ، فلا عِبْرَة بمن خالف ذلك ، وفائدته أن أُحُداً من الحَرَم والله أعلم .

وبسند ابن النجّار إلى كعب بن مالك قال : حَرّم رسول الله صلى الله عليه الشجَرَ بالمدينة بريداً فى بريد ، وأرسلنى فأعلمتُ عَلَى الحَرَم على شرف ذات الجيش ، وعَلَى مُشَيْرِب ، وعَلَى أشراف المجتهر ، وعلى تَيْم . وبه إلى كعب أيضا قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أُعْلِمُ عَلَى أشراف حَرَم المدينة فأعلمتُ على شرف ذات الجيش ومُشَيْرِب ، وعلى أشراف مَخيض ، وعلى الحقباء ، وعلى ذى العشيرة ، وعلى تَيْم ، فأما ذات الجيش فنَقْب ثَنِيَّة الحفيرة من طريق مكة والمدينة ، وأما مُشَيْرِب فما بين جبالٍ فى شامى ذات الجيش بينها وبين خلائق الضبوعة ، وأما أشراف مخيض فجبال مخيض من طريق الشام ، وأما الحفيا فبالغابة شامى المدينة ، وأما ذو العشيرة فنقب فى الحفيا ، وأما تَيْم ويقال ثئب وجزم به ابن زَبَالة فجبل شرقى المدينة ، وذلك كله يشبه أن يكون بريداً فى بريد .

وفى سنن أبى داود من حديث عدىّ بن زيد قال : حَمَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كلّ ناحيةٍ من المدينة بريداً بريداً لا يُخْبَطُ شَجَرُها ولا يُعْضَدُ إلاّ ما يُساقُ به الجمل .

وروى الزُّبَير بن بكّار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كلّ دفعة دَفَعتْ علينا من هــذه الشعاب فهى حَرَامٌ أن تُعضَد أو تُخبَط أو تُقْطَع إلاّ لعُصْفُورِ قَتَبٍ أو مَسَدَ مَحَالة أو عَصاً حديدة » .

وروى أيضا ابن زَبَالة عن كعب بن مالك : حَمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشَّجَرَ ما بين لاَبَتَى المدينة إلى وعيرة ، وإلى ثَنِيَّة الحدث ، وإلى أشراف مخيض ، وإلى ثنيّة الحفيا ، وإلى مضرب القبة ، وإلى ذات الجيش من

الشجر أن يقطع ، وأذن لهم فى متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة . وروى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بمضرب القبة فقال : « ما بينى وبين حِمَى لا يُعْضَد شَجَرُه » فقالوا : إلاّ المشدّ ، فأذن لهم فى المشدّ .

وأعلم أن مضرب القبة لا تُعرَف عينهُ الآن بل ولاجهتهُ ، ويقال بالتخمين إنه ما بين ذات الجيش من غربى المدينة الشريفة إلى مخيض ، وهو الجبل الذى على يمين القادم من طريق الشام حين يقضى من الجبال إلى البِرْكة مَوْرد حُجّاج الشام كما سبق .

وروى أيضا من حديث أبى سعيد الخدرىّ قال : بَعَثَتْنِى عَمَّتِى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه فى مشدّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إقرأ عَمَّتَكَ السلامَ وقُلْ : لو أذِنتُ لكم فى مَشَدّ طلبتم مِيزَاباً ولو أذِنتُ لكم فى مِيزَابٍ لطلبتم خشبةً » ثم قال : « حِمَاىَ من حيث أُنسقت بنو فزارة لِقَاحِى » فيقال إن لقاحَهُ صلى الله عليه وسلم كانت تَرْعَى بالغابة وما حولها فأغار عليها عيينة بن حصين الفزارىّ يوم ذى قَرد كما ورد فى الصحيح .

وأتفق لسلمة بن الأكوع ما أتفق من أستنقاذ اللِّقاح ووصول الفُرْسان إليه وهو يقاتلهم ويرميهم بالنبال أبو قتادة وعكاشة بن محصن وسعيد بن زيد وهو أميرهم والمقداد بن عمرو وغيرهم ، وفى ذلك اليوم قال عليه الصلاة والسلام : « كان خَيْرُ فُرْساننا اليوم أبا قَتَادَة وخَيْرُ رجَّالتنا سلمة رضوان الله عليهم » ولحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس بعد أن أستنقذوا اللِّقاح وقتلوا من قتلوا ، وسُمِّيت غزوة ذى قَرد بالموضع الذى كان فيه القتال . والحيفا شمالى الغابة ، وقد سبق تعريف ثور ، ووعيرة شرقيه وهو أكبر من ثور وأصغر من جبل أُحُد . وتَيْم : جبل شرقى المدينة وهو أبعد جهات الحَرَم . وعَيْر : هو الجبل الكبير

الذى من جهة قبلة المدينة ، وذات الجيش فى وسط البَيْداء وهى التى إذا رحل الحاجّ من ذى الحُلَيفة استقبلوها مصعدين إلى جهة المغرب ، وهى المقصودة بقول عائشة رضى الله عنها : حتى إذا كنَّا بالبيداء أو بذات الجيش ، وفيها نزلت آية التَّيَمُّم ، وشماليها جبل كبيرٌ يسمّى : أعظم ، وهى على جادّة الطريق ، وورد فى تاريخ المدينة : ما برَقت السماء على أعظم إلاّ استهلّتْ .

ونقل بعضُهم أن اسم الجبل عظيم لا أعظم لقول عامر بن صالح الزُّبَيْرِىّ :

قل للذى رام هذا الحىّ من أسَدٍ * رُمْتَ الشوامخ من عَيْرٍ ومن عظم

لكن أخشى أن يكون قول الشاعر : ومن أضم والله أعلم .

ويقال إن فى أعلاه نبيًّا مدفونا أو رجلاً صالحا ، وهو جبلٌ كبيرٌ مُسَطَّحٌ ليس بالشاهق، وفيه رفق لأهل المدينة زمن الرَّبيع،وشماليه جبل مخيض إلى جهة طريق الشام كما تقدّم ، ويليه من الشام الحفيا . فهذا الذى يعرف اليوم من حدود الحَرَم باسمه .

ونقل ابن زبَالَة عن مالك : الحَرَمُ حَرَمَان : فَحَرَمٌ للطَّير والوحش من حَرَّة وَاقِم إلى حَرَّة العَقِيق ، وحَرَمُ الشجر بريدٌ فى بريد والله أعلم .

صيد المدينة وشجرها فى المذاهب الأربعة

وقد اتفقَ الشافعىُّ ومالكٌ وأحمَدُ — رحمهم الله — على تحْرِيم صَيْد المدينة واصطياده وقَطْع شجرها .

وقال أبو حنيفة : لا يَحْرُم شىءٌ من ذلك ، وهل يضمن صيدها وشجرها بالجزاء ، فيه قولان للشافعىّ ، وهما روايتان عن أحمد ، الجديد أنه لا ضمانَ وبه قال مالك ، وقال فى القديم : يضْمَن وفى ضَمانه وجهان : أحدهما كحرمة مكة وبه قال ابن نافع من المالكية ، وأصحّها يؤخذ سلب الصائد وقاطع الشجر وهو كسلب القتيل من الكفّار على الصحيح ، وقيل ثيابه فقط ، ويبقى له ما يستر

العَوْرة و يصرف السلب للسالب [على الصحيح[١]] كما يصرف لقاتل الكافر ، وقيل لفقراء الحَرَم ، وقيل لبيت المال . وظاهر كلام الأئمة أنه يسلب إذا اَصطاد ولا يشترط الإتلاف ، ولو أدخل إلى الحرم صيداً جازله إمساكه وذبحه و به قال مالك ، وعن أحمد وأبى حنيفة وجوب دَفْع يده عنه إن أدخله حيًّا كذا نقله اَبن النجّار وتبعه المطرىّ ، وفى النقل عن أبى حنيفة نظرٌ لمَا[٢] تقدّم عنه [أن][٣] المدنية لا حَرَم لها عنده ، نعم الحكم فى حَرَم مكة ما نقلاه وليس الكلام فيه والله أعلم .

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .
(٢) كذا فى نسختى (ا) و (ب) . وفى الأصل « كما » .
(٣) التكملة من نسختى (ا) و (ب) . والسياق يقتضيها .

الفصل الرابع

فى ذكر بعض خصائصها

ذكر بعض خصائصها

فمنه : مضاعفة الأعمال روى ابن النجّار بسنده إلى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاةُ الجمعة بالمدينة كألف صلاةٍ فيما سواها » .

ومنه: خصوصيّة تمرها روينا فى صحيح مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أكل سَبْعَ تمرات من بين لا بَتَيْها حين يُصْبِح لم يَضُرُّه سُمٌّ حتى يُمْسِى » .

وروينا فى الصحيحين من حديث سعد أيضاً أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَصَبَّح كلَّ يوم بسَبْع تمرات عَجْوة لم يَضُرُّه فى ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْرٌ » .

ونقل ابن زَبَالة عن سعد: لا أعلمه إلا قال من العالية ، بل روينا فى صحيح مسلم أيضاً من حديث عائشة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إن فى عَجْوة العالية شفاء أو أنها ترياق أوّل البكرة » والله أعلم .

ماجاء فى بعض جهاتها

ماجاء فى بعض جهاتها

نقل ابن زَبَاله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أصحُّ المدينة من الحُمّى ما بين حَرّة بنى قُرَيْظة والعريض ».

وروينا أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهمّ بارك لأهل المدينة فى سُوقهم » .

وفى رواية له: أنه صلى الله عليه وسلم مرّ برجل يبيع طعاماً فى السُّوق بسعر هو أَرْفَعُ من سعر السُّوق فقال : « تبيع فى سُوقنا بسعر هو أَرْفَعُ من سعرنا » قال : نعم يا رسول الله ، قال : « صبراً واُحتساباً» قال : نعم يا رسول الله ، قال : «أبشِرْ فإنّ الجالب إلى سُوقنا كالمجاهد فى سبيل الله ، وإنّ المحتكر فى سُوقنا كالملحد فى كتاب الله » . وفى رواية : أنه عليه الصلاة والسلام جاء سُوق المدينة فضرب برجله وقال : « هذا سُوقكم فلا تضيق ولا يؤخذ منها خراج » . ومرّ فيه على خيمةٍ فأمر بتخريقها فخرقت[1] ، وهَدَم عُمَرُ رضى الله عنه كِيرًا لحدّاد أو لصائغ وقال : لا تضيقوا على الناس سُوقهم والله أعلم .

خصوصيّة تُرْبتها

خصوصية تربتها

روى اُبن النجّار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غُبارُ المدينة شِفاءٌ من الجُذَام » . وروى عن إبراهيم بن الجهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالحارث بن الخَزْرَج فإذا هم رَوْبَى فقال :« مالكم يا بنى الحارث رَوْبَى» ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، أصابتنا هذه الحُمّى ، قال : « فأين أنتم عن صعيب» ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما نصنع به ؟ قال : « تأخذون من تُرَابه فتجعلونه فى ماء ثم يَتْفُلُ أحدُكم ويقول : بأسم الله تُرَاب أرضنا بِرِيق بعضنا شِفَاء لمريضنا بإذن ربّنا» ، ففعلوا فتركتهم الحُمّى . وفى دارهم كان أبو بكر رضى الله عنه ينزل بزوجته حبيبة اُبنة خارجة،وقيل:مُلَيكة أخت زَيْد بن خارجة المتكلّم بعدالموت.

وذكر اُبن النجّار أن الشريف أبا القاسم طاهر بن يحيي الحسينى قال : إن صعيباً وادى بُطْحان دون الماجشونية ، وفيه حُفْرَةٌ مما يأخذ الناس منه ،

---

(١) كذا فى الأصل ونسخة (ا) . وفى نسخة (ب) : « فأمر بتحريقها فحرقت » بالحاء المهملة فيهما .

وهو اليوم إذا وَنِىَ إنسان أخذ منه وقال : رأيت هذه الحفرة اليوم والناس يأخذون منها وذكروا أنهم جرّبوه فوجدوه صحيحاً ثم قال رحمه الله : وأخذت منها [أنا] (١) أيضاً والحمد لله .

ونقل رَزِين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا دَنَا من المدينة من مُنْصَرَفه من تبُوك خرج إليه فتلقّاهُ أهلُ المدينة من المشايخ والغلمان فثار من آثارهم غَبْرَةٌ فخَمَّر بعضُ مَنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفَه عن الغُبَار فمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فأماطه عن وجهه وقال : « أما علمت أن عَجْوَةَ المدينة شِفَاء من السقم وغبارها شِفَاء من الجُذَام » .

وفى رواية ابن زَبَالة : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غَزَاةٍ غزاها ، فلما دخل المدينة أمسك بعضُ أصحابه على أنفه من تُرَابها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده إن تُرْبتَها لمؤمنةٌ وإنها لشِفَاء من الجُذَام » . وفى رواية له: « غُبَار المدينة يطفىء الجُذَام » والله أعلم.

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

الفصل الخامس

فيما يؤول إليه أمرُها وأمرُ مسجدها

ما يؤول إليه أمرها وأمر مسجدها

روينا فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لتتركنَّ المدينة على خَيْر ما كانت مُذَلَّلة ثمارها لا يغشاها إلاَّ العَوَافِى » يريد عَوَافِىَ الطَّيْر والسِّباع ، وآخر من يُحْشَرُ منها راعيان من مُزَيْنة يريدان المدينة يَنْعقان بغنمهما فيَجِدَانها وَحْشاً حتى بلغا ثَنِيَّةَ الوَدَاع خرَّا على وجوههما .

ونقل ابن زَبَالَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أهل المدينة لتتركنَّها مُذَلَّلة على أوْفَر ما كانت أربعين خريفاً تأكلها العافية الطَّيْرُ والسِّباع » والله أعلم .

ورَوَى أيضا وتبعه ابنُ النجّار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعةُ حتى يغلبَ على مَسْجِدِى هذا الكِلابُ والذِّئابُ والضِّبَاع فيمرّ الرجلُ ببابه فيريد أن يُصلِّيَ فيه فما يقدر عليه » .

خاتمة

وتشتمل على فصلين :

فضل الموت بالمدينه وطلبه

أحدهما: فى فضل الموت بالمدينة وطلبه. تقدّم قولهُ صلى الله عليه وسلم: «ما عَلَى الأرض بُقْعة أحَبُّ إلىّ من أن يكون قبرى بها منها » يعنى المدينةَ فى حديث طويل ذكره ابن زَبَالة وابن النجّار .

وروى أيضاً عن ابن عمر أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليَمُتْ بهـا فإن مَنْ مات بالمدينة شفعت له يوم القيمة » .

ونقل ابن زَبَالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل مكة قال: « اللهمّ لا تجعل مَنَايَانا بها حتى نخرج منها ».

وفى رواية له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [من جملة حديث][1] : «ومن مات بواحدٍ من الحرَمَيْن بعث فى الآمنين يوم القيمة » ونقل رَزِين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليَمُتْ بها فإنِّى شفيعٌ لمن يموت بها و إنى أوّل من تَنْشَقّ عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم إنّا نأتى البَقِيع فيُحْشَرُون ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين [أهل][1] الحرَمَيْن » .

وفى رواية الترمذى : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليَمُتْ بها فإنى شفيعٌ لمن مات بها » وقد صححّه عبد الحقّ فى أحكامه الصغرى.

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

ونقل رَزِين أيضاً عن ابن عُمَر أن عمر رضى الله عنه كان من أجلّ دُعَائه:
« اللّهم أرزُقْنى شهادةً فى سَبِيلك واجعل مَوْتِى فى بَلَدِ رَسُولك » .
وعن مُزَاحم مَوْلَى عُمَر بن عبد العزيز قال : لما خرج عمر من المدينة ألتفتَ
إليها حين خَرَجَ منها وبكى ثم قال : إنى لأخشى أن أكون ممن نفت المدينة
والله أعلم .

الفصل السادس

فى ذكر بعض ما يشوق إليها من الأشعار

فمن ذلك ما قرأته عَلَى شيخنا الحافظ أبى السيادة عبد الله عَفيف الدّين بن محمد بن أحمد المطرى شيخ المحدّثين بالحَرَم الشريف النبوى رحمه الله ما أنشده الشيخ الإمام العارف أبو محمد عبد الله بن عمر بن موسى البَسْكَرِىُّ المغراوى بحق سماع شيخنا عليه [غير][1] مرّة ، وهو قوله :

دارُ الحَبِيبِ أحقُّ أنْ تَهْوَاها * وتَحِنُّ من طَرَبٍ إلى ذِكْرَاهَا

وعَلَى الجفُونِ متى همَمْتَ بزَوْرَةٍ * يا بْنَ الكِرَامِ عليكَ أن تَغْشَاهَا

فلأنْتَ أنْتَ إذا حلَلْتَ بطَيْبَةٍ * وظَلِلْتَ تَرْتَعُ فى ظِلَالِ رُبَاهَا

مَغْنَى الجمالِ مُنَى الخواطرِ والّتى * سَلَبت عقولَ العاشقين حُلاهَا

لا تَحْسَبِ المِسْكَ الزكىَّ كتُرْبِها * هيهات أينَ المِسْكُ من ريّاهَا

طابَتْ فإن تبغِ التَّطَيُّبَ يا فتى * فأدِمْ عَلَى الساعات لَثْمَ ثَرَاهَا

وأبشِرْ ففى الخبر الصَّحيح مُقَرَّراً * أنَّ الإلهَ بطَابَةٍ سمَّاهَا

واُخْتَصَّها بالطَّيِّبين لطيبها * واُخْتَارَهَا ودعَا إلى سُكْنَاهَا

لا كالمدينة مَنْزِلٌ وكفى لها * شَرَفاً حُلُولُ محمدٍ بِفِنَاهَا

حَظِيتْ بهجْرَةِ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثّرَى * وأجَلّهم قَدْراً فكيف تَرَاهَا

---

(١) التكملة من نسختى (ا) و (ب) .

كلّ البلادِ إذا ذُكرنَ كأحرفٍ * فى اسم المدينة لا خلتْ معناها
حاشا مُسمّى القُدْس فهى قريبةٌ * منها ومكةَ إنها إياها
لا فرقَ إلاّ أنَّ ثَمَّ لطيفةً * مهما بدتْ يجلو الظلام سناها
جزمَ الجميعُ بأنَّ خيرَ الأرض ما * قد حاط ذاتَ المصطفى وحواها
ونعمْ لقد صدقوا بساكنها علتْ * كالنفس حين زكتْ زكا مأواها
وبهذه ظهرتْ مزيةُ طيبةٍ * فغدتْ وكلُّ الفضل فى معناها
حتى لقد خُصّتْ بروضة جنةٍ * اللهُ شرّفها بها وحباها
ما بين قبرٍ للنبيّ ومنبرٍ * حيّا الإلهُ رسولَهُ وسقاها
هذى محاسنُها فهلْ من عاشقٍ * كلِفٍ شحيحٍ باخلٍ بنواها
إنى لأرهبُ مِنْ توقّع بينها * فيظلّ قلبى موجعاً أوّاها
ولقلّ ما أبصرتُ حال مودّعٍ * إلاّ رثتْ نفسى[1] له وشجاها
فلكمْ أراكمْ قافلين جماعةً * فى إثرِ أخرى طالبين سواها
قسماً لقد أذكى فؤادى بينكم * ناراً وفجّر مقلتى مياها
إن كان يزعجكم طلابُ فضيلةٍ * فالخير أجمعه لدى مثواها
أو خفتمُ ضرّاءها فتأمّلوا * بركاتِ بلغتها فما أزكاها
أفّ لمن يبغى الكثير لشهوةٍ * ورفاهةٍ لم يدرِ ما عقباها
والعيش ما يكفى وليس هو الذى * يطغى النفوس ولا خسيس مُناها
يا ربِّ أسأل منك فضلَ قناعةٍ * بيسيرها وتحبّباً لحماها
ورضاكَ عنّى دائماً ولزومها * حتى توافى مهجتى أخراها
فإن الذى أعطيت نفسى سؤلها * وقبلتُ دعوتها فيا بشراها
بجوارِ أوفى العالمين بذمّةٍ * وأعزّ مَنْ بالقرب منه يُباهى

---

(١) كذا فى نسختى (١) و (ب). وفى الأصل: «رثت عينى».

مَنْ جاء بالآيات والنُّور الذى
دَاوى القلوبَ من الأذى[1] فشفاها

أَولى الأنَام بخُطَّة الشرفِ التى * تُدْعَى الوَسِيلة خيرُ مَنْ يُعْطَاها
إنسانُ عينِ الكَوْنِ سِرُّ وُجُودِه * «يَس» إكْسِيرُ المحامد« طـه»
حَسْبى فلَسْتُ أَفى بذكر صفاته * ولو أنَّ لى عَدَدَ الحصَى أفدَاها
كَثُرَتْ محاسنُهُ فأعجزَ حصْرُها * وَغدَتْ وما يلقي لها أشْبَاهَا
إنِّى اهتديتُ من الكتاب بآيةٍ * فعلمتُ أن عُلاه ليس يُضَاهَى
ورأيتُ فَضْلَ العالَمِينَ مُحَدَّداً * وفضائل المختارِ لا تَتَنَاهَى
كيفَ السبيلُ إلى تقَصِّي مَدْحِ مَنْ
قال الإلٰه له .. وحَسْبُك جاهَا ـ :
(إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمـا * ـ فيا يقولُ ـ يُبَايِعُونَ اللَّهَ)
هٰذا الفَخارُ فهل سمعتَ بمثله * وَاهًا لنَشْأَتِهِ الكريمةِ وَاهَا
صلُّوا عليه وسلِّموا فبذا لكم * تُهْدَى النفوسُ لرُشْدِها وعناها
صَلَّى عليه اللهُ غيرُ مُقَيَّدٍ * وعليه من بركاتِهِ أنْماها
وعلى الأكابرِ آلِهِ سُرُجِ الهُدَى * أَحْبِب بعترَتِهِ ومَنْ وَالاها
وكذا السلام عَلَيه ثمَّ عليهمُ * وعلى عِصَابته التى زَكَّاها
أعنى الكِرَامَ أُولِى النُّهَى أصحابَه * فِئةَ التُّقَى ومَنْ اهْتَدَى بِهُدَاها
والحمدُ لله الكريم وهٰذِهِ * نَجَزَتْ وظنِّى أنَّه يَرْضَاها

تمت

وبتمامها تمَّ كتاب « التحقيق والنصرة » ، والحمد لله أوَّلاً وآخراً ، وصلواته وسلامه الطيِّبان الأكملان على زَيْنِ خَلْقه «محمد» وعَلَى آله وصحبه،فأسألك اللهمَّ

(١) كذا فى الأصل ونسخة (ا) وفى نسخة (ب): « الكعمى » .

أن تحقق لى به ووالدى ومشايخى وأحبائى سعادة الدارَيْن ، وأن تجعله قُرّة عَيْن لى بحضرة نبىّ الرحمة صلى الله عليه وسلم ، وأن تجعلنى من جيرانه المفلحين بجواره المخلصين فى الأنتماء إلى ذكر معاهده الشريفة وآثاره ، وأن تدخلنى بلطفك فى خصوص شفاعته ، وأن تهدينى بالنّجاة به والأستغاثة بحياته إلى دوام الأخذ بهدايته إنك لطيف رحيم منّان ، ذو الجلال والإكرام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال مؤلفه عفا الله عنه : فرغت من تبييضه يوم السبت ثانى عشر رجب الفرد عام ستة وستين وسبعمائة . قال فى الأصل : وتمت هذه النسخة المباركة يوم الأحد فى السادس والعشرين من ربيع الأوّل سنة ألف ومائتين وواحدوأر بعين بالمدينة المشرّفة النبوية عند مواجهة الحجْرة الكريمة على ساكنها أفضل الصلوات وأشرف التسليمات ، وأنا الضعيف النحيف الفقير الحقير المحتاج إلى الله لطف الله بن الشيخ العلامة الفهامة الشيخ محمد ذاكر السندى النقشبندى ، تغمده الله بغفرانه وجعله بحبوحة حياته آمين اه ما [ورد] بالأصل المنسوخة منه هذه النسخة :

وقد كان الفراغ من نسخ هذا التاريخ الجليل على يدالفقير إلى مولاه الغنى الراجى من الله الفوز على الصراط المستقيم عبد الرحيم بن المرحوم الشيخ عبد الله صديق المدنى ، غفر الله له وأدخله جنته إنه واسع العطاء جزيل النعم ، وقد ساعدنى فى بعض نَسْخ بُجمل من هذا الكتاب شيخنا و بركتنا المسند العلامة الشيخ «عمر حمدان المحرسى» أمدّ الله فى أجله آمين .

م م م

م

يقول ناسخه : قد تم نسخ هذا التاريخ المبارك فى يوم الجمعة المبارك
ثانى عشر خلت من المحرّم سنة ١٣١٣ ﻫ ولله الحمد أولاً وآخراً ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
إلى يوم الدين
آمين

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم . نحمده ونثنى عليه جلّ شأنه ونصلى ونسلم على سيد المرسلين سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وبعد :

اليوم ونحن نجاهد فى سبيل المعرفة الحقّة لإعادة مجد العلم الذى قامت عليه حضارتنا الإسلامية السالفة ـ ونعيد ما استطعنا القيمَ الروحيّة التى أفتقدناها فى عصر المدنيّة الحديثة الوضيعة .

اليوم نحن على أبواب نهضة نرجو أن تستكمل معنوياتها بالعلم . . والعلم وحده هو الروح الذى تعيش به الامم وتخلد . ـ ومن فضل الله علىّ سبحانه أن وفقنى لتولّى نشر بعض الكتب التاريخية عن المدينة المنوّرة ـ وقد تمّ فى شهر رمضان المنصرم طبع كتاب (وفاء الوفاء بإخبار دار المصطفى) فى أربعة أجزاء بتعليق وتصحيح فضيلة الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ـ ويطبع قريبا إن شاء الله كتاب (المغانم المطابة فى معالم طابة) لفيروز اباد صاحب القاموس المحيط ـ وغيره . والكتاب الذى بين أيدينا (تحقيق النُصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) للإمام العلامة أبى الفخر المراغى من نفائس هذه الكتب العلمية التاريخية المتضمّنة لتاريخ وفضل المدينة المنوّرة فى الأحاديث النبوية الشريفة .

ولقد كنت محتفظا بنسخة خطّية لهذا الكتاب منذ زمن حتى قيّض الله ووفق صديقنا الكريم الحاجّ محمد مصطفى صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر وتولّى الاتفاق لتحقيقه ثم مساعدته الكبيرة لطبعه و إظهاره بهذه الحلة القشيبة ـ فله أجلّ التقدير والثناء . كما لا يفوتنى أن أشكر صاحب مطبعة السعادة الأستاذ على أفندى محمد إسماعيل لإشرافه الدقيق على الطبع .

والله نسأله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لما فيه الصالح العامّ وخدمة العلم ؟

الناشر

محمد سلطان النمنكانى

صاحب المكتبة العلمية ـ بالمدينة المنورة

ملحق الكتاب

التوسعة السعودية للمسجد النبوي الشريف

إتماماً للفائدة المرجوة من نشر هذا الكتاب القيم والأثر الخالد :
(تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة)

نرى أن نلحق به لمحة عن المسجد الشريف النبوي في توسعته الحالية وعمارته الضخمة على نفقة جلالة الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله ثم على نفقة خلفه مولانا الملك سعود المعظم أيده الله .

وقد أستقينا هذه المعلومات من مدير مكتب مشروع التوسعة سعادة الشيخ محمد صالح القزاز المشرف على إدارة أعمال العمارة بهمة فائقة وإخلاص منقطع النظير .

في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ

الناشر
محمد سلطان النمنكاني
صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

و بعد ، فإن التفكير فى مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف لم يكن طارئا لدى المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بل إنه كان يجول فى نفسه منذ أمد ليس بالقصير حتى أذن الله سبحانه وتعالى له بالبروز فخرج إلى عالم الوجود .

ففى عام ١٣٦٨ هـ تفضل جلالته فأصدر كتابا مفتوحا موجها إلى جريدة المدينة برقم ٢٧ ـ ٤ ـ ٢ ـ ١٣٧٨ وتاريخ ١٢ ـ ٨ ـ ١٣٦٨ هـ يبشر فيه العالم الإسلامى بعزمه على توسعة المسجد النبوى الشريف ، وقد نشر هذا الكتاب فى الجريدة المذكورة فى عددها الصادر بتاريخ ٥ رمضان عدد ٣٠١ سنة ١٣٦٨ هـ .

ومن ذلك التاريخ أخذ المشروع طريقه للدرس حتى وصل إلى المراحل العملية وفى السطور الآتية تفاصيل مراحل العمارة الجليلة فى أدوارها المختلفة .

فى اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٧٠ هـ بدئ فى تنفيذ مشروع عمارة الحرم النبوى الشريف ، وكان أول ما بدئ به هو هدم الدور المحيطة بالمسجد والتى انتزعت ملكيتها واستمر العمل جاريا فى نقل أنقاضها ومتخلفاتها وكل ما استلزمه الحال .

* فى شهر ربيع الأول عام ١٣٧٢ هـ زار المدينة جلالة الملك سعود وفى حفل كبير وضع جلالته الحجر الأساسى للمسجد النبوى الشريف .

* فى ١٤ شعبان سنة ١٣٧٢ هـ بدئ فى حفر الأساسات فى المسجد الشريف بالجناح الغربى بالمنطقة التى تلى باب الرحمة .

* فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٢ هـ بدئ فى بناء العمارة الشريفة .

* فى شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ زار جلالة الملك سعود المدينة المنورة وبنى بيده فى عمارة المسجد ووضع أربعة أحجار فى إحدى زوايا الجدار الغربى بالمسجد الشريف تأسيا بالنبىّ صلى الله عليه وسلم .

* أنشئ مكتب خاصّ لمشروع التوسعة به أكثر من خمسين موظفا يعملون فى الأعمال الإدارية والفنية والحسابية والمستودعات وغيرها من الأقسام اللازمة لمثل هذا العمل الجليل كالآتى :

المكتب الرئيسى ـ قسم التحرير ـ القسم الحسابى ـ قسم الصندوق ـ القسم الفنى ـ قسم المستودعات .

* شكلت لجنة خاصّة من كبار رجال المدينة لتقدير أقيام العقار وقد روعى فى ذلك مصلحة أصحاب الأملاك وقدّرت لهم بأوفى ثمن .

* بلغت مساحة الأراضى للدور والأملاك التى انتزعت ملكيتها للتوسعة والشوارع والميادين التى حول المسجد النبوىّ الشريف (٢٢٩٥٥) متراً مسطحاً .

* أنشئ من أجــل العمارة مصنع مخصوص لعمل الأحجار الصناعية (المزايكو) وزوّد بكافة الأدوات الميكانيكية واختير له مكان فى منطقة أبيار على حيث جلب له مهندسون أخصائيون وعمل تحت إشرافه أكثر من أربعمائة شخص .

* عمل بالحرم الشريف أربعة عشر مهندسا منهم اثنا عشر مصريا وواحد من السوريين وواحد من باكستان وعمل تحت إشرافهم أكثر من مائتى صانع من المصريين والسوريين وعدد من الباكستانيين والسودانيين واليمانيين والحضارمه كما عمل معهم أكثر من ألف وخمسمائة عامل من السعوديين .

* استحضرت رافعات وسيّارات ضخمة ودركترات وآلات مختلفة ميكانيكية من أحدث الآلات الفنية وكلها عملت فى عمارة الحرم الشريف وزاد مجموعها على أربعين قطعة .

* استعمل ميناء ينبع لترسو به البواخر التى تحمل الأخشاب والحديد والأسمنت وجميع موادّ البنـاء اللازمة للعمارة الشريفة ثم تنقل هذه الموادّ على السيّارات الضخمة للمدينة المنوّرة وقد رست به أكثر من ثلاثين باخرة جاءت خصيصا بموادّ الحرم الشريف وقد بلغ مجموع ما أفرغته فى الميناء (ما يزيد على ثلاثين ألف طنّ) من الحديد والأسمنت والأخشاب والموادّ المختلفة .

* أنشئت ورشة خاصة بالمدينة زوّدت بالمهندسين الميـكانيكيين والصنّاع وكلهم سعوديون لأجل تعمير وإصلاح السيارات والآلات الميكانيكية التى تعمل بالعمارة الشريفة .

	أمتار مربعة
مساحة المسجد النبوىّ الشريف حينما بناه النبىّ صلى الله عليه وسلم	٢٤٧٥
زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه	١١٠٠
زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه	٤٩٦
زيادة الخليفة الأموىّ الوليد بن عبد الملك رحمه الله	٢٣٦٩
زيادة الخليفة العباسىّ المهدىّ رحمه الله	٢٤٥٠
زيادة الملك الأشرف قايت باى رحمه الله	١٢٠
زيادة السلطان عبد المجيد العثمانى رحمه الله	١٢٩٣
المساحة الكلية للمسجد النبوىّ الشريف قبل التوسعة السعودية	١٠٣٠٣

الزيادة التى بدأ بها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله وأتمها
جلالة الملك سعود حفظه الله ٦٠٢٤

١٦٣٢٧

المساحة الكلية للمسجد بعد التوسعة السعودية ١٦٣٢٧

أمتار مربعة

عمارة التوسعة السعودية ٦٠٢٤

عمارة الأجزاء القديمة التى هدمت وأعيد تعميرها

وهى الجهات الثلاثة ٦٢٤٧

مجموع العمارة السعودية ١٢٢٧١

مساحة الجهة القبلية الباقية من البناء القديم ٤٠٥٦

١٦٣٢٧ المجموع

(إحصاء عن العمارة الجديدة)

عدد الأعمدة المحيطة بالجدار ... ... ٠٤٧٤ عمود مربع

عدد الأعمدة المستديرة فى العمارة الجديدة ٠٢٣٢ عمود مستدير

الجدار الغربى ... ... ٠١٢٨ متر طولى

الجدار الشرقى ... ... ٠١٢٨ » »

الجدار الشمالى ... ... ٠٠٩١ » »

البواكى الشمالية ٥

البواكى الوسطى ٣

البواكى الشرقية ٣

البوائكى الغربية ٣

الأبواب الجديدة ٩

الحصاوى ٢ حصوة

العقود ٦٨٩٠ عقد

النوافذ ٤٤ أربعة وأربعون نافذة

عمق الأساسات للجدران والأعمدة (٥) أمتار ، عمق أساسات المآذن (١٧) متراً

عدد المـآذن (٢) ارتفاع المئذنة (٧٠) متراً

وهكذا تحققت المعجزة الإلهية وتمت هـذه العمارة على الوجه الأكمل ، وقد انتقل جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله إلى جوار ربه ، فقام جلالة الملك سعود حفظه الله بها فتمت على يده ، وقد كانت هذه العمارة موضع رعاية جلالته طول مدة العمل وتحت إشرافه السامى ، كما أنها كانت موضع اهتمام ولى عهده صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ومراقبته الدقيقة ، وقد رأى صاحب الجلالة عبد العزيز رحمه الله وكذلك جلالة الملك سعود من بعده أن يصرف على هذه العمارة من مالهما الخاص لا يشاركهم فى ذلك أحـد ، وقد صارت العمارة فى طريقها المرسوم وتمت فى وقت قصير بفضل الله تعالى ثم بفضل الرعاية السامية الملكية أدام الله جلالته وسمو ولى عهده ذخراً للإسلام والمسلمين وجزى الله الجميع خير الجزاء .

حرر فى يوم السبت الموافق ٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ

فهرس

تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة

وضع وترتيب وتنسيق

محمد عبد الجواد الأصمعي

بدار الكتب المصرية

فهرس الأعلام

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والبطون

(ب)

(ت)

فهرس أسماء البلاد والجبال والأودية والآبار وغير ذلك

(ب)

(ح)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس القوافى

فهرس الموضوعات

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١٨	و بعضها لها	و بضعا لها
٥	١٩	يا حبهذا	يا حبذا
٩	١٢	مأزر	مأرز
١١	٨	تلمنى	تلهفى
١٥	١٢	ابن خُدَيْجٍ	ابن خَدِيجٍ
١٦	١٤	الملائـكةَ	الملائـكةُ
١٧	٩	إلأّ	ألاَ
١٧	١٠	يَنْفِى	تَنْفِى
١٧	١٨١٧ ١٩	مَدْخَلَ ـ مَخْرَجَ	مُدْخَلَ ـ مُخْرَجَ
١٨	٩	وعلى الأرض	وما على الأرض
٢٠	١	المُزَنِىّ	المُزَنِىُّ
٢٠	٣	إبطيته	إبطيه
٢٢	١٠	وهو القساد	وهو الفساد
٢٣	٥	رُزَين	رَزِين
٢٨	٨	تَرَجَّحُ	تَرْجِيحُ
٢٨	١٣	لا ثلثى	إلاَّ ثلثى
٢٩	٣	وهما أبناء عَفران	وهما أبناء عفراء
٣١	٥	فأخذ البراء	فأخذ البراء
٣٢	٢	فتتايعوا	فتتابعوا
٣٢	١٢	لِيُثَبِّتُوكَ	لِيُثْبِتُوكَ
٣٣	٥	إبن أُرَيقْط	إبن أُرَيْقِط
٣٥	١٣	ينقل حجارته على بطوننا	ينقل حجارته على بطونهم
٣٩	٧	أمنحره	منحره
٤١	١٥	تامنونى	ثامنونى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٣	١	أبرزُ بنا	أَبَرَّهُ بنا
٧٥	٧	أدخل فى بعض	أدخل بعض
٨٣	١٨	وننزل معهما	ونزل معهما
٨٣	٢١	وَطَيِّبُوا	وَ يُبُوا
٨٨	٩	الثّوم	الثُّومُ
٨٩	٢٢	عن حديث	من حديث
٩١	١	إلاّ	ألاَ
٩١	٦	إلاّ	ألاَ
٩١	٦	اذا حَضَرْتُ	اذا حُضِرتُ
٩١	١٠	أنقِذُوا	أنْفِذُوا
٩٢	١٨	وقبل	وَقِيلَ
٩٤	٢	قُتَم	قَتَم
٩٥	١٠	أول ما بدىء أبه نه	أول ما بُدِئَ بِهِ أنَّهُ
٩٨	٢	لتو بك	لثو بك
١٠٧	١٢	الدور المطيبة	المُطَيِّفة
١١٥	١٧	غُلُوُّ	عُلُوُّ
١١٩	١٤	تُعَادونى	تُمَاودنى
١٢١	١٠	قد نبت	قد ثبت
١٢٥	١٣	شَفِقْنا	شَفَعْنَا
١٢٥	١٤	كثرة	كثيرا مِن
١٣٠	١	بنى حزام	بنى حرام
١٣٨	١٨	فى مشربة إبراهيم	فى مشربة أم إبراهيم
١٤٠	١٠	وُابْتَنَينَا	وَابْتَنَيَا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٨	١١	الإبلُ	الإبلَ
١٤٨	١١	الخيلُ	الخيلَ
١٥٢	٨	دراهم	دارهم
١٦٢	١٤	يصتّ	يصبّ
١٦٤	١٢	بغفيفاء	بفيفاء
١٧١	١٣	تلم أُطلم	تلى أُطم
١٧٢	٩	سورة المدينة	سور المدينة
١٧٤	٣	جيشُ	جيشَ
١٧٨	١٧	المشهوات	المشهودات
١٨١	٣	حُرَمِهَا	حَرَمِهَا
١٨٤	٢٢	الذى	التى
١٨٧	٧	و يشقّ	و يشقّ
١٩١	٩	إن عدم أكلها الحجر	إن أكلها الحجر
١٩١	١٨	الحُرُمَ	الحَرَمَ
١٩١		إذا لم تظهر	إذ لم تظهر
١٩٢	٥	وتلك	فى تلك
١٩٣	١١،٣ ١٦،١٤	النُّضَيْر	النَّضِير
١٩٥	١٠	وقَسَّمَ الأموال	وقَسْمِ الأموال
١٩٥	١٤	النُّضَيْرِىّ	النَّضِيرِىّ
١٩٦	١٢	فلو وُجِدَتْ الظِّبَاء	فلو وَجَدَتْ الظِّبَاء
١٩٦	١٣	ما ذَعَرَتْهَا	ما ذَعَرْتُهَا
١٩٨	٦	فَأَعَمْلَتُ	فأعْلَمْتُ
٢٠٥	٩	لَتَتْرُكَنَّ المدينةَ	لَتَتْرُكَنَّ المدينة
٢٠٥	٤	لَتَتْرُكَنَّهَا	لَتَتْرُكَنَّهَا
٢٠٥	١٣	فيما يقدر عليه	فما يقدر عليه
٢٠٨	١٤	بالطَّيِّبِينَ	بالطَّيِّبِينَ